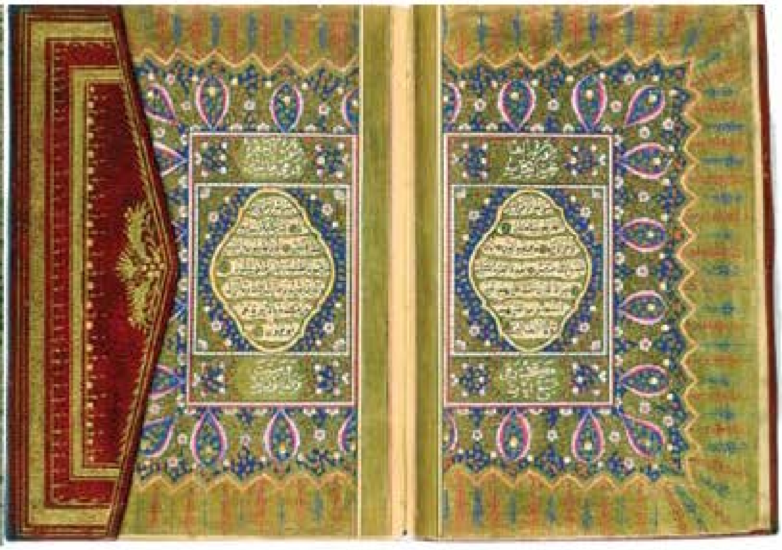


هجرة المخطوطات العربية لأوروبا



صفحة مزدوجة من القرآن مع زخرفة نباتية هامشية، تركيا، 1855 GettyImages



صفحة مزدوجة من القرآن الكريم مزخرفة مع الديكور هامشي، 1867 GettyImages

اهتم ملوك وأمراء ونبلاء أوروبا باللغة العربية اهتمامًا كبيرًا منذ أوائل القرن العاشر الميلادي، فحرصوا على نقل المخطوطات العربية من بلاد الشرق سواء إبان الحروب الصليبية، أو عن طريق وسطاء لهم لجمع ما ندر من المخطوطات، وشاعت اللغة العربية في القرون الوسطى لكثرة المتكلمين بها، ولشهرة فلاسفة الإسلام آنذاك، ولم يقف هذا الاهتمام عند حد جمع الكتب فقط، بل حرص ملوك وقساوسة وعلماء أوروبا على إنشاء المكتبات العربية في قلب أوروبا، وعيّنوا لها مديرًا عربيًا لتنظيم شئونها، وكان ملوك فرنسا وإنجلترا يتنافسون في جمع المخطوطات العربية من مكتبات الشام، في شتى العلوم والمعارف الإنسانية.

ومن الأدلة الراهنة على ذلك أن لويس التاسع ملك فرنسا (1226– 1270م)، لما عاد من الحرب الصليبية نقل معه من مدينة دمياط مخطوطات عربية وقبطية، زين بها خزائن قصره، واحتذى حذوه كثيرون من الأمراء الفرنسيس وأغنياء حجاجهم الذين رافقوا الملك في زيارته الأماكن المقدسة.

زد على ذلك أن علماء الاستشراق وقناصل دول الغرب، وتُجار الإفرنج الذين أموا البلاد الشرقية في آونة مختلفة استفادوا من جهل سكانها، وقلة اكتراثهم لذخائر الأجداد، فابتاعوا ما تيسر لهم من تلك الكنوز الكتابية، وأغنوا بها خزائن أوروبا ومتاحفها.

وخلاصة القول أن صرعى الكتب وعشاقها في الغرب أقاموا عملاء تسوقوا لهم المخطوطات بأثمان غالية من جميع أنحاء الشرق، على أن من أتيح له أن يتفقد دور الكتب الشهيرة في لندن وباريس وفينا وروما و الفاتيكان وفلورنسا وميلانو ومدريد وبرلين وليبسك وموينيخ ومنشن وبون وبلجيكا وكوبنهاغن وليننغراد ... إلخ، لا يتمالك من الإعجاب مما أفرغ الإفرنج من الجهود، وما أنفقوه من الأموال لاكتناز تلك الثروة العلمية التي لا يعادلها ثمن. (اللغة العربية في أوروبا – فيليب دي طرازي ص9-10).

ويقول فيليب طرازي: وقد سعى البابوات سعيًا حثيثًا في القرون الغابرة؛ ليحرزوا ما استطاعوا من المخطوطات ويغنوا مكتبة الفاتيكان، وأخذوا منذ القرن الخامس عشر خصوصًا يواصلون تلك المساعي، كالبابا سكستس الرابع (1471 – 1484)، وبيوس الرابع (1559 – 1565)، وبولس الخامس (1605 – 1621)، وأوربانس الثامن (1623 – 1644)، فجمعوا من الكنوز الشرقية كمية وافرة، وأنفقوا في اقتنائها أموالًا طائلة، وكابدوا في نقلها وتنظيمها وتنسيقها، هكذا اغتنت تلك المكتبة العظيمة، بتآليف علماء الشرق على اختلاف أجناسهم وأديانهم ولغاتهم وبلدانهم، ومن أشهر البابوات الذين بذلوا الجهود لتعزيز اللغة العربية إقليميس الحادي عشر (1700 - 1721)، وقد وجّه عام 1707 إلى الشرق عالمًا لبنانيًا اسمه إلياس السمعاني؛ لابتياع ما يعثر عليه من المخطوطات في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر، وفي سنة 1715 كلف كذلك عالمًا آخر لبنانيًا هو يوسف شمعون السمعاني أن يرتحل إلى المشرق، ويجمع ما تيسّر من المخطوطات العربية والسريانية والقبطية والحبشية، فنهض السمعانيان كلاهما بمهمتيهما، وأغنيا المكتبة الواتيكانية بما توفقا إلى جمعه من التحف الكتابية.

وفي سنة 1719 وجه البابا إقليميس عينه كاهنًا مارونيًا قبرصي الأصل اسمه أندراوس إسكندر إلى مدينة الموصل؛ ليشتري مخطوطات عربية وسريانية، فظل هذا الكاهن النشيط شهرين كاملين ضيفًا في بيت القس خدر الكلداني (1679 - 1755)، الذي بالغ في تكريم ضيفه، وسهّل له جميع الوسائل للفوز بأمنيته.

وفقًا لرغائب الحبر الروماني، وقد استخدمه البابوات أيضًا في اقتناء مخطوطات شرقية من أطراف مصر والشام وما بين النهرين، فجمع منها أندراوس إسكندر جانبًا كبيرًا نقله إلى المكتبة الواتيكانية، ثم اشتغل مع السماعنة في طبع بعض تلك الكتب.

الكتب العربية في مكتبات باريس:

لم يكن سعي ملوك فرنسا بأقل من مساعي بابوات روما؛ لإحراز كنوز المخطوطات الشرقية، فإنهم أنشأوا لها فرعًا في خزائن قصورهم ومكتبات عاصمتهم، ولتجهيز ذلك الفرع أوفدوا بعثات علمية إلى الأمصار العربية وغيرها في الحصول على تحف المخطوطات في باريس ومكتبة الأمة، المكنوزة في المساجد والديورة والمدارس والكنائس، هكذا أصبحت من أعظم مكتبات الدنيا وأهمها بندرة كتبها ووفرة مخطوطاتها؛ ففيها ألوف من فرائد المخطوطات والمطبوعات العربية الثمينة.

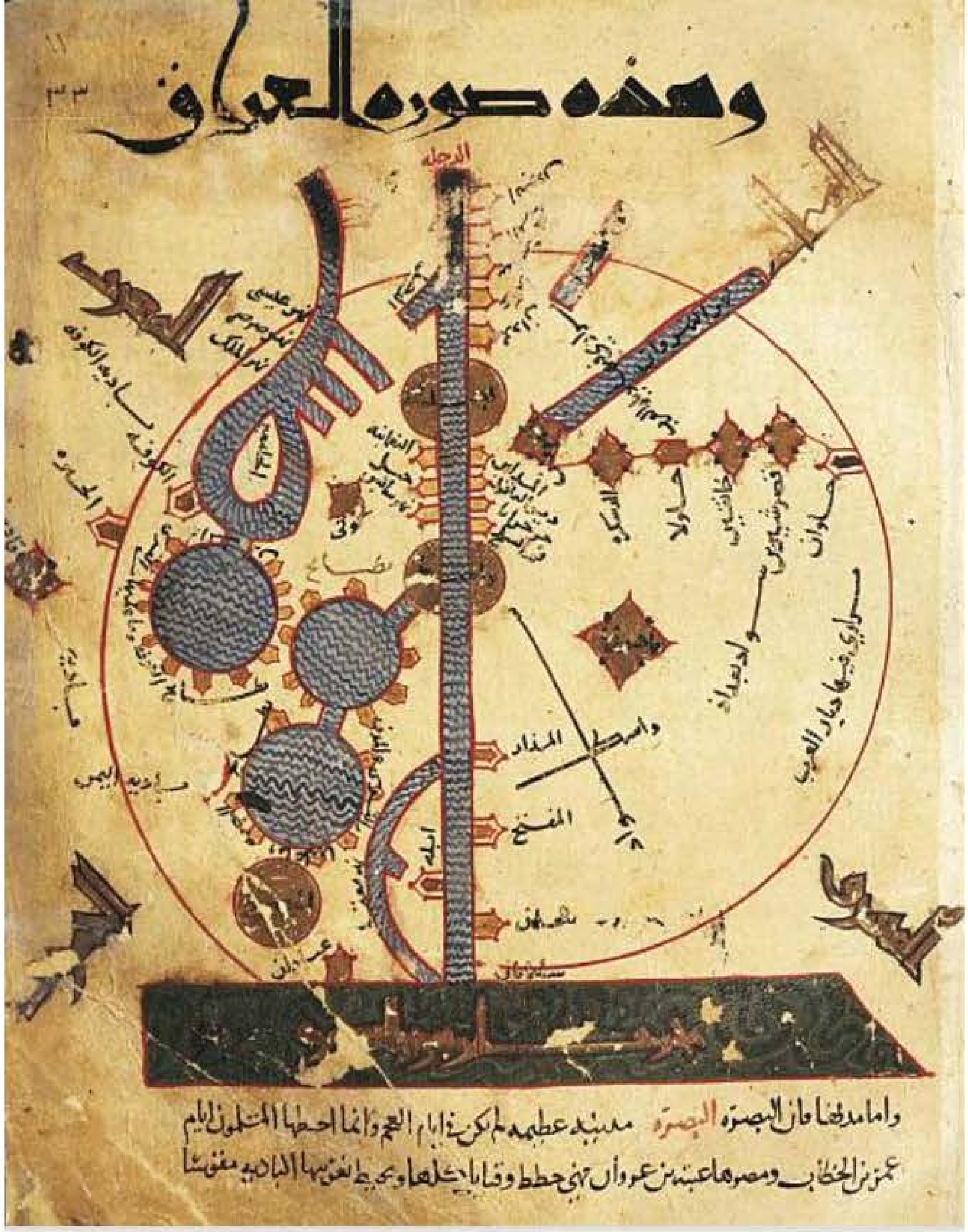
اشتهر لويس الرابع عشر ملك فرنسا (1643 – 1751) بتعزيز اللغة العربية، إذ أنشأ منبرًا خاصًا لتعليمها في المدرسة الملكية، وأنفذ رسلًا إلى مختلف البلدان يفتشون عن مخطوطات في تلك اللغة، وفي غيرها من اللغات الشرقية.

وأقدم ما سطره التاريخ عن البعثات الفرنسية العلمية إلى الأمصار العربية لهذا الهدف، أن الملك لويس الرابع عشر نفسه كلّف سفيره دي مونسو De Monceaux أن يرتحل في مهمة خطيرة إلى المغرب الأقصى، فأوعز إليه بتاريخ 30 كانون الأول/أكتوبر 1667 أن ينقّب تنقيبًا دقيقًا عن مخطوطات عربية ويبتاعها له.

نشاط الإنجليز بشراء المخطوطات العربية:

اشتهرت بعثة المستر تاتام الإنكليزية التي ابتاعت عام 1842 أثمن ما حوته مصر، وكان بينها 300 مخطوطة على رق غزال.

وقد احتذى المبشرون البروتستانت الإنكليز حذو المبشّرين الكاثوليك، فحصلوا عددًا عظيمًا من المخطوطات.



مخطوطة عربية لنهر دجلة

وتحتوي دار الكتب البريطانية (المتحف البريطاني) التي تأسست عام 1753 على مجموعة المخطوطات العربية فيها تحصى بالألوف، وهي تعد بعد مكتبات القاهرة واسطنبول في الدرجة الأولى؛ لما احتوته خزائنها من بدائع المجاميع الخطية، وأغلاها ثمنًا وأقدمها عهدًا.

وللسيد محمد كرد علي بحث قيّم في المخطوطات التي نقلت من الشام إلى أوروبا، قال: «من المصائب التي أصيبت بها الكتب أن بعض دول أوروبا – ومنها فرنسا وحكومات جرمانيا وبريطانيا العظمى وهولاندا وروسيا – أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتبًا تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين. وكان القوم ولا سيما بعض من اتّسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع، بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل أن يفضلوا درهمًا على أنفس كتاب، فخانوا الأمانة واستحلوا بيع ما تحت أيديهم أو سرقة ما عند غيرهم، والتصرف فيه كأنه ملكهم.

حدثني الثقة أن أحد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل بعض أرباب العمائم في دمشق، ويختلف إلى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع، فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة بأثمان زهيدة، وكان يبيعها على الأغلب، وأكثرها في غير علوم الفقه والحديث من قنصل بروسيا إذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها أبيض. وبقي هذا سنين يبتاع الأسفار المخطوطة من أطراف الشام، فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها إلى بلاده، فأخذتها حكومته منه وكافأته عليها، والغالب أن معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الأمة في برلين هي من بلاد الشام. وفهرس هذه الخزانة من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا الملحق. وتكون فهارس الكتب العربية في خزائن الغرب اليوم خزانة برأسها. وإن بعيدًا يُحسن القيام على هذا التراث الوافر لأحرى به من قريب يبدده جزافًا. وإن أممًا عرفتنا أكثر مما عرفنا أنفسنا، حتى قال أحد علمائهم: إن العرب وضعوا من المصنفات ما لا يستطيع أحدنا أن يقرأه طول عمره، لجديرون بإرث الشرق في مادياته ومعنوياته، كما قلنا من فصل في مجلة المقتطف منذ أربع وعشرين سنة. نعم إن كتبًا تترك للأرضة تعبث فيها، والعفن يعبث بجمال جسمها ورسمها، وتحرم النور ويعفي أثرها الغبار والأوساخ، ويحرم النظر فيها على من يحسن الاستفادة منها، أو تفضل عليها دريهمات معدودة، حرية بأن تكون في ملك من يستفيد منها ويفيده.

ومن السماسرة الغربيين الذين ابتاعوا كميات وافرة من مخطوطات بلاد الشام، وبعثوا بها إلى غلاة الكتب في أوروبا. نذكر منهم أدمون دوريغلو في صيدا وهنري داريكارير مدير فندق السياح بيروت في عهد مضى. وكان هذا الأخير خبيرًا بالخط الكوفي على اختلاف أشكاله يقرأه بسهولة وسرعة، كأمهر علماء الاستشراق.

وممن لم يزل في قيد الحياة من عشّاق المخطوطات الشرقية وسماسرتها الفرنسي النّحلة، فقد اعتاد هذا الرحالة أن يختلف إلى الأمصار العربية Lépine مسيو لپين عامًا بعد عام؛ للتنقيب عن مخطوطات نفيسة ونادرة فيشتريها بأغلى الأسعار، ثم يعود بعد كل رحلة إلى بلاده حاملًا ما لا يُحصى من التحف الكتابية.

وبدءًا من القرن الثامن وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، تم الاستحواذ على المخطوطات من كل من الدول العربية ودول أخرى بها جاليات عربية وإسلامية مثل الهند والصين وإندونيسيا وماليزيا وغرب أفريقيا، حيث تُبرز تلك المخطوطات تنوعًا رائعًا في الأسلوب والكتابة.

من بين المجموعات الخاصة المتوفرة لدى مقتنيات المكتبة البريطانية في الوقت الحاضر مجموعات تأسيس المتحف البريطاني في سنة 1753. والتي اشتملت على مجموعات العالم الفيزيائي السير هانز سلون (1660 – 1753)، حيث تتضمن تلك المجموعات حوالي 120 مخطوطة عربية، ومجموعة كلوديوس جيمس ريتش (1786 – 1821)، التي اشتراها المتحف البريطاني في سنة 1825 ومجموعة ريتشارد جونسون (1753 – 1807)، التي اشترتها شركة الهند الشرقية في 1807. وهذه أمثلة نموذجية للطريقة التي جاءت بها تلك المخطوطات إلى المكتبة، سواءً عن طريق الهدايا أو عن طريق شرائها من الأشخاص الذين عملوا في الهند أو الشرق الأوسط لصالح بريطانيا بصفة رسمية. كان ريتش مقيمًا في بلاط الباشا في بغداد، حيث كان في وضع يؤهله لإتقان اللغات الشرقية، ولجمع مجموعة تضم 390 مخطوطة من المخطوطات العربية. هذا وقد تمكن جونسون من خلال عمله لدى شركة الهند الشرقية في لكناو وحيدر آباد من إقامة علاقات وطيدة مع كبار الفنانين والكُتّاب، والتي حصل من خلالهما على مجموعة فريدة من المخطوطات.

كان توماس هوارد (1568 – 1646)، الإيرل الثاني لأروندل، سياسي ومن جامعون الأعمال الفنية، حيث جمع

550 مخطوطة موجودة الآن في المكتبة البريطانية، منها 43 مخطوطة عربية أهديت إلى الجمعية الملكية واشتراها منها المتحف البريطاني في سنة 1831، وقد قام جورج الرابع (1820 – 1830) بنقل مجموعة مخطوطات الملك جورج الثالث (حكم من 1760 – 1820)، التي تتضمن سبعة مخطوطات عربية، إلى المتحف البريطاني في 1823.

إقامة معارض الكتب

وقد اعتادت دور الكتب الأوروبية بإقامة معارض للكتب العربية مثل: دار الكتب الأهلية في باريس، والمتحف البريطاني في لندن، ومكتبتا برلين وفيينا، وفي نيسان/أبريل 1925 عرضت المكتبة الأهلية بباريس: حيث استعرضت فيه أفخر ما لديها من المخطوطات المدبجة بالزخارف والتصاوير في اللغات الشرقية، كالعربية والسريانية والعبرانية والفارسية والتركية والحبشية والقبطية، وجرى افتتاح ذلك المعرض رسميًا برئاسة الرئيس الفرنسي غستون دومرغ.

ومن أضخم المعارض للمخطوطات الإسلامية معرض للمخطوطات الإسلامية أنشئ في المتحف البريطاني بلندن سنة 1934 بإدارة المستر تتستريتي، فقد احتوى على رقوق نادرة، وخطوط غريبة الأشكال، ومصاحف كتبت في عصور مختلفة، ومصنَّفات ذات قيمة تاريخية، وشوهد بين تلك الكنوز مخطوطات اقتناها المتحف البريطاني بما يوازي ثقلها ذهبًا، ومما برهن على خطورة ذلك المعرض أن الملك جورج الخامس، والملكة ماري زوجته شرفاه بزيارتهما الملكية.

في السنة 1925 أنشأت معرضًا للكتب القديمة ضم ما لا يُحصى من المخطوطات العربية، وغير خافٍ أن مكتبات لينتفراد حافلة بنفائس الآثار، وفيها الشيء الكثير من تلك الذخائر القديمة، وأهم المخطوطات المذكورة محفوظ بكل حرص في ثلاث مكتبات، وهي: المكتبة العمومية، ومكتبة الكلية، ومكتبة المتحف الآسيوي.

وفي تركيا كان للخليفة عبدالحميد الثاني السلطان العثماني (1876 – 1909) شغف عظيم بالمخطوطات القديمة الجميلة، حشد منها طائفة صالحة في خزائن ه بلدزه قصره في الأستانة، وكان يتباهى بها أمام الملوك والعظماء، الذين يزورونه.

دير الإسكوريال ومكتبته

الإسكوريال اسم لدير كبير شُيِّدَ سنة 1567 على بعد خمسين كيلومترًا من مدريد، بأمر الملك فيليب الثاني (1562 – 1584) وفيه تُحف، وقد طالعنا وصفًا لهذا الدير ومكتبته جديرًا بالاعتبار بقلم السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق قال: «وأهم ما يلفت النظر في هذا الدير دار كتبه، وفيها 45 ألفًا من المجلدات حوت كثيرًا من المخطوطات والنقوش والرسوم، ومنها الكتاب المقدس الذي كان يقرأ فيه بعض ملوك إسبانيا في القرون الوسطى وبعضها كتب باللاتينية، ومنها ما كتب بالإسبانيولية أو اليونانية، ومنها المزيّن بأجمل الرسوم، ومنها المذهّب المكتوب على رق، ويهمنا من هذه المكتبة مجموعة الكتب العربية، وهي ألفا مجلد كانت السفن الإسبانية غنمتها من مركب لأحد ملوك مراكش المتأخرين.

وكان في هذا الدير قبل القرن السابع عشر نحو ثلاثة آلاف مخطوط عربي، فالتهمتها النار في الحريق الذي شب في الدير مع ما التهمت من الكتب الأخرى».

وروى السيد محمد كرد علي عن مصدر مخطوطات الإسكوريال قال: «نفيسة الكتب العربية في خزانة الإسكوريال إسبانية المصدر كلها، كما أكد لنا أحد علماء الإسبان أن الإسبان غنموا هذه الكتب من سفينة كانت لأحد سلاطين المغرب الأقصى، فوقعت في أيدي الإسبان، وقال آخر: إن أصل هذه المجموعة كان لأحد سفراء إسبانيا لدى الباب العالي، ولما غادر الأستانة أهداها لمليكه، فوضعها هذا في الدير الذي كان ملكًا له ولآله من بعده، والرواية الأولى أصح».

واشتملت خزانة الإسكوريال على تحف كتابية لا أثر لها في سائر الخزائن شرقًا وغربًا، ففيها أشكال خطوط كوفية وقيروانية وأندلسية ومزركشة وغيرها، وفيها مصاحف مذهبة ومخطوطات مصوَّرة أو مزخرفة بشتى الألوان، وفيها أيضًا مخطوطات جُلِّدَتْ بأديم الأفاعي، وذلك من أندر أنواع التجليد وأغربها.

ويؤكد الباحث المختص في مجال المخطوطات الدكتور عبد الله عسيلان لصحيفة الوطن السعودية: أن هناك الكثير من المخطوطات النادرة التي تباع أو تتداول بين الباحثين في المكتبات والمتاحف الغربية، أخذت من أربطة ومكتبات المدينة المنورة في فترات زمنية مختلفة، وأضاف: من المعروف أن الرحالة أمين حسن حلواني قد حصل قبل أكثر من 100 عام على مجموعة مخطوطات عن طريق الأربطة وبعض مكتبات المدينة، حيث إنها كانت تباع آنذاك في أماكن عدة، وقد ذكر قاسم السامرائي على هجرة تلك المخطوطات وبيع الحلواني لها في كتابه "الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية"، فقد انتشر في عهد الحلواني تجار المخطوطات من مصر وتونس، أما الحلواني فحصل على بعض المخطوطات في عهده وقام ببيعها على مكتبة "بريل".

ويسرد العسيلان طريقة خروج الكثير من مخطوطات المدينة المنورة إلى أوروبا قائلاً: المخطوطات كانت تباع قبل حوالي أكثر من 40 عامًا في سوق الحراج الواقع في آخر شارع العينية آنذاك بالمدينة المنورة، وقد شهدت بعيني بيع بعضها، حيث كانت تباع أشهر المخطوطات، حيث اقتنيت شخصيًا مخطوطات عدة آنذاك، ويضيف: يفترض بمخطوطات البلد ألا تخرج منه لأنها تراثه إلا أنها تبعثرت في أوروبا وهولندا وألمانيا والمتحف البريطاني ومكتبة الكونجرس والكثير منها مخطوطات سربت من المدينة ومكة وتونس وأجزاء أخرى من العالم العربي، حتى إن في تركيا عددًا كبيرًا من المخطوطات تم الحصول عليها في أثناء حكم الدولة العثمانية، ويستدرك: لكن للحق أن تلك المخطوطات التي أودعت في تركيا أو مكتبات أوروبية حفظت من الضياع فحفظها في تلك المكتبات أفضل من أن تكون بيعت على أناس لا يُعرف من هم، ولا نستطيع الوصول إليهم، فكان ذلك التسرب عاملاً مهمًّا لحفظها.



شرح شرح المجسطي، الحسن بن محمد نيسابوري ظ1 (13/702)



صفحة من القرآن الكريم، الفن الإسلامي، القرن الحادي عشر



المخطوطات العربية في المكتبات العالمية

صنف العلماء العرب والمسلمون المصنفات في مختلف ميادين العلوم في اللغة والأدب وأصول الدين وعلوم الحديث والسيرة النبوية وعلوم الفلك والحساب والطب وغيرها.

لكن بعض هذا التراث العظيم اندثر لأسباب عديدة، منها الحروب والفتن والحرائق ويقدر عدد المخطوطات العربية بأكثر من ثلاثة ملايين مخطوطة مبعثرة في المكتبات الغربية.



صفحات من القرآن، المخطوطة العربية في القرن الخامس عشر

المكتبة البريطانية

تتمتع مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية بإشادة عالمية بوصفها واحدة من أكبر وأرقى المجموعات في أوروبا وأمريكا الشمالية، حيث تضم قرابة 15.000 مخطوطة مصنفة في نحو 14.000 مجلد. وتتألف المجموعة من اثنتين من المجموعات التاريخية: المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة المتحف البريطاني القديم، وتلك الموجودة في المكتبة التابعة لمكتب الهند، والتي كانت جزءًا من وزارة الخارجية البريطانية سابقًا.

وتحظى هذه المجموعة بشهرة عالمية لسببين: محتوياتها، وتنوع موضوعاتها، إذ تحتوي المجموعة على تشكيلة من أروع المخطوطات النفيسة للقرآن الكريم، وكذلك نسخ موقّعة عالية الجودة من الأعمال القانونية والتاريخية والأدبية والعلمية المهمة. كما تتسم موضوعات المجموعة بتنوعها الكبير، حيث تغطي علوم القرآن والتفسير والحديث وعلم الكلام والفقه الإسلامي والتصوف والفلسفة والنحو وفقه اللغة العربية والمعاجم والشعر وأنواع الأدب الأخرى، والتاريخ والطوبوغرافيا والسير والموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم والطب والنصوص المتعلقة بالدروز والبهائيين والأدب المسيحي والأدب اليهودي، وغيرها من الموضوعات مثل السحر والرماية والصيد بالصقور وتفسير الأحلام.

المخطوطات العربية في مكتبات تركيا:

تزخر مدينة إسطنبول اليوم بعدد كبير من المكتبات، كما تتوزّع مكتبات كثيرة أخرى في مدن مختلفة من أنحاء تركيا. وأغلب هذه المكتبات أنشئت في العهد العثماني وتمّ الحفاظ عليها بعناية حتّى اليوم. ولقد رافق نشاط العثمانيّين في الجهاد والفتوح نشاط آخر في عالم الكتب.

أشهر المكتبات في تركيا

ولمّا كان النّاس على دين ملوكهم فإنّهم عادة ما يقلّدونهم في ما يصنعون، ولذلك اقتدى بالسّلاطين في ذلك الوُزراءُ ومشايخُ الإسلام. وبسبب ذلك، فالمخطوطات في تركيا يمكن أن ننسبها إلى ثلاث جهات أساسيّة: السّلاطين، مثل مكتبة السّلطان سليم الأول، وهي المكتبة السّليمية في أدرنة، ومكتبات السّلطان محمد الفاتح والسّلطان بايزيد والسّلطان أحمد الثّالث، ومكتبة السّليمانية نسبة إلى السّلطان سليمان القانوني، وهذه المكتبات كلّها بإسطنبول.

أما الجهة الثانية فهي: الوزراء مثل راغب باشا، وشهيد علي باشا وكوبريلي باشا.

والجهة الثالثة فهي مشايخ الإسلام: مثل أسعد أفندي، وعاشر أفندي، وولي الدّين أفندي، وعاطف أفندي، وفيض الله أفندي، وعلي أميري أفندي، ووهبي أفندي، والشّيخ مراد أفندي، وجميع هذه المكتبات بإسطنبول.

ومع هذه الجهات الثلاث ظهرت طائفة النّساء اللائي عنين بجمع المخطوطات، فأنشأن لها مكتبات نُسبت إليهن مثل مكتبة طرخان، وصالحة خاتون، وأسماء خان، وجلنوش، وبرتونيال، وكثير من المكتبات التي تسمى "والدة باشا" ثم تُضاف إلى ابنها السلطان.

اهتمام العُثمانيين بحفظ العلم

ولعل هذا التّنافس في جمع المخطوطات وإنشاء المكتبات بهذا العدد الكبير في إسطنبول كان مبعثه رغبة سلاطين آل عثمان والوزراء ومشايخ الإسلام والوجهاء أن يكون لإسطنبول تلك المكانة التي كانت لدمشق عاصمة الأمويين وبغداد عاصمة العباسيين ومصر عاصمة الفاطميين والأيوبيين والمماليك.

وإذا كان الباحثون يرجّحون أن عدد المخطوطات في العالم هي في حدود 3 ملايين مخطوط فإن نحو الثّلث منها تقريبًا يُوجد في تُركيا.

وتنفرد إسطنبول بنحو الثلثين من المخطوطات الموجودة في تركيا كلها، فهي بحق مدينة المآذن والمخطوطات. وبالإضافة إلى المكتبات التي تُنسب إلى السّلاطين والوزراء ومشايخ الإسلام توجد مكتبات أخرى غير





هذه المكتبات المنسوبة، مثل مكتبة طوب قابي صراي، ومكتبة نور عثمانية، ومكتبة مراد ملا، ومكتبة البلدية، ومكتبة جامعة اسطنبول وملّت كتبخانة، ومكتبة سليم آغا بأسكودار في الجهة الآسيوية من إسطنبول.

"السليمانية" أشهر مكتبات تركيا

ومن أشهر المكتبات بإسطنبول مكتبة السّليمانية، وقد أمر بإنشائها السّلطان سليمان القانوني، التي انتهى بنائها عام 1557م، وتحتوي هذه المكتبة اليوم على 101 خزانة كتب.

وتشكّل المخطوطات العربية في هذه المكتبة نسبة 73%، وفقاً لدراسة الباحثة التركية "هوليا دبيك كايا- أوغلو" المنشورة تحت عنوان: "من مكتبة السليمانية العامة إلى مكتبة السليمانية للمخطوطات".

أمّا المخطوطات الموجودة فيها فهي 63947 مجلداً، والمطبوع منها 38500 مجلد فقط، منها: والمخطوطات التّركية فيها 11451 مجلداً، أمّا المخطوطات العربية فيبلغ عددها 48854 مجلداً، والمخطوطات الفارسية 3641 مجلداً، ويبلغ عدد المخطوطات الموجودة في المكتبة أكثر من 100 ألف كتاب ورسالة.

ويذكر أيمن فؤاد السيد في كتابه: "الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات" إن أهم مجموعة من المخطوطات خارج العالم العربي هي في تركيا، ويقدر عدد المخطوطات العربية في تركيا بـ250 ألف مخطوط، القسم الأكبر منها في مكتبتي اسطنبول والأناضول، وحين سأل عالم المخطوطات المستشرق الألماني هلموت ريتر Hellmut Ritter صديقه الفقيه التركي خوجا شرف الدين "كيف استطعتم أن تجمعوا كل هذه الكتب؟"، أجابه بكلمة واحدة: "بالسيف"، يقول ريتر: "في الحقيقة، إن قسمًا كبيرًا من هذه الكنوز كان أسلابًا وغنيمة، فقد ورث العثمانيون الدول الإسلامية السابقة بعد انتقال الخلافة إليهم، فكان من الطبيعي أن يحملوا لعاصمتهم من البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم الإنتاج الفكري".

أبرز المخطوطات العربية في تركيا بحسب كتاب "أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم" لكوركيس عواد، نسخة من المصحف وجدت بالخط الكوفي وكتب عليها "إن هذا المصحف الشريف كتبه الإمام الشهيد ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، إملاء من أفواه الصحابة القراء في عصره الذين أخذوا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ونسخة من "بقية الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات" تعود إلى القرن الثالث الهجري، وهي مختارات من شعر العرب الذي رواه الأصمعي، بالإضافة إلى نسخة من "المعلقات السبع" كتبها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، وهي نسخة نفيسة جداً كتبت عام 338 هـ.

إيران:

ثاني أهم الدول التي يوجد فيها مخطوطات عربية بعد تركيا هي إيران، يذكر عبدالستار الحلوجي في كتابه "المخطوطات الإسلامية في العالم" أن عدد المخطوطات فيها يقدّر بحوالي مئتي ألف مخطوط، والسبب في ذلك أن بلاد فارس كانت محط أنظار المسلمين الأوائل، بدأت عملية ضمها للخلافة الإسلامية منذ تولي أبو بكر الصديق الخلافة، لكن من نجح في ذلك كان عمر ابن الخطاب، وحينذاك وفد الآلاف من العلماء والكتاب والدارسين العرب إليها ينهلون من علومها، ويمنحونها علمهم.

تتوزع المخطوطات في إيران في تسع عشرة مدينة صدر لها نحوُ مئتي فهرس، أبرز هذه المدن طهران وتبريز وأصفهان وزنجان وقم ومشهد، أما أهم المكتبات فمكتبة "آية الله مرعشي النجفي" التي تحوي قرابة 40 ألف مخطوط إسلامي نادر، و"مكتبة العتبة الرضوية المقدسة" التي تضم نحو 26 ألف مخطوطة، والمكتبة الوطنية الإيرانية التي تضم قرابة 18 ألف مخطوط.

ومن أبرز المخطوطات الموجودة، نسخة من المصحف الشريف مكتوبة على الرق بالخط الكوفي جاء في آخرها "كتبه علي بن أبي طالب سنة أربعين من الهجرة"، وكتاب "المرصع" لابن الأثير مكتوبة بخط يد المؤلف نفسه، ونسخة من "آداب الفلاسفة" لحنين بن إسحاق وهي مخطوطة قديمة جدًّا يعود تاريخ كتابتها لعام 249هـ.

ألمانيا:

ألمانيا هي الدولة الوحيدة التي سعت للمخطوطات العربية بغرض العلم، وأعانت نشر العديد منها وطباعته وفهرسته وصيانته وترميمه، واعتمد الألمان في جمع المخطوطات على الإهداءات والشراء لا على الاستيلاء، لكون ألمانيا لم يكن لها أطماع استعمارية في العالم العربي، يقدر عدد المخطوطات العربية والإسلامية التي تحتفظ بها المكتبات والمجموعات الخاصة والعامة الألمانية بأكثر من 40 ألف مخطوط، والقسم الأكبر منها مفهرس يعرفه الباحثون والعلماء المهتمون بدراسة التراث وتحقيقه، تحوي مكتبة الدولة في برلين وحدها 11.730 مخطوطًا، ومكتبة الدولة البافارية 3.894، أما المكتبة الدوقية في جوته فتضم 3.317.

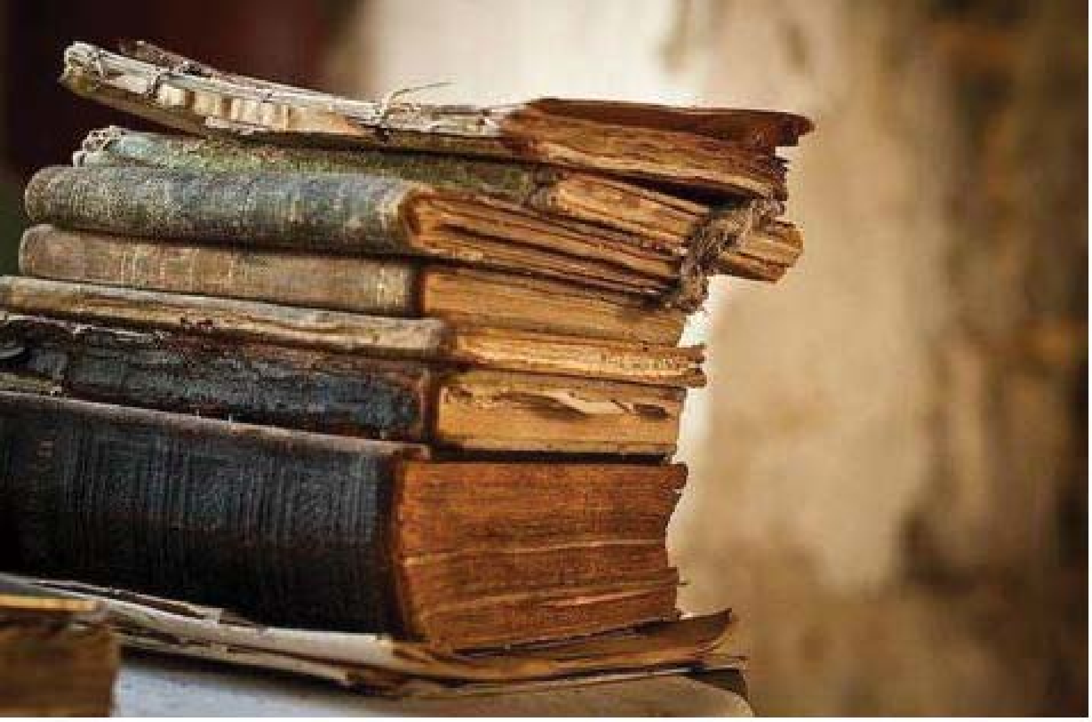
المخطوطات الأبرز التي تقتنيها ألمانيا وفقًا لكتاب "أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم" تتمثل في نسخة من كتاب "الجامع الصحيح" (الجزء الثاني) للبخاري، ويعود تاريخها إلى عام 425 هـ، ونسخة من "تاريخ الرسل والملوك" لمحمد بن جرير الطبري ويعود تاريخها إلى 447 هـ، ونسخة من "ديوان أبي العلاء المعري" تعود لعام 475 هـ.

فرنسا:

يعود اهتمام الفرنسيين بالمخطوطات العربية إلى القرن السادس عشر الميلادي، وكان الاقتناء في البداية يعتمد على الأفراد، ولكن ما لبث أن تحول إلى شغف، وتحول من الاهتمام بشراء المخطوطات إلى البحث عن كيفية الاستيلاء عليها، الفترة التي قضاها نابليون في مصر (1798 . 1801) شهدت سلب عدد لا بأس به من المخطوطات العربية من القاهرة، بحسب عبدالستار الحلوجي صاحب كتاب "المخطوطات الإسلامية في العالم".

قدر بعض محققي التراث في العالم العربي المخطوطات العربية في فرنسا بحوالي 8500 مخطوط، لكن المكتبة الوطنية في باريس، وهي صاحبة أكبر تجمع للمخطوطات العربية في فرنسا، تمتلك نحو 7200 مخطوط.

أبرز ما تقتنيه المكتبة الوطنية في باريس هو مخطوط مكون من خمسة آلاف ورقة مختلفة من مصاحف قديمة جدًّا، تراوح أزمنة كتاباتها بين القرن الثاني والخامس للهجرة، وأغلبها مكتوب على رق الغزال بالخط الكوفي، وما يزيد على 10 مؤلفات للترمذي تعود فترة كتابتها إلى القرن الخامس الهجري، ونسخة من "العلل والأمراض"



لجالينوس، والذي نقله إلى العربية حنين بن إسحاق عام 232 هـ. أما مدينة نيس الفرنسية، فلديها مجموعة من المخطوطات العربية أبرزها "أخبار أبي نواس" التي يعود تاريخها للعام 493 هـ.

إسبانيا:

انحفظ جانب إسبانيا تتحصد المخطوطات العربية، فما تبقى منها في المدن الإسلامية الأندلسية كغرناطة وقرطبة وإشبيلية وبلنسية ومرسية وغيرها، ضُم إلى مكتبة دير الإسكوريال El Escorial في مدريد. كما ضمت إلى مكتبة الدير في عام 1612 "خزانة مولاي زيدان السعدي" ملك مراكش، التي كان ينقلها في سفينة في أثناء صراعه مع إخوته، واختطفها قراصنة إسبان في عرض البحر ظنًا منهم أن الصناديق تحتوي على ذهب، وأهدوها إلى ملك إسبانيا. تحتوى هذه المجموعة على مخطوطات يراوح عددها بين 4 و5 آلاف.

تحتفظ المكتبة الوطنية بمدريد بحوالي 2000 مخطوطة عربية كما يذكر أيمن فؤاد سيد في "الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات"، وتقدر المخطوطات العربية في دير الأسكوريال ما بين ألفي وثلاثة آلاف، وكان عددها أكبر من ذلك إلى أن نشب حريق هائل بها عام 1671 أحرق عدداً لا بأس به منها.

ضمت مكتبة دير الأسكوريال نسخاً نادرة من بينها "جمع القوانين المقدسة"، وهي نسخة قديمة ممزقة لا يعرف مؤلفها جمعت فيها قوانين كنسية، وتعود إلى العام 480 هـ، ونسخة من شرح الموطأ لابن مالك ويعرف بـ"المنتقى"، كتب عام 474 هـ، ونسخة من "مختصر ابن سيناء في استعمال الترياق والسكنجبين" وكتب في عام 473 هـ، ونسخة من "نسب عدنان وقحطان" للمبرد وكتب عام 450 هـ.

أمريكا:

دخلت أمريكا حقل المخطوطات العربية أخيرًا، أي في أوائل القرن التاسع عشر. اعتمدت على شراء المخطوطات ونجحت في اقتناء مجموعات نادرة يصعب حصر عددها. فجامعة برنستون Princeton University تمتلك أكبر عدد من المخطوطات العربية والإسلامية في أمريكا، وفيها العديد من نوادر المخطوطات من حيث القدم والناحية الفنية، إما لأنها مكتوبة بخط مؤلفيها أو لكونها مزخرفة ومذهبة، ومن ضمنها كتاب «الثيازك» لأرسطوطاليس نقله إلى العربية حنين بن إسحاق. أما مكتبة الكونجرس الأميركي فتضم حوالي 1700 مخطوطة عربية، منها نسخة من القرآن الكريم على رق غزال تعود إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري.

أيضًا هناك مخطوطات متناثرة. فمتحف متروبوليتان للفن بنيويورك The Metropolitan Museum of Art يضم أوراقًا قديمة جدًا متفرقة من مصاحف ترجع إلى القرون الأولى للهجرة. أما المعهد الشرقي بشيكاغو فيضم قطعة قديمة من كتاب "ألف ليلة وليلة" تعود إلى القرن الثالث للهجرة، وهي أقدم ما يعرف من نسخ ألف ليلة وليلة.

إسرائيل:

تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على أكثر من 30 ألف كتاب ومخطوطة من المكتبات الفلسطينية في بيوت القدس، وأعلنت أنها تمتلك "مجموعة تيجان دمشق"، وهي مخطوطات عبرية سرقت من الشام قبل أعوام.

تضم المكتبة الوطنية الإسرائيلية مخطوطات إسلامية نادرة، من بينها مصحفان من القرن الثاني للهجرة، ويرجح أنها حصلت على مجموعة المخطوطات الإسلامية كهبة من العالم اليهودي أبراهام شالوم يهودا، وهو من أوائل الباحثين في الشأن الإسلامي في بدايات القرن العشرين. تتكون المجموعة من 1184 مخطوطًا قديمًا، من ضمنها 100 مصحف، يعود أحدها إلى القرن الثاني الهجري، واثنان إلى القرنين الرابع والخامس الهجري، ومصدرها أنطاليا والأندلس وبلاد فارس. تعد هذه المجموعة من أكبر مجموعات المخطوطات الإسلامية في الغرب وأهمها.

الهند:

كانت بداية الفتح العربي لبلاد الهند بفتح محمد بن القاسم للسند سنة 92 هـ/711م، ولكن العرب لم يواصلوا طريقهم في فتح عموم الهند، غير أن حكام المسلمين من الغزنويين، الغورية، والمغول، والخلجية أخضعوا سائر بلاد الهند لسيطرتهم باسم الإسلام حتى مجيء البريطانيين الذين نفوا آخر أباطرة المغول سنة 1857. وطيلة مدة الحكم الإسلامي للهند ظهر فيها مجموعة من العلماء المسلمين، وخاصة من المتأخرين، أثروا الحياة الأدبية والعلمية، وبقيت بعض آثارهم في المكتبات، عامة وخاصة، ومعظم الجامعات الهندية. ولكن الدراسات حول هذه الآثار قليلة، واهتمام الدول العربية بهذه الثروة لايكاد يذكر. وعلى الرغم من أن بريطانيا استولت على كثير من الآثار الهندية، فإن معظم المخطوطات العربية بقيت في الهند.

واحتضنت الهند جزءًا من الثقافة العربية لمئات من السنين، ويوجد في مدنها وقراها، وفي مدارسها وجوامعها، الآلاف من المخطوطات، ولكن كيف وصلت هذه الآلاف من المخطوطات العربية إلى هذه البلاد التي لا تتحدث العربية؟ وما دور العرب في إنقاذ هذه الثروة العظيمة؟

تسرَّبت الثقافة العربية وآدابها إلى هذه البلاد مع الفتح الإسلامي لأجزاء منها، ومع حكام جاءوا من بلاد العرب وبلاد الفرس والأفغان ليؤسسوا ممالك وإمارات متعددة، خلفت وراءها مجموعات كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية والأردية والتركية، ولكن غلبت عليها العربية لاتصالها بالدين الإسلامي الحنيف.

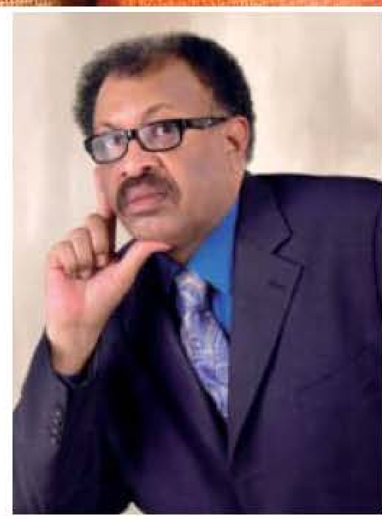
تحتضن جمهورية الهند حوالي مئة وخمسين ألف مخطوطة (150.000) وحوالي 40% هي مخطوطات باللغة العربية، أي ما يزيد على خمسة وخمسين ألف (55.000) مخطوط عربي، يرجع بعضها إلى القرن الأول الهجري، وفي بعض الهيئات العلمية يوجد ما بين ثمانية آلاف إلى حوالي اثني عشر ألف مخطوط عربي تحتاج إلى مساعدة لإنقاذها وفهرستها وتصويرها.

ومنذ القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام في الهند بحفظ المخطوطات وتسجيلها، فقام بعض الباحثين، وخاصة من المسلمين الهنود، بإعداد سجل لبعض المخطوطات، وقام البعض الآخر بإعداد وصف بسيط يشمل اسم المخطوطة ومؤلفها وموضوعها، ثم تطور الاهتمام بهذه المخطوطات، فقام بعض العلماء الهنود بتحقيق مجموعة من المخطوطات العربية، وخاصة ما قامت به دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، أو مكتبة رضا برامبور، وغيرهما من المراكز الثقافية الهندية.



كتب المبدعين

"كتاب "مع بورخيس" جميل فعلاً ومعرفي إلى أقصى حد، ومحتشد على الرغم من قصره بمواقف كثيرة تستحق تأملها في حياة واحد من الذين اخترعتهم الكتابة الجيدة، وأخلصوا لها، وكان شيئًا مبهجًا أن تقرأ عن خورخي لويس بورخيس بقلم ألبرتو مانغويل أحد أساتذة المعرفة المطلوبين بشدة هذه الأيام."



د. أمير تاج السر
كاتب وروائي سوداني

من الكتب التي أعتبرها مشوقة جدًّا، وتكسر الملل الذي ينشأ أحيانًا من القراءة المتواصلة للإبداع من شعر ونثر تلك التي تتحدث عن حياة المبدعين من التي إما يكتبونها بأنفسهم في شكل مقال طويل، أو عدة مقالات، أو يكتبها أشخاص كانوا لصيقين بهم لفترة من الزمن.

هنا لا أعني السيرة الذاتية الكاملة التي تمثل حياة المبدع في شتى صورها فهي معروفة ومنتشرة، وإنما التي لها علاقة بالقراءة والكتابة، أي كيف كان يفكر ذلك المبدع؟ ماذا قرأ وكيف كان ينتقي النصوص التي سيقرأها؟ وماذا تحوي مكتبته بخلاف المكتبات المألوفة لهواة القراءة؟ وما رأيه في المبدعين الآخرين الذين عاصروه أو سبقوه أو أتوا بعده؟

من الكتب التي استهوتني في هذا المجال ما كتبه التركي أورهان باموق في كتابه "ألوان أخرى"، وهو حقيقة تجميع لما كتبه باموق من مقالات منذ بداياته وحتى أصبح نجمًا إبداعيًّا حاصلاً على نوبل الآداب.

هنا لا نجد سيرة كبيرة لإسطنبول التي اعتاد باموق أن يجعلها رصيفًا أو متكأ وارفًا لذكرياته، ذلك أن الكتاب يخص الأدب وحده، وقد حمل مجموعة قراءات شيقة لآثار كتاب معلمين مثل البيرو في يوسا، والروسي ديستوفسكي، وكافكا بالطبع الذي كان ولا يزال معلمًا كبيرًا لشتى أجيال الكتابة، ويعد عمله "المسخ" من أجلّ ما كتب في الأدب.

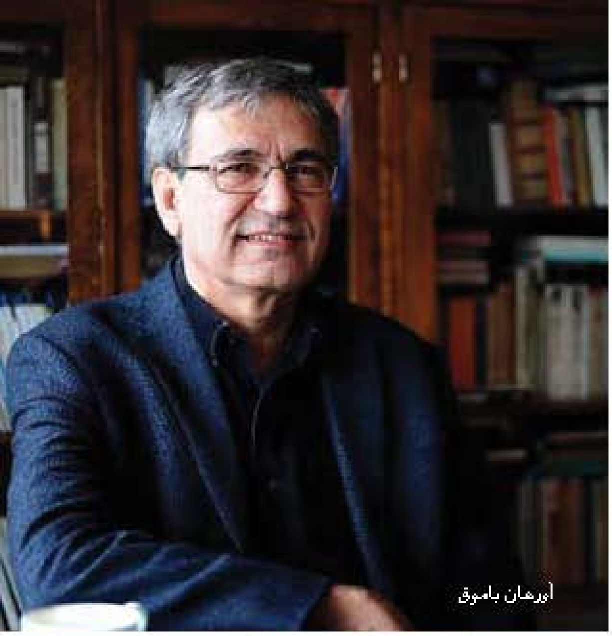
أيضًا تحدث باموق عن كيفية قراءته للنصوص، وكيفية الاستعداد لكتابة نص، وماذا تمثل المكتبة لديه، والشارع لديه، والسفر الذي تعرف إلى سكته مبكرًا بحكم إقامة والده في أوروبا، ولعل الآراء التي ذكرها في الكتابة والكتاب وبينت مواضع افتتانه ومواضع استيائه هي التي تجعل كتابه عملاً حرًّا ومطلوبًا للقراءة بشدة.

كتاب السيرة الذي كتبه البروفيسور البريطاني جيرالد مارتن عن ماركيز يبدو أكثر قربًا للآراء الأدبية من كتاب ماركيز الشخصي "عشناها لنرويها"، ذلك أن ماركيز كتب سيرته كاملة منذ بداية حياته في تلك القرية الكاريبية من قرى كولومبيا وحتى أصبح علمًا أدبيًّا كبيرًا.

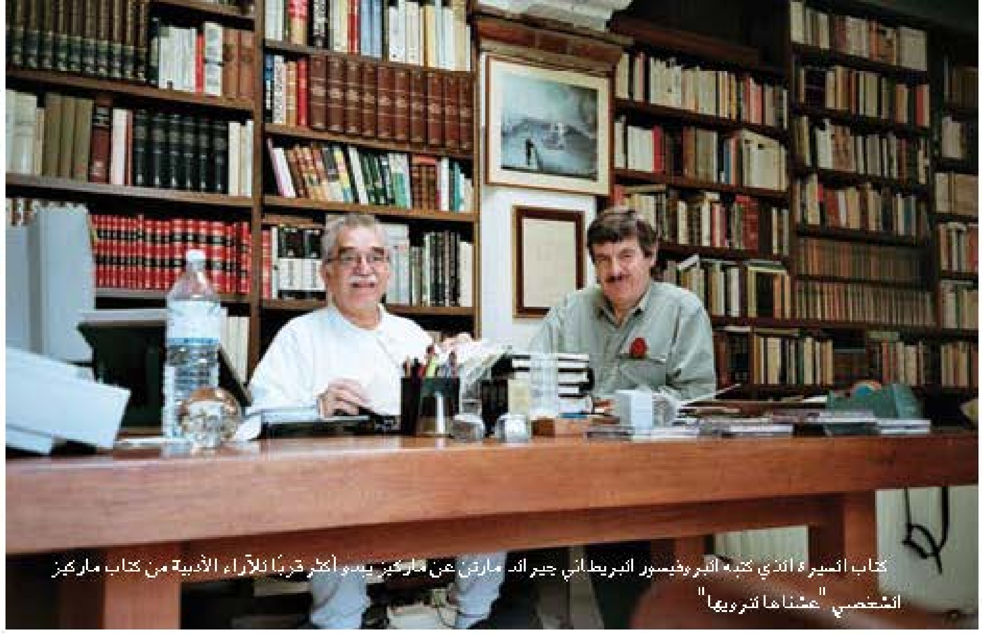
لكن جيرالد مارتن - الذي قضى سنوات طويلة ينبش في حياة ماركيز، ويقترب منه ويبتعد وثق لقراءاته المتنوعة، وتأثير الآخرين فيه، وكيف كان يقرأ أو يكتب، وعن فترة وجوده في أوروبا صحفيًّا مراسلاً لإحدى الصحف في بلاده، أو مشردًا بعد ذلك- سيسير في سكة لا يدري أنها ستوصله للمجد.

لقد أحسست وأنا أقرأ كتاب مارتن بأنني أعرف ماركيز فعلاً، أعرفه كقارئ مشارك للقراء الآخرين في اكتشافه للأدباء ونصوصهم، وأعرفه كاتبًا مبتدئًا، يطرق سكك النشر ولا يجد استجابات كبيرة، والأهم من ذلك أعرفه مبدعًا لن ييأس، وهو يحمل ثقة كبيرة أنه يقدم شيئًا جديرًا بالوقوف عنده.

أتحدث الآن عن كتاب الأرجنتيني ألبرتو مانغويل الذي سماه "مع بورخيس" وأصدرته دار الساقي من ضمن ما تصدره من كتب عظيمة تخص القراءة، خاصة لمانغويل



أورهان باموق



كتاب السيرة الذي كتبه البروفيسور البريطاني جيرالد مارتن عن ماركيز يبدو أكثر قربًا للآراء الأدبية من كتاب ماركيز الشخصي "عشناها لنرويها"

الذي تعده أحد أهم أساتذة علم القراءة. وقد وثق لتاريخ القراءة في كتاب عظيم، وتحدث عن المكتبات بوعي كبير، وكان مبهرًا في محاضراته التي يلقيها في جميع أنحاء العالم.

"مع بورخيس" كتاب يتحدث عن حقبة عدة سنوات من منتصف ستينيات القرن الماضي قضاها مانغويل في بوينس آيرس قريبًا جدًا من المعلم بورخيس، وكان يقرأ له الكتب في شقته بعد أن فقد بورخيس بصره إثر مرض وراثي يتنقل في العائلة.

الكتاب يطلعنا على ممارسات لا نعرفها عن بورخيس، ويملأ فراغات كثيرة كانت ممددة في معرفتنا بذلك الكاتب والشاعر العالمي العظيم الذي لم تختلف مكتبته كثيرًا عن مكتبات عامة الناس من حيث مساحتها المتواضعة، ووجودها في الزوايا المهملة من شقة صغيرة كان الكاتب يقيم فيها مع أمه وخادمة، لكنها تختلف من الناحية النوعية، أي أنها تحوي كتبًا مهمة للغاية، وكيف أن بورخيس كان مهتمًا بإبداع غيره أكثر من إبداعه.

كان يملك طبعات عدة لكتب بعينها لجيمس جويس، واليوت، وعدد من الكتاب والشعراء المهمين عالميًا، بينما لا يوجد كتاب واحد يحمل اسمه، كان يفخر بأن الأسماء الموجودة في مكتبته هي التي تسند المكتبة، ولا حاجة لوجود اسمه بينها.

كذلك تعرض مانغويل لمسألة الذكاء المعرفي عند بورخيس، فهو على الرغم من أنه كان أعمى فإنه لم يفقد معرفته بالكتب أبدًا.

كان يتحسس رفوف المكتبات التي كان يرتادها سابقًا قبل أن يفقد بصره، ينتقي كتبًا معينة، يتعرف إليها بإحساسه كما يقول، وفي مكتبته الخاصة كان يعثر على الكتاب الذي يريده بسهولة ليلتقطه، ويمرره للشخص الذي سيقرأ له في ذلك اليوم.

ولأن مانغويل - الشاب آنذاك الذي التقطه بورخيس من عمله في مكتبة كبرى في العاصمة كان يرتادها- هو الذي يقرأ له بعد أن كبرت أمه ولم تعد تستطيع أن تقرأ له كثيرًا فقد أتيح له أن يلم بالطقوس القرائية والكتابية لذلك المبدع الاستثنائي.

وقد ذكر مانغويل أن بورخيس كان يكتب نصوصه في ذهنه، ويقوم بتصحيحها أيضًا، وتعديل بعض فقراتها، وحين يقوم بإملائها على أحد تكون في صورتها النهائية.

من الأشياء الرائعة التي أعجبتني في سلوك بورخيس واهتمامه بالكتابة والقراءة - بلا أي زيادات أو بحث عن الترف- أنه تلقى نسخة من أحد كتبه المترجمة للألمانية، وقد جعلها الناشر في غلاف سميك مزخرف وموشاة بخيوط من الذهب تقديرًا له فاستلمها بورخيس وعرف شكل الكتاب فردد أن الناشر حوله من كتاب إلى حلية، ثم قام بإهدائه لساعي البريد الذي جاء به.

كتاب "مع بورخيس" جميل فعلاً وممتع إلى أقصى حد، ومحتشد على الرغم من قصره بمواقف كثيرة تستحق تأملها في حياة واحد من الذين اخترعتهم الكتابة الجيدة، وأخلصوا لها، وكان شيئًا مبهجًا أن تقرأ عن خورخي لويس بورخيس بقلم ألبرتو مانغويل أحد أساتذة المعرفة المطلوبين بشدة هذه الأيام.



خورخي لويس بورخيس

> "لقد أحسست وأنا أقرأ كتاب مارتن بأنني أعرف ماركيز فعلا، أعرفه كقارئ مشارك للقراء الآخرين في اكتشافه للأدباء ونصوصهم، وأعرفه كاتبًا مبتدئًا يطرق سكك النشر ولا يجد استجابات كبيرة"

> "مع بورخيس" كتاب يتحدث عن حقبة عدة سنوات من منتصف ستينيات القرن الماضي قضاها مانغويل في بوينس آيرس، قريبًا جدًا من المعلم بورخيس، وكان يقرأ له الكتب في شقته"



ألم نجعل له عينين؟



د. وليد فتيحي
جدة

أجمل وأدق وأرق ما في الإنسان وأعمقه وأقواه، صغيرٌ حجمها، لكنها تسع الكون بما فيه من بحار وأنهار وجبال وأشجار وشمس وقمر وأرض وسماء. الحواس بها جميعًا تكون حواسًّا، وبدونها تتعب كل حاسة في تصور ما في الوجود من أشياء.. فهي النافذة التي بها تعرف الأشكال والألوان والأسماء، وتكشف الأسرار وتدفع الشرور .. وبها يُقدر الجمال وتُدرك المعارف والعلوم، ويُستدل بها على خالق الوجود.

عندما ننظر إلى شيء ما يدخل الضوء المنعكس من هذا الشيء إلى عدسة العين بسرعة فائقة مذهلة تتعدى 10 ترليونات فوتون من الجزيئات الضوئية في الثانية الواحدة، ثم يمر هذا عبر العدسة والسائل الذي يملأ كرة العين إلى الشبكية، التي تحتوي على أكثر من 500 مليون خلية بصرية في طبقة واحدة من طبقاتها، لتميز الضوء عن الظلام، وتتحسس الألوان، ثم تخزن الصورة وتحولها إلى نبضات كهربائية دقيقة تنتقل إلى الدماغ عن طريق الألياف العصبية البصرية التي يقدر عددها بثمان مئة ألف ليف عصبي، وفي الدماغ يتم تكوين الصورة النهائية

وإدراكها في عملية تسمى الرؤية. فنحن نرى بأعيننا، ولكن الرؤية لا تتم إلا في الدماغ.

وتستطيع العين فك شفرة مشهد مكون من ملايين المعلومات، ونميز بين ما يزيد عن 10 ملايين لون مختلف في أقل من ثانية واحدة بسرعة ست مئة ألف بت في الثانية الواحدة (والبت هو أصغر وحدة قياس تخزين المعلومات في الحاسوب). هذه السرعة المذهلة تكون بالألوان وبدقة متناهية فائقة معجزة، تقدر بـ 575 ميجا بيكسل، أي أكثر من خمسين ضعفًا من أحدث عدسات الكاميرات الرقمية في العالم بالرغم من أن وزنها لا يتعدى 8 جرامات وحجمها في المعدل 25 مليمترًا، ومُلكها الكريم سبحانه الغني والفقير.

يصعب علينا أن نتحدث عن العين والإبصار، ولا نذكر أعظم العلماء قاطبة في علم البصريات، إنه أبو علي الحسن بن الهيثم، الذي كانت أعماله هي الأساس الذي بنى عليه الغرب جميع نظرياتهم في هذا الميدان، سواء في اكتشاف المجهر أو التليسكوب أو في فيزيولوجيا الإبصار، وهو من إليه تنسب مبادئ اختراع الكاميرا، فهو أول من شرح العين تشريحًا كاملاً ووضح وظائفها وأجزاءها قبل أكثر من ألف عام في مرجعه العظيم "المناظر".

في سؤال طرحته مجلة "New York Times" في نهاية الألفية الماضية لمجموعة من العلماء والمفكرين عن أفضل فكرة أثرت في تاريخ البشرية قاطبة، أجاب الروائي العالمي "Richard Powers" قائلاً: (حين نبحث عن الأفكار التي غيرت تاريخ البشرية سنجد أنفسنا ربما أمام مفاهيم مثل الجامعات والتعليم والديموقراطية والمنظمات السياسية والاجتماعية أو حتى القوانين النسبية لأينشتاين، وقوانين نيوتن، لكن هذا التفكير ناتج عن قصر نظر من جانبنا لأننا علينا من باب أولى أن ننظر للفكرة التي قادت لكل تلك الأفكار، وهي فكرة المنهج العلمي التجريبي الذي وضعه رجل اسمه "أبو علي الحسن بن الهيثم"، الذي ولد (سنة 965م بمدينة البصرة في العراق).

والعين من أهم عوامل الحماية والدفاع واستمرار الحياة لما ترسله للدماغ من إشارات تحذير وإنذار، ولتحقيق هذه الدقة بصفاء ونقاء الصورة التي تنقل للدماغ، نجد الخالق المبدع سبحانه جعل القرنية التي نرى من خلالها الأشياء شفافة تمامًا لكيلا تشوش الصورة على الإنسان، وذلك بخلوها من أي أوعية دموية، على خلاف كل أنسجة الجسم دون استثناء، وجعلها تأخذ ما تحتاج إليه من أكسجين وغذاء من خلط الماء الذي تفرزه الأنسجة المجاورة خاصة الأهداب.

وحمى الله كل عين في تجويف عظمي بالجمجمة وأحاطها بوسائد دهنية تعمل على امتصاص الصدمات، ويمر من خلالها الأعصاب والأوعية الدموية والعضلات المحركة للعين، وجعل الجفون لها كالستار المتحرك يسدل على العين عند الخطر، وخلق الرموش لتكون مصفاة تمنع دخول الأتربة، وسخر الدموع لغسل العينين دوريًا بمادة طبيعية فعالة جدًا مضادة للميكروبات، وأبقى سطح القرنية الأملس رطبًا سليمًا.

وأودع الخالق العين مادة تمنع التجمد لأهمية العين، التي لا يستغني عنها الإنسان، ولا يستطيع أن يغطيها وإن كان في القطب الشمالي والحرارة 70 تحت الصفر.

والحديث عن إعجاز خلق العين لا ينتهي، وهو إثبات لوجود الخالق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾، بل ليس هناك عين مثل الأخرى بين بلايين البشر، ولذلك تعد بصمة قزحية العين في الوقت الحاضر أفضل طريقة للتأكد من هوية الأشخاص في أقل من ثانية واحدة بكاميرات متخصصة ذات دقة عالية بدون شعور الشخص بأنه يتم قراءة بصمة عينيه.

العين نافذة الروح وعدسة الإعجاز التي وهبها الله الإنسان ليرى بها جميل صنع ربه ويتفكر في بديع آيات خلقه، فتصبح العين للإنسان بذلك مصدر هداية وصلاح لقلبه، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وقال ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، بل يقسم الله بالبصر، فيقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

والعلم يكشف أن الضوء شكل من أشكال الطاقة، وهو جزء من موجات كهرومغناطيسية، والعين ترى الموجات التي تتراوح موجاتها ما بين 400 و 700 نانوميتر، ولا ترى الموجات المتبقية ما فوق وما تحت هذه الترددات مثل أشعة إكس وأشعة جاما والأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وأشعة الرادار، وكلها لها تطبيقاتها على نطاق واسع في حياتنا، لكننا لا نراها بالعين المجردة، فسبحان من أقسم بما نبصر وبما لا نبصر.

وبالرغم من معجزات العين إلا أن هناك من البشر من يعرف هذه الحقائق ولا يزال يصر على أن الصدفة هي التي خلقت الكون والإنسان، فالبصر نور العين يريك ظاهر الأشياء، ولكن البصيرة نور القلب هي التي تريك الحقائق وراء الأشياء، وبها تصبح العين أداة صلاح وهداية، وبدونها تنقلب العين أداة ضلال وغواية، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. حقًا بالعين ننظر وبالدماغ نرى، لكننا بالقلب نبصر.

وكما للقلب من تأثير على كيفية إبصار الأشياء ورؤيتها على حقيقتها، فإن لما تبصر العين من أشياء تأثيرًا على القلوب وسلامتها، فالبيئة البصرية التي تحيط بالعين فترة من الزمن تضع بصمتها الواضحة على القلب والروح وطرق إدراكها ومعالجتها للأحداث التي نمر بها، فإطلاق البصر سبب لأعظم الفتن، فالعين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته، ونقش في قلبه صورة تلك المبصرات ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

> تستطيع العين فك شفرة مشهد مكون من ملايين المعلومات، وتميز بين ما يزيد عن 10 ملايين لون مختلف في أقل من ثانية واحدة بسرعة ست مئة ألف بت في الثانية الواحدة (والبت هو أصغر وحدة قياس تخزين المعلومات في الحاسوب)، هذه السرعة المذهلة تكون بالألوان وبدقة متناهية فائقة معجزة تقدر بـ 575 ميجا بيكسل، أي أكثر من خمسين ضعفًا من أحدث عدسات الكاميرات الرقمية في العالم بالرغم من أن وزنها لا يتعدى 8 جرامات وحجمها في المعدل 25 مليمترًا

> عندما ننظر إلى شيء ما يدخل الضوء المنعكس من هذا الشيء إلى عدسة العين بسرعة فائقة مذهلة تتعدى 10 ترليونات فوتون من الجزيئات الضوئية في الثانية الواحدة، ثم يمر هذا عبر العدسة والسائل الذي يملأ كرة العين إلى الشبكية، التي تحتوي على أكثر من 500 مليون خلية بصرية في طبقة واحدة من طبقاتها

﴿... فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

لا يوجد قانون وضعي في الأرض يلزم بغض البصر، فغض البصر مدرسة تهذيب النفس في الإسلام، غض البصر يورث القلب نورًا وإشراقًا، يظهر في العين والوجه والجوارح، ويفتح للعلم أبوابه، شكى الشافعي إلى أستاذه وكيع سوء حفظه، فقال:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُـــورٌ
ونورُ اللهِ لا يهدى لعاصي

يقول الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السـهام بلا قـوس ولا وتـر

كان العلم سابقًا يعتقد بأننا عندما ننظر للأشياء أو نرى عملاً يمارس أمامنا ينشط فقط مركز الإبصار في الدماغ الواقع في قشرة الفص الخلفي من المخ، لكن العلم الحديث يثبت أننا عندما نرى عملاً يمارس أمامنا فإن الخلايا العصبية المسؤولة عن القيام بمثل هذا العمل الذي نراه تنشط كذلك في الدماغ، وكأننا نحن الذين نقوم بهذا العمل، وأطلق على مثل هذا النوع من الخلايا العصبية اسم "عصبونات المحاكاة" "Mirror Neuron" لأنها تحاكي العمل الذي نراه.

وتعد عصبونات المحاكاة من أهم الاكتشافات الحديثة في مجال علوم المخ والأعصاب، وهذا يفسر إحساسنا بمعاناة الآخرين وآلامهم، وكأننا نشعر بها حقيقة ونتعاطف معهم، وهو تحقيق أن الله خلقنا من نفس واحدة، ويمكن أن نشعر بالتراحم والتعاطف لبعضنا كجسد واحد (مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى). ولكن عصبونات المحاكاة كذلك تفسر ما يستشعره من يطلق لعينيه عنانهما ويشاهد فيلمًا إباحيًّا، فهي ليست مجرد رؤية، ولكنها تنشط مراكز الجنس في المخ كأن المرء يمارسها فعلاً بمجرد النظر إليها، وصدق الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى، حين قال قبل أكثر من 1400 عام في حديث متفق عليه: (العينان تزنيان، وزناهما النظر).



عندما يُذكرُ الحسد تُذكرُ العين، فما علاقة العين بالحسد.. الحسد الذي يُعرَّفُ بأنه بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها.. هل هما نفس الشيء؟ وما موقف الإسلام منهما؟

جاء الإسلام ومعه المنهج الرباني، فأقرَّ أمورًا كانت قائمة في الجاهلية وأبطل أخرى، ومما أقرّ وجود الحسد والعين، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْعَيْنُ حَقٌّ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ) وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا...) وقال (لا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ)..

فالحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله، لأن فيه كرهًا واعتراضًا على قضاء الله أن جعل النعمة في غير الحاسد، وهو من أمراض النفوس.

وقد حرم الإسلام استخدام غير قراءة المعوذتين واللجوء إلى الله للتحصين ضد الحسد والعين، فهو سبحانه الذي يحمي ويشفي.

ومنهم من فرق بين الحسد والعين، فقال: إن الحسد يتم بمجرد حدوث علم الحاسد بنعمة المحسود سواء بالرؤية أو السماع، أما العين فلا تتم إلا برؤية الناظر إلى الشيء أو الشخص المنظور، فهي كما عرفها ابن القيم في الزاد كالسهام تخرج من نفس الحاسد العائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، وهذا الفهم يرجحه علم الطاقة الحديث، فكل ما في الكون صورة من صور الطاقة بما في ذلك الإنسان.. هذه الطاقة تؤثر على الجسم البشري بصور مختلفة، بل إن الجهاز العصبي في الإنسان ما هو إلا نظام طاقة مضبوط عند مستوى معين ومنتظم.

وقد أثبتت دراسات عديدة أن الطاقة الكهرومغناطيسية التي يصدرها الإنسان يمكن أن تؤثر فيما حوله، ومن هذه الدراسات دراسة قام بها الدكتور هيروشي موتويام Hiroshi Motoyam مدير معهد النفس الديني في طوكيو، حيث صمم جهازًا دقيقًا لقياس الطاقة المنبعثة من جسد العين الضارة، واستطاع تحديد بؤرة هذه الطاقة بين العينين، فصاحب العين له قدرة على إيقاظ هذه البؤرة فتنساب الطاقة من جهازه العصبي لتؤثر على الشخص المصاب. بل وأثبت الطبيب النفسي الأمريكي د. كولن روس Colin Ross أن العين البشرية قادرة على إرسال انبعاثات كهرومغناطيسية، وقد نشرت الدراسة بعنوان (الأسس الإلكتروفيزيولوجية لمعتقد العين الحاسدة الشريرة)

The Electro Physiological Basis of Evil Eye Belief في مجلة (أنثروبولوجي أوف كانشسنس) Anthropology of Consciousness في العدد 21 عام 2010م، وتم إثبات ورصد هذه الطاقة بدقة باستخدام قطب كهربائي حساس جدًا داخل نظارات ذات عزل كهربائي للتأكد من أن هذه الطاقة تأتي من العين مباشرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر العائن (الذي أصاب غيره بالعين) أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين (المصاب بعين غيره).

هل هذا الأمر من رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعائن الحاسد أن يتوضأ ويغسل وجهه، يفسر ما نعرفه الآن من أن مصدر الطاقة الحاسدة تخرج من العينين وما بينهما، بينما (وللعجب) أكد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المحسود المعين أن يغتسل كاملاً، حيث إن طاقة العين لا يُعرف بالتحديد أين أصابت من جسد المعين، والماء كما هو معروف علميًّا يعادل الشحنات السالبة والموجبة، وبذلك يعادل شحنات الطاقة السالبة ويعالجها لدى المحسود.

وخير وقاية من هذه العين الشريرة الحاسدة الإكثار من قراءة المعوذتين اللتين أهداهما الله لنا للحفظ من شر كل حاسد إذا حسد.

إن العين درةٌ ثمينةٌ لا تُقدر بثمن.. أسماها خالقها الحبيبة والكريمة، فقال جل في علاه في الحديث القدسي (إِذَا أَخَذْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَهُ أَوْ حَبِيبَتَهُ فَصَبَرَ لِحُكْمِي وَرَضِيَ بِقَضَائِي، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا إلا الْجَنَّةَ). وقال الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

لا غرابة أنهم قالوا: إن عين الشيء هي حقيقته وجوهره، وأن العين مرآة النفس..

فهي تفرح لفرح الإنسان.. فيكاد الفرح يقفز بها فتبتسم ابتسامة لا يقدر على اصطناعها أو إخفائها إنسان، فهي لا تعرف الكذب كالشفة واللسان، تحزن لحزن صاحبها فتعبر عن مشاعره الدفينة بما تعجز عنه الكلمات والعبرات والأقلام.

عجيبة كيف تقدر على حمل أكثر المعاني تضادًا؟ بل وكيف تعبر عن كل مشاعر وعواطف الإنسان، فهي تحب وتبغض، تضحك وتبكي، تعطي وتأخذ، ترضى وتسخط، تأمل وتيأس، ترغب وتتمنع، تضطرب وتهدأ، تعذب وترحم، وتبني وتهدم.

العَين تبدي الَّذي في قلب صاحبها
من الشـناءة أوودا إذَا كانـا
إن الـعـدو لَـهُ عـين يقلبهـا
لا يستطيع لِمَا في القلب كتمانا
وعين ذي الود ما تنفك مقلتها
تبدي لَـهُ محـجرًا بشًا وإنسانا
فالعين تنطق والأفواه صـامتة
حَتَّى ترى من ضمير القلب تبيانا

ومن فقد بصره، لم يكن شيئًا يُعوض فقده إلا البصيرة..

اللهم إنا نسألك تمام حفظ البصر، وكمال سلامة البصيرة.

لحون الغابرين



عبدالله أحمد الأسمري

أبها

لم أدر

كيف نظمت قصيدة للراحلين

آهاتها تحكي

لحون الغابرين

لم أدر أن الليل

يذبح عاشقيه

والهائمين بأنسه

والمتعبين

لم أدرِ أن الليل

سلوة للساهرين

لم أدر أني في قطار

العاشقين

عشق يهرول كالجنون



فَشَرِبوا مِنهُ إِلا قَلِيلًا مِنهُم



محمد بن عبدالله الفريح
الرياض
@malfriah

أتذكر عندما كنت في العاشرة من عمري كنا نتنافس أنا وأقراني من أبناء الحارة في شهر رمضان على ختم القرآن مرات عدة، خصوصًا أنه لم يكن وقتها ثمة دراسة أو غيرها من الملهيات والشواغل كما هو حال أولادنا اليوم، وكنت عندما أمرّ على آية طالوت، التي تتحدث عن اختيار الله له ملكًا على بني إسرائيل نزولًا على رغبتهم، كنت أتعجب من جبروت هذا الملك وظلمه وشدة بأسه، إذ كيف يمنع جيشًا لم يذق الماء منذ ثلاثة أيام من أن يشرب، أو يرتوي من نهر بارد ماؤه عذب شرابه، وهو الجيش الذي سيقابل جيشًا شديد القوة والبأس بعد اجتيازهم النهر، أصدقكم القول: إنني كنت أقفز هذه الآيات عندما أصل إليها؛ نظرًا لعدم قدرة النفس الضعيفة على تصور هذا المنظر وتحمل هذه القسوة والشدة في التعامل، مع أن الله ذكر أنه زاده بسطة في العلم والجسم، فكيف يكون هذا حال من زاده الله من العلم؟

وعندما كبرت، وتعمقت أكثر في مدلولات كلمات الله – عز وجل – لعباده أدركت أن وراء ذلك سرًا عجيبًا، يجب البحث عنه وتقصي مكنونات هذا التصرف الغريب، الذي يبدو للوهلة الأولى، ثم ما لبثت أن أدركت أنه عندما تكون قائدًا، فإنك ما تلبث أن ترى الأمر بمنظور مختلف تمامًا، فقد كان مطلوبًا من هذا القائد أن يفرز جيشه ويصنفه؛ ليرى من يطيعه وممن سيعصيه؛ إذ إن من يعصيه في شربة ماء من المؤكد أنه سيعصيه، عندما يحتدم القتال، ويرى الموت، والأمر الآخر الذي يجب على القائد العمل عليه هو التأكد من العدد الذي سيُعتمَد عليه في المعركة بعد الفرز، فتُبنَى خطة المعركة على أساس ذلك، والأمر الثالث وهو الأهم أن هزيمة النفس وشهواتها ولجمها عن مبتغاها هو باب للنصر على مصراعيه، فلا يمكن لجيش لا يستطيع لجم رغبته عن شربة ماء على الرغم من حاجته إليها أن ينتصر على عدو، وأن يثبت عند اللقاء والتحام الصفوف، والأمر الآخر الذي تعلمنا إياه هذه القصة العظيمة هو أنه يكفي أن يكون في الجيش عدد قليل يؤمنون بما يقوله قائدهم ليحقق الله لهم النصر على عدوهم: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ البقرة:249 وهم الذين ثبتوا عند اللقاء: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

بينما من شربوا، وأسرفوا على أنفسهم قالوا:﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ وعندما أدركت هذا المعنى – على فرض صحته – أصبحت أقرأ هذه الآيات الكريمة بمتعة مختلفة تمامًا وبتحليل أعمق لمعنى القسوة (الشدة) والفرق بينها وبين ترويض النفس وفرز الناس: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الأنفال:37.

وتؤكد كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية والسلوكية أن تحقيق النصر والنجاح في أي عمل يبدأ من الداخل، وليس من الخارج، ويبدأ بترويض النفس ولجمها عن كثير من مشتهاياتها، خصوصًا اليوم الذي تكالبت علينا فيه المشغلات والملهيات من كل حدب وصوب.

يقول الحق تبارك وتعالى مفصلًا هذا الموقف العظيم:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)﴾ البقرة: 249

وفي الحديث الذي رواه ابن النجار عن أبي ذر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه) صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 1099).

أتذكر، وأنا في هذا المقام بعض أشهر ما قيل في هذا الفن للإمام الجليل أبي سليمان الداراني: «أفضل الأعمال خلاف هوى النفس».

وكذلك المقولة الشهيرة للفيلسوف والرياضي الإغريقي فيثاغورس: «ليس حرًا من لم يَسُد إمبراطورية نفسه».

حكمة:

«القوي من حكم غيره، والعظيم من حكم نفسه».

لاوتسي

> عندما تكون قائدًا، فإنك ما تلبث أن ترى الأمر بمنظور مختلف تمامًا، فقد كان مطلوبًا من هذا القائد أن يفرز جيشه ويصنفه؛ ليرى من يطيعه ومن سيعصيه؛ إذ إن من يعصيه في شربة ماء من المؤكد أنه سيعصيه، عندما يحتدم القتال، ويرى الموت

> تؤكد كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية والسلوكية أن تحقيق النصر والنجاح في أي عمل يبدأ من الداخل، وليس من الخارج، ويبدأ بترويض النفس ولجمها عن كثير من مشتهاياتها



جماليات أغلفة الكتب



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير

https://twitter.com/

https://www.facebook.com/nalzumal

لم تكن الكتب القديمة تأتي في أغلفة جميلة وتصاميم مبهرة، ولم تكن هناك أي اهتمام بالغلاف.

ومع ظهور ثورة الطباعة وإبداعات المصممين ظهرت الكتب بشكل أنيق وبصورة إبداعية، وأصبح القارئ يهتم كثيرًا بالغلاف، مما جعل الناشرين والكتّاب يأخذون في الحسبان بغلاف الكتب عند طباعتها.

وتؤكد الدراسات على أن غلاف الكتاب يحوز أهمية محورية، إذ إنه أول شيء يظهر للقارئ.. والعين دائمًا تهوى المنظر الجميل الجاذب. وتصل حدود الأمر عند بعضهم، بالإشارة إلى أن غلاف الكتاب، غدا في وقتنا الحالي، في ظل التطور التكنولوجي والفني الرقمي، يمثل 85% من قيمة الكتاب ودوره؛ فهو مصدر من مصادر مضمونه، إذ يكمل ويكلل الغنى المضموني، مانحًا إياه لمسات ولمحات تشويق وجذب وتجويد فني".

وفي كتابنا العربية وعند ظهور فن الكتابة الإبداعية في مصر ظهر معها فن الغلاف الذي ازدهر مع نشاط الحركة التشكيلية المصرية، وتعد حقبة الستينيات من القرن المنصرم هي نقطة انطلاق حقيقية لتصميم أغلفة الكتب، وكان أهم فناني هذه الحقبة الفنان التشكيلي "جمال قطب" الذي قام بتصميم أغلفة روايات (نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، ثروت أباظة، يوسف السباعي، . . . وغيرهم)، وكذلك الفنان محيي الدين اللباد" الذي استلهم أغلفة كتبه من الرموز البصرية المتوفرة في الحياة اليومية المصرية.

كان المصمم قبل أن يبدأ بتصميم الغلاف الذي يعتمد على الفن التشكيلي بالدرجة الأولى يقوم بقراءة متأنية واعية للكتاب، ثم البدء في ترجمته ترجمة بصرية تضيف للنص ما قد يكون خفيًا على القارئ، وتعتمد هذه المدرسة على معالجة سطح الغلاف معالجة تشكيلية، عكس فناني المدرسة الحديثة، الذين يكتفون بقراءة ملخص للكتاب، ويعتمد منهجهم على التجديد التشكيلي.

وتتنوع أغلفة الكتب من حيث إبهار العين ومدى زرع تشويق القارئ للكتاب.

ويشير نقاد ومتخصصون إلى أن استخدام التكنولوجيا في تصميم أغلفة الكتب، يختلف وفقًا لعادات البلدان، فالدول الأوروبية تعشق الجراءة في أغلفتها، ودائمًا يميل الكتّاب والقراء هناك، إلى رموز الجسد والنظرات الجريئة.. أما المصريون، فبعضهم يحب الرسومات والصورة التوضيحية لأغلفتهم، والآخر لا يفضل ذلك.

وعلى صعيد دول الخليج العربي، لا يميل المثقفون والمصممون والكتاب في مجموعة منها، إلى وضع أي تصاميم لكائنات وأرواح على الغلاف، سواء أكانت صورة حية أم رسمًا، ويعمدون إلى التعبير عن المطلوب عبر الرمز السهل، أو بالفن التشكيلي المعبر، الخارج عن توضيح أي معالم لوجه أو شيء حي. فالتكنولوجيا واحدة، لكنَّ الذي يختلف هو أفكار الدول، وكذا أفكار مؤلفي الكتب، ووجهة نظرهم.

غلاف الكتب .. تاريخ وحكاية

ولغلاف الكتاب تاريخ وحكاية لا يعرفها سوى المهتمين بصناعة الكتب، ومصممي أغلفتها والمهتمين بهذا الفن.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اقترح الصحابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم خوفًا من ضياعه، فكتبوا نسخة منه على صحائف من الرق وضعت بين دفتين لحفظها. ويقول السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: إن الصحابة أجمعوا على أن تسمى هذه النسخة «مصحفًا».

وفي القرن التاسع عشر، حين كانت الكتب من المقتنيات الثمينة والمرغوبة بمضمونها وبصناعتها. وكانت تغلف ملزمات الكتاب بخامات عالية الجودة والقيمة، كالحرير والجلد. أما الفكرة الأولى للغلاف فنشأت من حاجة صناع الكتب لتغليف الكتب، بهدف حمايتها خلال نقلها إلى المكتبات أو الباعة. وكان التغليف مجرد ورق عادي يُلف به الكتاب، ومن ثم يرمى بعد استلامه.

وكانت الكتب، قبل عام 1820، تنشر بأشكال عديدة، منها كمجموعة من الأوراق من دون أي رابط لها، وذلك من خلال جمعها وحياكتها من قبل بائع الكتب، حسب طلب الشاري. وكان أصحاب المكتبات المنزلية يحرصون على تجليد كتبهم بالجلد أو بخامة أخرى صلبة.

وفي نهاية القرن الثامن عشر، بدأت الكتب تنشر مع غلاف من الورق المقوى الأبيض، وفي بعض الأحيان، مع طباعة فهرس الكتب. وخلال المدة من 1820 – 1830، شرعت دور النشر في طباعة كتب صغيرة الحجم ضمن ملزمات، مع غلاف خارجي أكثر صلابة من الورق، ومن أبرز الناشرين في ذلك الوقت، ويليام بيكرينغ.

شهدت أواخر القرن التاسع عشر، اهتمامًا وعناية أكبر في هذا المجال. إذ تحول تغليف الكتاب بالورق إلى غلاف خارجي خاص بكل كتاب، وضم الغلاف رسومات مصورة. وغالبًا ما كان فيه ما يشبه النافذة التي يمكن من خلالها مشاهدة جانب من تصميم الغلاف الأصلي. ومع مضي الوقت، بدأت تصاميم الأغلفة الخارجية تحمل التصميم نفسه، الخاص بغلاف الكتاب. وعليه، ولدت صناعة وفن الغلاف الخارجي للكتاب.

ولم يدرك القائمون على صناعة النشر في بريطانيا، فائدة أغلفة الكتب الخارجية في الترويج لكتبهم وتوفير مساحة إعلانية جديدة لها، إلا في نهاية القرن التاسع عشر. ومع مضي الزمن، زاد الاهتمام بزخرفة الأغلفة وتصاميمها، انطلاقًا من كون جمالية التصميم، عاملاً أساسيًا في لفت

> "تؤكد الدراسات على أن غلاف الكتاب يحوز أهمية محورية. إذ إنه أول شيء يظهر للقارئ.. والعين دائمًا تهوى المنظر الجميل الجاذب. وتصل حدود الأمر عند بعضهم، بالإشارة إلى أن غلاف الكتاب، غدا في وقتنا الحالي، في ظل التطور التكنولوجي والفني الرقمي، يمثل 85% من قيمة الكتاب ودوره؛ فهو مصدر من مصادر مضمونه، إذ يكمل ويكلل الغنى المضموني، مانحًا إياه لمسات ولمحات تشويق وجذب وتجويد فني"

انتباه زوار المكتبات. وتطور هذا المفهوم ليصبح عرفًا سائدًا لدى الناشرين في عام 1920. وبذلك تغير دور غلاف الكتاب المتجسد في توفير الحماية، ليغدو أداة للترويج والإعلان.

وشهدت السنوات الفاصلة بين الحربين العالميتين، تطور فن تصميم أغلفة الكتب الخارجية. إذ بدأ الناشرون فهم العلاقة بين التصميم الجيد للغلاف الخارجي ومبيعات الكتاب. وفي الوقت نفسه، باشر الفنانون في العالم، البحث عن أعمال تؤمن لهم دخلاً، ومع مرور الوقت، بات فن تصميم الكتب عاملاً بارزًا في صناعة النشر. كذلك استخدم النسيج في أغلفة الكتب الخارجية، وكان ذلك رائجًا في أواخر القرن التاسع عشر.

تحتوي المكتبة البريطانية، الكثير من التصاميم الفنية التي لا يعرف أسماء مصمميها، وإلى جانبها، أعمال مميزة لفنانين لهم مكانتهم في عالم الفن، ومن ضمنهم: الفنان الفرنسي إدموند دولاك، حيث تضم المكتبة تصاميم أغلفته التي نفذها من 1926 – 1935. واشتهر دولاك بأنه تربع على قمة أسماء الفنانين في العصر الذهبي للرسومات المصورة في بداية القرن العشرين، وإلى جانبه الفنانان: إيريك رافيليوس وبول ناش وغيرهما من الذين كانوا يكسبون عيشهم من خلال عملهم في صناعة النشر في العالم.

ومن رسامي أغلفة الكتب العالميين البرتو جيا كومتي (الذي ولد في 10 أكتوبر في العام 1901 وتوفي في نوفمبر من عام 1996) وهو بجانب شهرته في مجال رسم أغلفة الكتب كان نحاتًا ورسامًا تشكيليًا وهو سويسري الأصل من رواد الحركة السريالية مع بابلو بيكاسو ودماكس آرنست وجون ميرو.

ومن أبرز أغلفة الكتب لروائيين عالميين تميزت بتصاميمها في المرحلة الفاصلة بين الحربين العالميتين وما قبلها، الكاتب الفرنسي جان كوكتو "1889-1963"، في روايته "الأفيون"، التي صمم غلافها هو نفسه. وهناك أيضًا، ثلاثة أغلفة مختلفة لرواية "رحلات غوليفر"، للكاتب جوناثان سويفت "1667-1745"، والتي تُظهر كيفية تسويق بعض الكتب، بأسلوب مختلف بين الناشرين.

وفي عام 1920، انتقل الاهتمام بالتصميم من غلاف الكتاب السابق الاعتيادي، إلى غلافه الخارجي، وكانت الطباعة بلونين مع العديد من الإعلانات، التي شملت أجنحة الغلاف الداخلية.

وكان أول أغلفة الكتب التي وصلت إلينا من عهد الحداثة، هي تلك التي يمتد غلافها إلى داخل الكتاب نفسه من الجهتين.. كما غطيت مساحة تجميع ملزماته الورقية. وتعود إلى العام 1850، وأصبح هذا النمط من الأغلفة معتمدًا من قبل صنّاع النشر، إلى غاية الوقت الحالي. وباتت أغلفة الكتب ذات الجناحين شائعة الاستخدام في عام 1880، ومعظم الأغلفة القليلة التي لا تزال في حالة جيدة ومحفوظة في المتاحف، هي من الولايات المتحدة وبريطانيا.

وفي اليابان حرص الناشرون على طباعة غلافين خارجيين لكتبهم، أحدهما بالقياس الكامل للكتاب، والآخر بمثابة حزام من الورق الشفاف الذي يتخلص منه، كالورق المقوى الذي استخدم لتغليف الكتب في بداية هذه الصناعة في الغرب.

بداية أغلفة الكتب الحديثة

في محاضرة لمدير النشر دار "فابر وفابر" ريتشارد دي لا مير، الذي أدرك أهمية أغلفة الكتب الخارجية، وقد أشار إلى ذلك في محاضرة له عام 1936 في مدرسة لندن للطباعة، حول انتاج الكتب، إلى المقومات الأساسية في جعل غلاف الكتاب الخارجي جيدًا.

وتتمثل في ظهور عنوان الكتاب ومؤلفه واضحًا، والتنويه إلى موضوع الكتاب من دون ترك أي التباس لدى القارئ، ضرورة ظهور اسم الناشر وإن لم يكن بالكلمات فبالشعار. كما بين أن التصميم الجيد يعتمد على بنط الحرف المقروء بسهولة، مع التصميم العام اللائق، لافتًا إلى أن إضافة رسم للفنان، يترك أثرًا أقوى ويزيد من اهتمام المشاهد.

وفي عام 1930 تبلورت فكرة أن تكون لدار النشر هويتها وخصوصية أسلوبها من خلال المصمم ستانلي موريسون. وبدأت الفكرة من خلال صاحب دار "فيكتور غولانس"، الذي أراد أن تلفت كتبه وإعلاناته الأنظار، بمختلف الطرق. وعليه ابتكر موريسون فكرة جريئة، من خلال تصميم مختلف، مستخدمًا لخلفية لون الطباعة، الأصفر البراق. واستخدم هذا الأسلوب لسنوات طويلة، وعلى عدد لا يحصى من الكتب.

أخيرًا نلاحظ أنه لا يوجد من دور النشر العربية أي اهتمام بشكل أغلفة الكتب إلا ما ندر على عكس ذلك من دور النشر الأجنبية التي تعد الغلاف البوابة الأولى للعبور إلى داخل الكتاب لما ما يحمله الغلاف من الأفكار القوية والتنفيذ الجميل المدهش.

من خصائص العقيدة الإسلامية وأتباعها(1)



د. علي بن محمد العطيف

أستاذ الحديث والدراسات العليا

بجامعة الملك خالد

إنّ المتأمل المنصف، لو قارن بين المعتقدات السّائدة بين النّاس اليوم، لوجد للعقيدة الإسلامية - المتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة - خصائص وسمات تُميزها وأهلها بوضوح عن المعتقدات الأخرى من ديانات أو فرق أو مذاهب أو غيرها.

ومن هذه الخصائص والسمات:

1 - سَلامَةُ المَصْدَرِ:

وذلك باعتمادها على الكتاب والسُّنّةِ وإجماع السّلف، وأقوالهم فحسب.

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والصوفية، الذين يعتمدون على العقل والنظر، أو على الكشف والحس والإلهام والوجد، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، (والعقيدة كلها غيب).

أما أهل السنة فهم - بِحَمْدِ اللهِ -معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع السف الصالح وأقوالهم، وأي معتقد يستمد من غير هذه المصادر إنما هو ضلال وبدعة.

فالذين يزعمون أنهما يستمدون شيئًا من الدين عن طريق العقل والنظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإلهام والكشف والوجد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة (غير الأنبياء) أو الإحاطة بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو أقطاب أو أغواث أو نحوهم)، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم.

فمن زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية، ونقول لمن زعم ذلك كما قال الله تعالى، لِمَن قال على الله تعالى بغير علم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]. وأنى لهم أن يأتوا إلا بشبه الشيطان.

وهذه الميزة والخصيصة، أعني الاعتماد على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، سمة من سمات أهل السنة، لا تكاد تتخلف في كل مكان وزمان.

2 - أنها تقوم على التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

لأنها غيب، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[3].

والغيب لا تُدركه العقول ولا تحيط به، ومن هنا، فأهل

السنة يقفون في أمر العقيدة على ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بخلاف أهل البدع والكلام، فهم يخوضون في ذلك رجمًا بالغيب، وأنى لهم أن يحيطوا بعلم الغيب، فلا هم أراحوا عقولهم بالتسليم، ولا عقائدهم وذمَمهم بالاتباع، ولا تركوا عامة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها.

3 - موافقتها للفطرة القويمة والعقل السَّليم:

لأنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدي الله تعالى وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه سلف الأمة، فهي تستقي من مشرب الفطرة والعقل السليم، والهدي القويم، وما أعذبه من مشرب، أما المعتقدات الأخرى فما هي إلا أوهام وتخرّصات تعمي الفطرة، وتحيّر العقول.

4 - اتصال سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلمًا واعتقادًا.

فلا يوجد بحمد الله أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف، فهي محدثة، ولا سند لها من كتاب أو سنة، أو عن الصحابة والتابعين، وما لم يكن كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة [4].

5 - الوضوح والبيان:

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشربين، لا سيما وأنَّ العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم.

6 - سلامتها من الاضطراب والتَّناقُض واللَّبس:

فإنَّ العقيدة الإسلامية الصافية لا اضطراب فيها ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدِّين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل.

أصدق مثال على ذلك ما حصل لكثير من أئمة علم الكلام والفلسفة والتصوف، من اضطراب وتقلب وندم، بسبب ما حصل بينهم من مجانبة عقيدة السلف، ورجوع كثير منهم إلى التسليم، وتقرير ما يعتقده السلف، خاصة عند التقدم في السن، أو عند الموت.

كما حصل لأبي الحسن الأشعري، حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، في "الإبانة" بعد الاعتزال ثم التلفيق، والباقلاني ت 403 في "التمهيد"، ومثله أبو محمد الجويني، ت 438، والد إمام الحرمين، في "رسالة في إثبات الاستواء والفوقية"، ومثله إمام الحرمين، ت 478 في "الرسالة النظامية"، والشهرستاني، ت 548، في "نهاية الإقدام"، والرازي (فخر الدين)، ت 606 في "أقسام اللذات" وغيرهم كثير.

ومن ذلك أيضًا [5].

سلامة أتباعها - في العموم - من التلبس بالبدع والشركيات والآثام والكبائر.

فأهل السنة في عمومهم، هم أسلم الناس من الوقوع في البدع، ولا تكون فيهم الشركيات.

أما الذنوب والمعاصي والكبائر فقد يقع فيها طوائف منهم، لكنها فيهم أقل من غيرهم، وغيرهم لا يسلم من علة من هذه العلل البدعية والشركية، كما أنَّ المعاصي والكبائر هي في أهل الافتراق أكثر من غيرهم في الجملة.

فالمتكلمة من المعتزلة، وكثير من الأشاعرة ونحوهم قالوا في الله بغير علم، وخاضوا في الغيب بغير علم، والمتصوفة والقبوريون وسائر أهل البدع عبدوا الله بغير ما شرع، والرافضة، والباطنية ونحوهم كذبوا على الله تعالى، وافتروا على رسوله صلى الله عليه وسلم حتى صار الكذب دينًا لهم، والخوارج تشددوا في الدين فشدد الله عليهم.

7 - أنها سبب الظُّهور والنَّصر والفلاح في الدَّارين:

من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة: أنها من أسباب النجاح والنصر والتمكين لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر.

فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة، التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة. كما أخبرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ" [6].

8 - هي عقيدة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودنياهم، لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبدًا، والتاريخ شاهد على ذلك، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعزَّ بها الإسلام قديمًا وحديثًا، منذ عهد الخلفاء الراشدين، والدولة العباسية في أول عهدها، والدولة العثمانية في أول عهدها، وعهد صلاح الدين الأيوبي، والدولة الإسلامية في الأندلس، وعهد الدولة السعودية، حيث نصرت السنة، ودعت إلى التوحيد، وحاربت البدع والشركيات، وطهَّرت البلاد المقدسة منها، ولا تزال كذلك - بحمد الله -، وينبغي أن تبقى كذلك.

وغالب هذه الدول حينما حدث فيها الافتراق وسادت فيها البدع فشلت وانهارت، والدول التي قامت على غير السنة، أشاعت الفوضى والفرقة والبدع والمحدثات، ومزقت الشمل، وعطلت الجهاد، وأشاعت المنكرات، وصارت على يدها الهزائم، وانتشر في عهدها الجهل بالدين، واندثرت السنة، مثل:

دول الرافضة والباطنية، والقرامطة، والصوفيَّة، وكدولة بني بويه، والفاطميين (العبيديين)، التي مزقت المسلمين، وأشاعت بينهم البدع والشركيات.

ولما صارت للمعتزلة وزارة ومراكز في عهد بعض الخلفاء العباسيين ظهرت البدع الكلامية، وحوصر أئمة أهل السنة، وافتتن الناس - بل العلماء - في دينهم.

9 - البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة: البقاء والثبات والاستقرار والاتفاق:

فعقيدتهم في أصول الدِّين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم السَّاعة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، رواية ودراية، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص.

ومن أسباب ذلك:

أنها مُستَمَدَّةٌ من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون، وتابعوهم، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، رواية ودراية، تلقيناً وكتابة.

من ذلك -مثلاً- قول أهل السنة في الصفات إجمالاً وتفصيلاً، فهو لا يزال واحدًا، وقولهم في كلام الله، والقرآن، والاستواء، والنزول، والرؤية، وقولهم في القدر، والإيمان، والشفاعة، والتوسل، وغيرها كله لا يزال كما نقل عن السلف والقرون الفاضلة. وهذا مما تكفل به الله من حفظ دينه.

بخلاف الفرق الأخرى، وأقربها إلى أهل السنة "الأشاعرة" و"الماتريدية"، ومع ذلك فهم مضطربون في كل ما خالفوا به السلف مما أوّلوه أو ابتدعوه [7]، ويكثر في عقائدهم التلفيق والالتباس والاضطراب، والتوقف فيما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله تعالى، ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم.

المراجع:

1 - انظر : مباحث في العقيدة ، للعلامة د/ ناصر العقل، ص 22. وأصول عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، وعقيدة أهل السنة والجماعة: مفهومها وخصائصها، وخصائص أهلها للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد.

2- سورة البقرة، الآية : 111 .

3 - سورة البقرة، الآية :-42.

4 - انظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية 1 / 9 .

5 - انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (4/ 72، 73). ودرء التعارض (1/ 157 – 170). وشرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص 242 – 247 تحقيق التركي والأرناؤوط. ومقدمة شعيب الأرناؤوط، على كتاب "أقاويل الثقات" للإمام مرعي بن يوسف الكرمي، ت 1033 ، ص 14 – 22.

6 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب 53، (3/ 1523)، والترمذي، كتاب الفتن، حديث برقم 2229 ،وقال: هذا حديث حسن صحيح. كلاهما من حديث ثوبان رضي الله عنه.

7- انظر تفاصيل هذا الموضوع في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 4 / 1 – 30 ، 50 – 97 .

التحيز في الأدب 2-2



أ.د. إبراهيم بن محمد الشتوي

أستاذ الأدب والنقد – قسم الأدب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ولم يكن القدماء بمعزل عن الوعي بهذا التحيز الذي تتسم به المواقف الأدبية، والمقولة المشهورة المنسوبة إلى بشار بن برد تثبت ذلك؛ فقد روي أن بشارًا كان يقول عن الثالوث الأموي (الأخطل، والفرزدق، وجرير): «إن الأخطل لم يكن كصاحبيه، ولكن تعصبت له ربيعة»؛ وذلك أن الفرزدق وجريرًا كانا من مضر؛ فكانت المنزلة التي احتلها «الأخطل» في رأيه بسبب موقف ربيعة منه الذي دعتها العصبية حتى يكون لها مكان بين سادة ذلك العصر من الشعراء، وهذا يذكرنا بالمقولة المشهورة: «كذاب ربيعة خير من صادق مضر».

لكننا لا نستطيع أن نقبل قول بشار على إطلاقه، ونبعده هو أيضًا من تهمة التحيز لمضر ضد الأخطل، خاصة أننا نجد من القدماء من يفضل الأخطل على صاحبيه، ويعده أجود الثلاثة، وكان على رأس هؤلاء أبو عمرو بن العلاء الذي روى عنه الأصمعي أنه كان يقول: «لو أدرك الأخطل يومًا من أيام الجاهلية ما فضلت عليه أحدًا». ويروي أبو حاتم أنه سأله (الأصمعي) عن الأخطل فأنشد بيتًا من قصيدته:

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز

بساهمة الخدين طاوية القرب

يقول أبو حاتم: «فأنشد أبياتًا زهاء العشرة، ثم قال: من قال لك إن في الدنيا أحدًا قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه».

وحين نطبق معيار الفحولة السابق الذي يقوم على ربطها بغرضي الشعر (المدح، والهجاء) نجد الأخطل قد تقدم على صاحبيه - كما يقول بشار - بالمدح: فقصائده المدحية في عبدالملك بن مروان لم يبلغها أحد. ثم إن الأخطل قد جدد في القصيدة العربية: فكان بناؤها متسلسلاً، مترابطًا، على خلاف من كان قبله.

هذا أولاً، وثانيًا: إن بشارًا محسوب على مضر: أليس هو القائل:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما

وبشار العقيلي من بني عقيل من عامر بن صعصعة، وهو وإن كان بالولاء فإن القدماء كانوا يعدون الولاء من النسب، ويفخرون بفعل مواليهم، كما كان الموالي يفخرون بمن ينتسبون إليهم، كما كان أبو نواس يتعصب لليمانية على العدنانية، وكان دعبل يفتخر بطاهر بن الحسين، ويعده منه، وكان خزاعيًا بالولاء، فيقول:

إني من القوم الذي سيوفهم

قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

يقصد طاهرًا عندما قاد الجيوش، وحاصر بغداد للمأمون.

هذه العصبية المضرية في الأدب تظهر ملامحها في

مواطن أخرى: إذ يروى أن عبدالملك بن مروان كان في مجلس أنسه، فذكر بعض من حضر ذا الرمة، وقال: «إنه من الشعراء الكبار، وأنه لو أدرك الجاهلية لكان له شأن بين شعرائها». يقول الراوي: «فأخذت عبدالملك الحماسة والحمية لمضر، وأمر بمن يحمله إليه، ويأتي به من البادية».

فالراوي أدرك أن سبب عناية الخليفة بذي الرمة لا تعود إلى العناية بالشعر وحده، ولا تعود أيضًا إلى ذي الرمة بوصفه شاعرًا كبيرًا، وإنما لأنه ينتمي إلى مضر الذي ينتمي إليها الخليفة. وقد لا يكون ما جال في خاطر الراوي قد جال في خاطر الخليفة، ولكن ورود مثل هذا الظن في ذهن من كان في المجلس يكشف عن الذهنية المسيطرة على تلقي الأدب في ذلك الزمن، التي تقيم اعتبارات متعددة، ليست بالضرورة فنية.

على أننا نجد موقفًا آخر كان في مجلس عبدالملك بن مروان، يمكن أن يعزز ظن المتلقي السابق، بأن حمية مضر هي التي دفعت عبدالملك لموقفه ذاك: فيروى أنه كان في مجلسه ذات يوم فقال لجلسائه: «أي المناديل أفضل؟». فقال أحدهم: «مناديل اليمن: كأنها أنوار الربيع»، وقال آخر: «مناديل مصر: كأنها غرقئ البيض». فقال عبدالملك: «ما صنعتما شيئًا. أفضل المناديل ما قال أخو تميم (يعني علقمة بن عبدة):

ثمت قمنا إلى جرد مسومة

أعرافهن لأيدينا مناديل».

وهذا المعنى في الأصل لامرئ القيس في قصيدته المشهورة:

خليلي مرا بي على أم جندب

تقض لبانات الفؤاد المعذب

حين يقول:

نمش بأعراف الجياد أكفنا

إذا نحن قمنا عن شواء مهضب

فعدل عن بيت امرئ القيس مع أنه السابق، واتسم بالإيجاز: فقد أتى بالمعنى في بيت واحد إلى أبيات علقمة التي أوردت المعنى ببيتين، وكان متأخرًا. وقد قضى النقاد القدماء الحكم بالمعنى للسابق تاريخيًا، وللسابك من حيث البناء الفني، في حين لم يأت علقمة ببيته بجديد يُضاف إلى ما قاله امرؤ القيس، يجعل عبد الملك يخصه بالاستشهاد، غير أنه من مضر.

ولم يكن الوعي بالتحيز مقصورًا على الموقف النقدي، بل تجاوزه إلى الموقف العلمي أيضًا. وإذا تجاوزنا الحكاية المشهورة الزنبورية التي يروى فيها أن الكسائي قد رشا الأعراب الواقفين بباب الخليفة عند مناظرة سيبويه، وكانت سببًا في وفاة سيبويه، فإن هناك مرويات أخرى تدل على الوعي بالتحيز، لا تصل الرشودة في قساتها، ولكنها تكشف عن الطرائق التي تكونت فيها الحركة العلمية، وأن المواقف العلمية كذلك لم تكن موضوعية.

«ولم يكن الوعي بالتحيز مقصورًا على الموقف النقدي، بل تجاوزه إلى الموقف العلمي أيضًا. وإذا تجاوزنا الحكاية المشهورة الزنبورية التي يروى فيها أن الكسائي قد رشا الأعراب الواقفين بباب الخليفة عند مناظرة سيبويه، وكانت سببًا في وفاة سيبويه»

ففي فهرست ابن النديم، يذكر المؤلف حكاية بداية أبي الأسود الدؤلي النحو، إذ يروي أن ذلك كان بطلب من زياد بن أبيه، وأنه اعتذر في بادئ الأمر، ثم عاد مرة أخرى، وطلب أن العمل بما كان قد رفضه، وأراد كاتبًا يعينه على ما يقول، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتي بآخر يقول المبرد: أحسبه منهم، أي من الدؤل، فكتب له.

والذي يهمني من هذه الحكاية أمران:

1 – أن الكاتب الأول رفض من غير سبب، وحين منح كاتب آخر من الدؤل قبل. وقد عرف مرسل الكاتب الأول سبب الرفض، فأرسل له كاتبًا آخر منهم، فكأنه قد قضى على السبب المانع من استعمال الكاتب الأول. ولأن المرسل قبل موقف أبي الأسود، فإن هذا يعني أنه يتفق معه على وجاهة موقفه، وهو ما يعني مرة أخرى أنه يتواطؤ معه على القيم ذاتها التي تقوم من خلالها صلاحية الفرد للعمل المنوط به، ثم يكشف الوعي الجمعي للمجتمع الذي تمت فيه الحادثة.

2 – موقف راوي الحكاية، فهو يقف عند مقطع من القصة «موتيف» دال، أو هو يراه دالًا، ويستحق النقل، إذ يكشف حقيقة تكونات الأوساط العلمية، وإن كان يمثل في وعيه حالة مغايرة لما ينبغي أن يكون الواقع عليه، بدليل أنها تستحق الوقوف، والنقل، ومن ثم الكشف. هذا الملمح أو الفرق الدقيق بين المرفوض والمقبول، لم يكن ليخطر على بال أحد لو لم يكن مستقرًا في وعيه، وسببًا لمعاناة عدد كبير من الشداة، وطلاب العلم في ذلك الزمن.

هذا الملمح السريع الذي ينقله المبرد (وهو من الأزد بالمناسبة) يقدم التفسير لقضية طالما ألحت على الباحثين في تاريخ الفكر العربي القديم، لماذا كان أكثر العلماء القدماء في اللغة، والنحو والتفسير وغيره من الأعاجم، والفرس على وجه التحديد؟

كان التفسير المشهور هو أن العرب، كانوا مشغولين بالفتوحات، وقيادة الجيوش، أو أنهم أعراب لا يقدرون على طلب العلم، والمعرفة إلا قليل منهم، ولكن هذه الحادثة التي يرويها صاحب الفهرست، وما صاحبها تعليق للمبرد، والحادثة الأخرى المشهورة التي دفعت الرشيد إلى نكبة البرامكة حين منعوا دخول الناس من العرب عليه، تعني أن هناك تحيزًا ليس في الجانب السياسي وحده، ولكن أيضًا في الجانب العلمي، بحيث إن العالم يختار تلاميذه، ومن يقربهم إليه، ويخصهم بعنايته، واهتمامه حتى يدركوا ما لديه، ويحملوا العلم من بعده، فيظل العلم يدور في فلكهم، وإذا أقبل ممن سواهم فإنهم لا ينالون شيئًا.

التعصب، والتحيز بين علماء البصرة والكوفة، أو علماء الحجاز والعراق مشهور، وإليه أعاد بعض الباحثين من أمثال ناصر الدين الأسد ما روي عن ذم لخلف وحماد، إذ يقول: «وكان من أثر هذا الخلاف في المنهجين أن تعصب كل فريق لمدرسته، وأخذ ينهم، ويضعف علماء المدرسة الأخرى، خاصة البصريين الذين كانوا يرون أنهم أخذوا اللغة عن العرب الخلص، وأن الكوفيين أخذوها عن الأعراب الذين فسدت لغتهم، وسليقتهم، ويروي عن الرياشي أنه يقول: «إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب واليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أكلة الكواميخ، والشواريز».

وهذا التفاخر أدى لأن يجمل كل واحد نفسه، ويقبح الآخر، يقول أبو حاتم: «فإذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها، أو حكيت عن العرب شيئًا، فإنما أحكيه عن الثقات عنهم مثل أبي زيد والأصمعي.. إلى أن يقول: ولا ألتفت إلى رواية الكسائي، والأحمري، وغيرهم، وأعوذ بالله من شرهم».

وفي مقابل ذلك روي عن ابن الأعرابي أنه كان يزعم أن الأصمعي، وأبا عبيدة كان لا يحسنان كثيرًا ولا قليلًا، ويروى أنه كان يقول: إنه سمع من ألف أعرابي على خلاف ما كان يقوله الأصمعي.

هذا التعصب إلى المدرسة العلمية، أو إلى المدينة كان معروفًا، ومقبولًا إلى حد ما، لأنه كان في الغالب تعصبًا يقوم على المنهج العلمي، فهو ليس للأشخاص بوصفهم أشخاصًا، وإنما بناء على الرؤية العلمية التي تربى عليها النشء وأخذ عنها، وأصبح لا يرى الحقيقة كما تبدو في الطرف الآخر، فهو من طبيعة العلم أولًا، ولأنه يثري الحراك العلمي بوجود أكثر من رؤية ومنهج. أما التعصب كما يرد في الأحاديث الأولى، فهو تحيز لا يقوم على رؤية علمية، وإنما مرده النزعات الشخصية وهو ما يؤذن بالخلل في بنية المؤسسة العلمية، وفسادها.

اهتمامات وطنية وإقليمية وعالمية باللغة العربية



أ.د. عبدالله بن محمد الشعلان

قسم الهندسة الكهربائية - كلية الهندسة

أستاذ كرسي الزامل لترشيد الكهرباء

جامعة الملك سعود - الرياض

تتجلى عظمة اللغة العربية وسموها ورفعتها أنها في المقام الأول اللغة الوحيدة التي اجتباها وخصها وشرفها رب العزة والجلال بأن تكون لغة القرآن الكريم، وذلك يتبدى في آيات كريمة وردت في عدد من السور، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف:2 وقوله عز من قائل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ طه:113، وقوله جل وعلا: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: الآيات 193 – 195، وقول أصدق القائلين: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: 3.

ولقد تمكنت اللغة العربية منذ الأزل من أخذ مكانتها اللائقة بين اللغات العالمية الحية في مجالات العلوم والتقنيات الحديثة بجانب مكانتها السامية، التي أحرزتها وتبوأتها عبر تاريخها الطويل في مجالات العلوم الدينية والشرعية، ناهيك عمّا وصلت إليه في ميادين الشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والطب والكيمياء والصيدلة.

كما أفادت اللغة العربية من الترجمة والتعريب مما زادها توسعًا وانتشارًا وعالمية وثراء، حيث إن اللغة العربية لغة مرنة وطيعة تقبل الألفاظ الأجنبية والمصطلحات التقنية، وذلك لسهولة النحت فيها والتصريف والاشتقاق والقياس، ومع ذلك فلا يتم القيام بعملية التعريب إلا عند الحاجة والضرورة، لذا يستحسن عند تعريب الألفاظ والمصطلحات الأجنبية أن يراعى ما يلي:

1) يفضل التغيير في شكل المصطلح حتى يصبح موافقًا لصيغة العربية ومضاهيًا لها، فمثلاً عندما ترجمت كلمة: تلفزيون إلى العربية وأصبحت (الرائي) لم تجد هذه الكلمة العربية قبولاً مستساغًا، فكان لابد من تعريب الكلمة الأجنبية مع بعض التغيير الذي يضاهي العربية فأصبح لدينا كلمة: تلفاز (وإن كانت غير مستخدمة على نطاق واسع)، كما نجحنا في تعريب تلفون ليصبح: الهاتف (وإن كانت الأولى لا تزال مستخدمة كلفظها الأصلي) وكذلك: كمبيوتر إلى حاسب آلي أو حاسوب وكذلك راديو إلى مذياع، وعند تعريب المصطلح العلمي يمكن كتابته باللغة العربية بصيغة أو بناء يوافقه مع المحافظة على معناه ولفظه قدر المستطاع، فمثلاً كلمة: تلفزيون عربت تلفاز، وكلمة: فيزيكس عربت فيزياء، وكذلك تكنولوجي أصبحت: تقنية وماستر صارت ماجستير وكوليج: كلية، وبترولوم: بترول، وموتور نلفظها ماطور والأصح: محرك، وهكذا.

2) يجب اعتبار المصطلح المعرب عربيًا بحيث يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت والتصريف، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق مع مواءمته للصيغة العربية، وهنا بعض الأمثلة:

دكتور: يمكن جمعها جمع تكسير فتصبح: دكاترة.

بروتون: يمكن جمعها جمع مؤنث سالم فتصبح: بروتونات.

أكسيد: يمكن جمعها جمع مؤنث تكسير فتصبح: أكاسيد، يمكن اشتقاق فعل منها فتصبح: يتأكسد.

إلكترون: يمكن إلحاقها بأل التعريف فتصبح: الإلكترون.

3) يجب تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح، فمثلاً كلمة: syrup أصلها العربي: شراب، وكلمة: alcohol أصلها العربي: الكحول، وكلمة: gas أصلها العربي: غاز، وكلمة: arsenic أصلها العربي: الزرنيخ.

4) ثمة كلمات أجنبية دخيلة (وما أكثرها) اخترقت لغتنا العربية عنوة أو أقحمت دونما استئذان فاستباحت ساحتها، وفرضت نفسها عليها، واحتلت مكانًا بين مفرداتها، ويُعدُّ هذا أحد عيوبنا في السماح لها، بل والترحيب بها ومن ثم استخدامها طوعًا دونما وعي أن في العربية معانٍ ومترادفات تحل محلها وتغني عنها، فخذ على سبيل المثال: لوجستي: عتاد، إتني: عرقي، برستيج: فخامة، كاريزما: جاذبية، ماراثون: سباق، كود: نظام، لوبي: تأثير، كلاسيكي: تقليدي، رومانسي: عاطفي، دراما: مشكلات نفسية وعاطفية، كوميديا: مرح، تراجيديا: مأساة، كنترول: تحكم، تكنولوجيا: تقنية، كما أن لكل مفردة عربية مترادفات متعددة، وثمة كلمات أخرى مستجدة لا مندوحة من إيجاد تعريبات لها مثل: مول وجاليريا وبلازا، إلخ.

ولعل من قبيل التقدير والاعتراف بالفضل والامتنان أن نذكر بعضًا من الجهات على سبيل المثال لا الحصر التي كان لها دور بارز ومحسوس ومؤثر في مجالات الترجمة والتعريب وتوحيد المصطلحات وتبني ونشر اللغة العربية، وهي:

1 – معهد الملك عبدالله للترجمة والتعريب: أنشئ هذا المعهد عام 1433 هـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت اسم معهد الترجمة والتعريب، وبصدور موافقة سامية في عام 1434 هـ أطلق عليه معهد الملك عبدالله للترجمة للتعبير عن الرسالة العالمية للمملكة العربية السعودية، من خلال سعي المعهد عبر جهود الترجمة إلى إيصال منجزات العلماء والباحثين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمراكز العلمية في المملكة في المجالات الشرعية والإنسانية والاجتماعية إلى المستفيدين في العالم قاطبة، وكان ثمة إسهامات عدة لرسالة هذا المعهد يمكن اختصارها في أن يحقق رؤية المملكة في التواصل العلمي مع الدول المتقدمة للإفادة المتبادلة معها في دعم الحوار بين أتباع الديانات والثقافات، كذلك إثراء المحتوى العلمي والتلاقح في التخصصات العلمية في الجامعة من خلال تعريب الكتب والمراجع العلمية المتخصصة وترجمة الدوريات العلمية والكتب والأبحاث المتميزة الصادرة في الجامعة إلى اللغات الأخرى، كذلك إعادة تعريب الكتب العلمية التراثية التي فقدت أصولها العربية.

2 – الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس والجودة: دأبت هذه الهيئة الحكومية المعنية بالتقييس منذ إنشائها

> ثمة كلمات أجنبية دخيلة (وما أكثرها) اخترقت لغتنا العربية عنوة أو أقحمت دونما استئذان فاستباحت ساحتها وفرضت نفسها عليها، واحتلت مكانًا بين مفرداتها، ويُعدُّ هذا أحد عيوبنا في السماح لها، بل والترحيب بها، ومن ثم استخدامها طوعًا دونما وعي

> برزت 6 دول ناطقة باللغة العربية بين أبرز 50 سوقًا بريطانية متخصصة في تصدير البضائع". كذلك حظيت اللغة العربية مؤخرًا باهتمام كبير من قبل الطلاب بكوريا الجنوبية حيث تدرس اللغة العربية في ست جامعات كورية، وذلك بعد اختيار وزارة التربية الكورية لغة الضاد كمادة رسمية في الجامعات، لتكون بذلك ضمن امتحان القبول بها بصفتها اللغة الأجنبية الثانية منذ سنوات

عام 1392 هـ على ترجمة الكثير من المواصفات القياسية الصادرة من الهيئة الدولية الكهرتقنية (IEC) لشتّى أنواع السلع الغذائية والمنتجات الآلية وتم مراجعتها وتدقيقها من قبل لجانها الفنية المتخصصة. وحرصًا من الهيئة على إنجاح عملية ترجمة المواصفات القياسية فقد سعت إلى إلحاق كل مواصفة بقائمة من المصطلحات الفنية، وكان لها تعاون وتنسيق في هذا المجال مع دول مجلس التعاون الخليجي ومع الدول العربية الأخرى في مجال تعريب المصطلحات الفنية وتوحيدها، ولم يقتصر دور الهيئة عند هذا الحد بل تجاوزه نحو التعاون مع الشعبة القومية المصرية في إيصال تلك المصطلحات المعربة إلى موقع الإلكتروبيديا (Electropedia) الخاص بالمصطلحات التقنية العالمية (IEV) التابع للهيئة الدولية الكهرتقنية لتحتل مكانًا ضمن المصطلحات التقنية لعشر دول أوروبية أخرى.

3 - مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية: قامت المدينة عام 1403هـ بإنشاء قاعدة معلومات خاصة بتعريب المصطلحات العلمية بمسمى: «البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)» بأربع لغات لإثراء اللغة العربية وخدمة العلماء والباحثين والدارسين، وهذه القاعدة المعلوماتية تقوم على أساس موسوعي متكامل أتى نتاجًا لتعاون واسع ومكثف في مجال تعريب المصطلحات العلمية والفنية والتقنية مع العديد من المصادر والهيئات العلمية وبنوك المعلومات ومجامع اللغة العربية والجامعات العالمية إلى جانب الاستفادة من الجهود المبذولة والخبرات المكتسبة في الدول العربية في هذا المجال.

4 - أقسام ومراكز للترجمة في الجامعات السعودية: أنشئ في أغلب جامعاتنا السعودية أقسام متخصصة في اللغات والترجمة ومراكز للترجمة، ولعلها تسهم في حل المعضلات وإزالة العقبات التي تقف في وجه طلاب الدراسات العليا في الكليات العلمية التي يرونها عائقًا دون كتابة رسائلهم (للماجستير والدكتوراه) باللغة العربية لغياب وعدم توفر ترجمات معتمدة وموثوق بها وللمراجع العلمية والمفاهيم التقنية والمصطلحات الفنية المستجدة.

5 - العربية للجميع: كانت نشأة وبداية انطلاقة "العربية للجميع" من رحم العمل الخيري، إذ كانت تبعيتها لمؤسسة الوقف، ثم أصبحت بعدئذ جهة اعتبارية مستقلة. ولقد أخذت العربية للجميع على عاتقها رسالة محددة في مجال خدمة اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ وهي تعليمها ونشرها في جميع أنحاء العالم، فكثفت من جهودها العلمية منذ انطلاقتها الأولى في مختلف الأصعدة سواء تلك التي تخص المناهج العلمية أو تدريب المعلمين أو غيرها، والتي تصب جميعها في مصلحة متعلم اللغة العربية. وللعربية للجميع إسهامات علمية بارزة في العديد من المجالات الثقافية والعلمية كالمؤتمرات والندوات وورش العمل المحلية والدولية وما يقدم فيها من أوراق العمل والبحوث والدراسات، كذلك تقديم الاستشارات العلمية للجهات المهتمة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كما أن لها خبرة واسعة في مجال تدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها على الأساليب الحديثة في التعليم من خلال الدورات التدريبية التي تقيمها سنويًا. وتملك العربية للجميع الخبرات العلمية في وضع المناهج التعليمية المتخصصة في هذا المجال. تهدف العربية للجميع إلى تسهيل و تأصيل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتسخير التقنية الحديثة لخدمة تعليم اللغة العربية ودعم ومساندة المؤسسات التي تعلم اللغة العربية في العالم، وللعربية للجميع إسهامات علمية بارزة في العديد من المجالات كالمؤتمرات العلمية وما يقدم فيها من أوراق العمل والبحوث والدراسات والملتقيات المحلية والدولية والزيارات العلمية، وتقديم الاستشارات العلمية للجهات المهتمة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ولها خبرة واسعة في مجال تدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها على الأساليب الحديثة في التعليم من خلال الدورات التدريبية التي تقيمها سنويًا، وتملك العربية للجميع الخبرات العلمية في وضع المناهج التعليمية المتخصصة في هذا المجال.

5 - مكتب تنسيق التعريب: ومقره في مدينة الرباط بالمغرب، وهو تابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد ألحق بها المكتب عام 1972م، ليصبح أحد الأجهزة الثقافية التابعة لها، وقد انبثق المكتب عن المؤتمر الأول للتعريب الذي عقدته الدول العربية بالرباط، في المملكة المغربية، عام 1961م، وتمتع باستقلال مالي وإداري قبل أن تحتضنه جامعة الدول العربية عام 1969م وتلحقه – بعد ذلك – بالمنظمة في التاريخ المشار إليه آنفًا، وبعدئذ صار له نشاط مشهود في إصدار المعاجم اللغوية وتعريب المصطلحات التقنية، معينًا في هذه الجهود في إنهاء فوضى وتشتت المصطلحات والمترادفات في الدول العربية، وساعيًا نحو تقريبها ومضاهاتها وتجانسها. كما يسعى نحو تنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات العلمية الحديثة، والمساهمة الفعالة في إيجاد أنجع السبل لاستخدام اللغة العربية في الحياة العامة، وفي جميع مراحل التعليم، وفي كل الأنشطة الثقافية والعلمية والإعلامية، ومتابعة حركة التعريب في جميع التخصصات العلمية والتقنية، وجعل اللغة العربية لغة تعليم ولغة تواصل ولغة البحث العلمي لتلبية حاجات الحياة العصرية. إن الغاية من إنشاء هذا المكتب هو أن اللغة العربية لهي البوتقة التي تنصهر فيها الوحدة الفكرية المأمولة والثقافة العربية المنشودة، ومن هذا المنطلق جاء اهتمام المنظمة بإنشاء هذا المكتب لتنمية اللغة العربية والثقافة العربية داخل الوطن العربي، حتى يقوم بواجبه في مواكبة ركب الحضارة العالمية والإسهام العلمي في بنائها وامتدادها وبقائها.

6 - الاتحاد العربي لمنتجي وناقلي وموزعي الكهرباء: قام هذا الاتحاد (مقره في الأردن) بإيعاز من مجلس الوزراء العرب المعنيين بشؤون الكهرباء في دورته الخامسة المنعقدة بالقاهرة بتاريخ 23-24-4-2003 بترجمة ما يربو عن 14000 من المصطلحات العلمية في المجالات الكهربائية (الاتصالات والقوى والإلكترونيات والتحكم)، وقد تم إنجاز هذا المجهود الكبير بمشاركة كل المتخصصين في الدول العربية، مما ساعد في تقريب المفاهيم وتوحيد المصطلحات على اختلافها وتباينها في بعض تلك الدول وبخاصة دول المغرب العربي التي رزحت ردحًا طويلاً من الزمن تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي عرف بفرض لغته وثقافته.

7 - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: وهو جهاز متخصص مقره دمشق وتابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يقوم بتحقيق أهدافه وأداء مهامه في المساعدة على تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه وميادينه كافة في الوطن العربي، بما في ذلك تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات ترجمة وتأليفًا ونشرًا وتوزيعًا، كذلك التعاون مع الجهات المختصة، ومنها مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، واتحاد الجامعات العربية وسائر الجهات المعنية الأخرى العربية والدولية، إلى جانب تنسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تتم في الوطن العربي وتنشيط تبادل الخبرات والمطبوعات بين المؤسسات العربية العاملة في هذا الميدان. كما يقوم المركز على عاتقه بإثراء الثقافة العربية من خلال ترجمة الشهير والمرموق من روائع الفكر العالمي في العلوم والآداب والفنون، ومن مهامه أيضًا تنظيم مؤتمرات وندوات عربية ودولية مشتركة وحلقات بحث وورش عمل والمشاركة فيها لمعالجة الأمور المتعلقة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بما يخدم التكامل العربي علميًا وثقافيًا واقتصاديًا وتنمويًا.

8 - المنظمة الألمانية GIZ: هي منظمة ألمانية حكومية تعمل في مجال تطوير التعاون الدولي وهي إحدى المنظمات

المرتبطة بمكتب التعريب بمدينة الرباط بالمغرب، ولها نشاط في تعريب المصطلحات العلمية بإشراف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) للعمل في هذا المجال، كما أن لها موقعًا إلكترونيًا في الشبكة العالمية (الإنترنت) باسم www.arabterm.org، وهو عبارة عن قاموس يشتمل على مصطلحات تقنية معربة يمكن الوصول إليه والتعامل معه من خلال الشبكة العالمية، ويتألف هذا القاموس من ستة أجزاء تغطي مصطلحات لمختلف العلوم الهندسية والتقنية. وهذا المشروع تم العمل فيه بالمشاركة مع مكتب التعريب بمدينة الرباط، وقد عني أن تكون هذه المصطلحات في متناول جميع المهتمين دون أي قيود عليها بحيث يمكن الوصول إليها من خلال الشبكة العالمية أو أي وسائل أخرى كالهواتف الذكية. هذا وقد تم حتى الآن ترجمة ما يربو على 3000 مصطلحًا في مجالات التصميم والتحكم والسيطرة والحماية والقياس تشتمل على صيغ رياضية ورسوم بيانية وأشكال تقنية، وقد تم صياغتها بمفاهيم وأساليب تعليمية حديثة ودقيقة وميسرة. وهذه المنظمة تهدف من هذا التعاون والتنسيق إيجاد قاعدة مشتركة من شأنها أن توحد جهود المجموعات العلمية والهيئات الوطنية في البلدان العربية في اهتماماتها بتعريب المصطلحات الفنية وترجمة تعريفاتها بغية تبادلها واستخدامها وتوزيعها ونشرها والاستفادة منها.

9 - **معهد الخرطوم الدولي للغة العربية:** تأسس هذا المعهد في شهر أكتوبر من عام 1974م، ويعد أحد نتاجات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تحققت بناء على رغبة السودان في حل مشكلة التداخل اللغوي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مناطق من السودان. وتتركز أهداف هذا المعهد في إعداد اختصاصين في مجال تعليم اللغة العربية يكون لديهم الكفاءة في استخدام طرق التدريس المختلفة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واختيار الوسائل التعليمية وتوفيرها واستخدامها وتدريب المعلمين وتأهيلهم وإعدادهم للإشراف والتوجيه في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كذلك تأليف الكتب ووضع المناهج وإجراء البحوث والدراسات العلمية وتقويم مناهج اللغة العربية في التعليم العام، ودراسة بعض القضايا اللغوية الحية المتصلة بتدريس العربية من جهة والبحث العلمي في مجال اللغات الحية الأخرى من جهة أخرى. ومن جانبه يعد معهد الخرطوم نموذجًا في هذا الإطار من خلال استخدام طرق التدريس المختلفة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وقد كانت له تجارب رائدة مع طلبة من تركيا والصين في مجال تعليم اللغة العربية.

10 - **دول أجنبية تبنت اللغة العربية:** تبوأت اللغة العربية مكانة متميزة في بريطانيا متفوقة بذلك على اللغة الفرنسية التي تعد واحدة من أوسع اللغات انتشارًا في بلاد الضباب بعد الإنكليزية، فقد أعد المجلس البريطاني تقريرًا حول مستوى الاهتمام باللغات الأجنبية في المملكة المتحدة، واحتلت فيه اللغة الإسبانية المركز الأول بـ 76 نقطة من 100، تلتها اللغة بـ 54 نقطة وتحصل الفرنسية على 47 نقطة على الرغم من التقارب الجغرافي والثقافي وتشابه اللغتين في كثير من المفردات، ولم يشكل موقع اللغة الإسبانية الصدارة في القائمة مفاجأة للقائمين على التقرير، إذ يرون أن هذه نتيجة طبيعية ناجمة عن كون اللغة الإسبانية من أكثر اللغات انتشارًا في العالم. هذا وجاء في التقرير أن اللغة العربية برزت في بريطانيا بصفتها واحدة من اللغات ذات الأولوية بالنسبة لوزارة الخارجية والكومنولث، حيث يعتزم المسؤولون زيادة عدد الدبلوماسيين الذين يتلقون تدريبهم باللغة العربية بنسبة 40 %. كما برزت 6 دول ناطقة باللغة العربية بين أبرز 50 سوقًا بريطانية متخصصة في تصدير البضائع". كذلك حظيت اللغة العربية مؤخرًا باهتمام كبير من قبل الطلاب بكوريا الجنوبية، حيث تدرس اللغة العربية في ست جامعات كورية وذلك بعد اختيار وزارة التربية الكورية لغة الضاد كمادة رسمية في الجامعات، لتكون بذلك ضمن امتحان القبول بها بصفتها اللغة الأجنبية الثانية منذ سنوات. وقد عبر الكثير من الكوريين عن إعجابهم باللغة العربية منوهين إلى أنها من أجمل لغات العالم المعاصرة.

كما تجدر الإشارة إلى قرار وزارة التعليم الفرنسية حول إدراج اللغة العربية بشكل رسمي في المناهج ابتداء من العام المقبل 2017، حيث سيتمكن التلاميذ الفرنسيون من اختيارها كلغة أجنبية تدمج داخل المنظومة التربوية والتعليمية الفرنسية مما يعد خطوة إيجابية لتعليم اللغة العربية للجاليات العربية المقيمة في فرنسا لما تحمله من تأصيل للهوية ومصالحة مع الذات وخدمة لأبناء العرب في المهجر بفرنسا وغيرها من الدول وتقديم الثقافة والقيم العربية الأصيلة من خلال مشروعات وأنشطة تربوية وثقافية. كما كان هناك جهود من قبل رئيس معهد العالم العربي بباريس جاك لانغ، من أجل توفير فرص أكبر لتعليم اللغة العربية لأبناء العرب المقيمين بفرنسا.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تتعاون حاليًا مع وزارة التربية الفرنسية في وضع «الكتاب المرجعي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» مثلما تتعاون مع فريق علمي يعمل على إنتاج مجموعة من المعاجم التربوية الأحادية والمزدوجة اللغة «مشاتل اللغة العربية» ويشرف عليها أستاذ اللسانيات العربية في جامعة ليون والأمين العام للجنة الجامعية المشتركة للدراسات العربية بفرنسا د. جوزيف ديشي.

11 - **أنشطة أخرى من جهات معنية أخرى من شأنها أن تخدم اللغة العربية:** هناك مهام ومسؤوليات وواجبات يتحتم أن تضطلع بها جهات معنية في بلداننا العربية مثل وزارات التجارة والصناعة والصحة والزراعة والطاقة عند استيراد البضائع والمعدات والأدوية والأغذية والأجهزة، التي تصاحبها كتيبات إرشادية حيث يجب أن تكون اللغة العربية ضمن لغاتها مع لغات أخرى، وفي هذا بلا شك رفع للغة العربية وفخر بشأنها وتعزيز لوجودها وتقدير لمكانتها.

كلمة أخيرة:

وأخيرًا أضحى الاهتمام باللغة العربية مطلبًا دينيًا وتوجهًا وطنيًا وضرورة حتمية أملته ظروف عصر تتفتق فيه الإبداعات والابتكارات بشكل متلاحق، وتحتدم فيه التغيرات التقنية والمعلوماتية على نحو مذهل، ولا يجمل بنا نحن أبناء هذه البلاد التي شرفها الله بخدمة البيتين العتيقين الشريفين أن نقف مكتوفي الأيدي أو كمتفرجين، وكأن الأمر لا يعنينا، كيف لا ولغتنا العربية لغة ثرية في مفرداتها غنية في اشتقاقاتها جزلة في مدلولاتها شرفها وأجلها الله عزّ وجلّ بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذي أنزله على أشرف الخلق أجمعين.. وفي الختام هناك حوالي ألف مليون مسلم في حاجة إلى تعلم اللغة العربية لأجل تلاوة القرآن ومعرفة معانيه ودلالاته إلى جانب معرفة الأحاديث النبوية ولأجل التفكر والتدبر الضروري لأداء الشعائر الدينية التعبدية من صلاة ودعاء وحج وتلاوة آي الذكر الحكيم وغير ذلك.

ولغة ذاك شأنها وقدرها وتلك مكانتها وجلالها لحري بنا أن نحميها ونصونها ونحافظ عليها من العبث والتشويه، نظرًا لما نشاهده بكل حرقة وأسى ما يحدث أمام ناظرينا وبين ظهرانينا وفي عقر دارنا من ظهور كلمات أجنبية في مسمياتنا ولافتاتنا وإعلاناتنا ودعاياتنا، والذي هو بلا شك إحساس خاطئ نراه قد بدء يترسب في أعماق البعض منا ممن يرى أن تلك المسميات والمصطلحات والكلمات ذات الأصول الأجنبية لها وقع السحر في جذب الناس لشراء بضائعهم والتردد على متاجرهم، ولعلهم بهذا لايدركون أنهم يغتالون لغتنا الجميلة ويتناسون أو يتجاهلون لغتنا الأصيلة بل لغة كتابنا المجيد والبوتقة، التي تنصهر فيها ثقافاتنا الأصيلة وتراثنا التليد وحاضرنا المجيد ومستقبلنا المشرق بمشيئة الله.



تقدير الذات

Self-Esteem



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

يعيش الإنسان اليوم عصرًا يحدث فيه تطور وتقدم في مجالات الحياة المتنوعة مما يجعله يواجه كثيرًا من التحديات التي تتسبب في حدوث قدر من سوء التوافق واضطراب في العلاقات الاجتماعية والبينشخصية (Social and Interpersonal Relationships) مما قد يؤثر في تقييم وتقدير الفرد لذاته (Self-Esteem). وقد اهتم كثير من الباحثين بمفهوم تقدير الذات الذي يعتبر من أهم المتغيرات التي تساعد في تحقيق الفرد لقدر مناسب من الصحة النفسية والتوافق النفسي والاجتماعي، حيث إن شعور الفرد بأنه ذو قيمة من حيث التقبل الاجتماعي من قبل الآخرين ينمي لديه الثقة بالذات، مما يساعد على قدرته على مواجهة المشكلات وضغوط الحياة التي يواجهها بإيجاد حلول توافقية مناسبة. وتتضح أهمية التقدير الإيجابي للذات فيما تأكد لدى ماسلو (Maslow) في تنظيمه للحاجات النفسية، حيث يرى أن هناك حاجة ماسة لتقدير الفرد لذاته واحترامه لها والثقة بذاته، كذلك هناك حاجة ملحة لتقدير الذات من الآخرين، الذي يتضمن المكانة والمركز والتقبل الاجتماعي (في: الصبان، 1993م، ص 54). وقد أشارت نتائج عدد من البحوث الإمبيريقية إلى أن التقدير المرتفع والإيجابي للذات يلعب دورًا مهمًا في التوافق النفسي للفرد، حيث إن ذلك من شأنه أن يزيد من ثقته بذاته، ويجعله أقل عرضة للاستهداف للاضطرابات النفسية. ومن ناحية أخرى، فإن التقدير المنخفض للذات يجعل الفرد غير قادر على مواجهة المشكلات أو ضغوط الحياة، كما يجعله مستهدفًا من عدد من الاضطرابات النفسية والتي منها الاكتئاب، حيث أشارت نتائج عدد من الدراسات إلى ارتباط الاكتئاب سلبيًا بتقدير الذات المرتفع لدى الأفراد.

وفي المألوف العلمي المنهجي في الدراسات النفسية، فإن الذات (Self) تمثل الإحساس بواقع الفرد ووعيه بنفسه، ومع نموها ينمو الإحساس بالخلق والمثاليات، أي يتكون الضمير (Conscience) ، وكذلك تتكون الذات المثالية (Ideal Ego)

التي توجه الفرد إلى رغبته في أن يكون إنسانًا مثاليًا، والتي منها تتكون الذات العليا (Super Ego)، وهو الجزء الذي يقوم بوظيفة تقويم سلوك الإنسان وضبط طريقة إشباع حاجاته. وحتى يصبح الفرد سعيدًا مع نفسه، لابد أن يحدث نوع من التوازن بين مطالب الذات ومطالب الواقع ومطالب الذات العليا، وبمدى نجاح الفرد في تحقيق هذا التوازن ينمو لديه مفهوم ذات (Self-Concept) مقبول، أي صورة عن نفسه يحبها ويرغبها، وعندئذ يكون لديه تقدير لذاته (Self-Esteem) بدرجة عالية، والذي ينتج من نجاحه في تكوين مفهوم ذات مقبول له، ويعني ذلك أن يحقق الفرد صورة عن نفسه يحبها ويرغبها (Self-Image)، والتي تعني تقييم الفرد ورؤيته لنفسه، وتقدير الذات يعني مدى اعتزاز الفرد بنفسه وتقييمه الإيجابي لذاته.

ويبلور مفهوم تقدير الذات انعكاسًا لاتجاه الفرد نحو نفسه، ويكون الفرد اتجاهًا نحو ذاته لا يختلف كثيرًا عن الاتجاهات التي يكونها نحو مجالات وموضوعات الحياة المختلفة، وتقدير الذات عند "كوبر سميث" هو الحكم الذي يصدره الفرد على نفسه متضمنًا الاتجاهات التي يرى أنها تصفه على نحو دقيق، وينقسم تعبير الفرد عن تقديره لذاته إلى قسمين: أولهما، التعبير الذاتي وهو إدراك الفرد لذاته ووصفه لها، والثاني، التعبير السلوكي، ويشير إلى الأساليب السلوكية التي تفصح عن تقدير الفرد لذاته، والتي تكون متاحة للملاحظة الخارجية (في: سليمان، 1999م، ص 96، 97). كما يُعرف تقدير الذات بأنه حكم الشخص تجاه نفسه، وقد يكون هذا الحكم والتقدير بالموافقة أو بالرفض، وقد صُمم لقياس اتجاهات الفرد نحو نفسه في مجال الخبرات الشخصية والأسرية والأكاديمية والاجتماعية.

ويُعد تقدير الذات نتاجًا للتقديرات التي يدركها الفرد من الآخرين المهمين بالنسبة له، كما يعد نتاجًا أيضًا لمشاعر الفرد بالقدرة والكفاءة، وتمثل الوظيفة الأولى الاستحسان الاجتماعي، بينما تمثل الوظيفة الثانية الإحساس بالقوة والكفاءة. ويمكن القول بأن تقدير الذات يمثل الوسيط النفسي بين ذات الفرد والواقع الاجتماعي، الذي يعيش فيه والأحداث السلبية أو الإيجابية التي يواجهها، وهو بذلك يعني أن الأفراد الذين يتمتعون بتقدير مرتفع للذات، يتميزون بالقدرة على التفاعل الاجتماعي الجيد، في حين أن الأفراد منخفضي تقدير الذات يكونون غير قادرين على التوافق مع الظروف الاجتماعية.

ويهتم الباحثون كثيرًا بدراسة العلاقة بين تقدير الذات وبعض المتغيرات والخصائص النفسية الأخرى، وذلك للوقوف على الإسهام النسبي لتقدير الإنسان لذاته في دعم تلك الخصائص، ومن ذلك دراسة العلاقة بين تقدير الذات والرضا عن الحياة (Life Satisfaction). حيث لقي مفهوم الرضا عن الحياة اهتمامًا كبيرًا لدى الباحثين في مجال علم النفس بصفته مؤشرًا مهمًا للتكيف والصحة النفسية، وأن الشعور بعدم الرضا عن الحياة يعد واحدًا من المشكلات المهمة في حياة الفرد وقد تترتب عليه مشكلات نفسية أخرى، والرضا عن الحياة يعني تحمس الفرد للحياة

> "ويبلور مفهوم تقدير الذات انعكاسًا لاتجاه الفرد نحو نفسه ويكوّن الفرد اتجاهًا نحو ذاته لا يختلف كثيرًا عن الاتجاهات التي يكونها نحو مجالات وموضوعات الحياة المختلفة، وتقدير الذات عند "كوبر سميث" هو الحكم الذي يصدره الفرد على نفسه متضمنًا الاتجاهات التي يرى أنها تصفه على نحو دقيق"

والإقبال عليها والرغبة الحقيقية في أن يعيشها، ويتضمن ذلك عددًا من الصفات أهمها: الاستبشار، والتفاؤل، وتوقع الخير، والرضا عن النفس، وتقبلها واحترامها.

وقد تبين أن هناك ارتباطًا إيجابيًا بين تقدير الذات والرضا عن الحياة لدى الأفراد من الجنسين، وارتبط ذلك بعدد من سمات الشخصية الإيجابية، ومنها (الانبساطية Extraversion، والاتزان الانفعالي Emotional Stability، ويقظة الضمير Conscientiousness، والتفتح للخبرات Openness to Experience) (Baltny, 2002, pp. 385 - 392) كما تبين ارتباط الرضا عن الحياة إيجابيًا بتقدير الذات، والذي يعد أحد العوامل المسؤولة عن إحساس الفرد بالرضا عن الحياة، كما وضح أن العلاقات البينشخصية الجيدة بالأفراد الآخرين ترتبط إيجابيًا بتقدير الفرد المرتفع لذاته (الدسوقي، 1999م، ص 3، 4؛ Kang, et al., 2003, p. 1607).

وبالنسبة للدراسات الحديثة حول الرضا عن الحياة وتقدير الذات فقد ركزت على جوانب ذات صلة بدراسة العلاقة بين هذين المتغيرين في ظل التباينات الثقافية، حيث قام داينير وداينير Diener & Diener (2009م) بدراسة عبر ثقافية لبحث العلاقة بين الرضا عن الحياة وتقدير الذات، وشارك في الدراسة (13118) طالبًا وطالبة من (31) بلدًا حول العالم، وأظهرت النتائج بشكل عام أن الرضا عن الحياة متمثلاً في الرضا عن العلاقات الأسرية والعلاقات مع الأصدقاء، وكذلك الرضا عن الدخل المادي يرتبط إيجابيًا بتقدير الذات لدى جميع أفراد العينة على تباين خلفياتهم الثقافية. كما أشارت النتائج إلى أن العلاقة بين الرضا عن الدخل المادي وتقدير الذات تبدو أقوى في البلدان الأفقر. كذلك ركزت الدراسات الحديثة على الاختلافات عبر الأجيال في العلاقة بين الرضا عن الحياة وتقدير الذات، حيث قام أورث وآخرون (2012م) Orth, et al. بدراسة طولية لتتبع نمو تقدير الذات وعلاقته بمتغيرات أخرى من خلال بحث تأثير نمو تقدير الذات على نمو كل من الرضا عن العلاقات الاجتماعية والتأثير الإيجابي والسلبي في الآخرين، والرضا الوظيفي، والمكانة الوظيفية، والدخل، والشعور بالاكتئاب، وكذلك الصحة الجسمية. وقد تم تحليل البيانات من خلال (5) قياسات نفذت على مدى (12) سنة، واستهدفت من عينة تمثل أجيالاً متعددة، قوامها (1824) من الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 16-97 سنة. وأظهرت النتائج أن منحنى النمو الخاص بتقدير الذات يتزايد من مرحلة المراهقة إلى منتصف مرحلة الرشد، ويصل إلى القمة تقريبًا في عمر الخمسين، ثم يبدأ بالتناقص بعد ذلك مع التقدم في العمر. وأشارت النتائج كذلك إلى أن تقدير الذات يؤثر وبدرجة متوسطة على الشعور بالاكتئاب، وعلى الرضا الوظيفي والعلاقات الاجتماعية، وبدرجة قليلة على الصحة الجسمية، ولا يؤثر على المكانة أو المنصب الوظيفي والدخل المادي. هذه الدراسة التي أجريت على أربعة أجيال: الأبناء وآباؤهم وأجدادهم وآباء الأجداد، أوضحت نتائجها أن تقدير الذات له تأثير ذو دلالة على خبرات النجاح والفشل في الحياة لدى الأفراد على اختلاف أعمارهم.

إذًا فإن تقدير الذات الذي يعكس مشاعر الثقة والكفاءة والفاعلية والتقبل الاجتماعي والإحساس بالقيمة، يقود إلى الشعور بالرضا عن الحياة، وما يتضمنه ذلك من مشاعر إيجابية تنعكس على سعادة الإنسان وتفاؤله.

أهم المراجع:

- الدسوقي، مجدي محمد (1999م). "دليل مقياس مستوى الرضا عن الحياة"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- سليمان، عبدالرحمن سيد (1999م). "تباين تقدير الذات في مرحلة الطفولة – دراسة بين أبناء مصريين"، مجلة الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، العدد (11)، ص ص 87 – 133.
- الصبوة، محمد (1993م). "الاكتئاب وعلاقته ببعض المتغيرات الشخصية وأثره على التحصيل الدراسي لدى طالبات المرحلة الثانوية" رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، مصر.
- الغامدي، عبدالرحمن بن سليمان (2013م). تقدير الذات وعلاقته بالرضا عن الحياة لدى طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدارسين باستخدام الإنترنت، مجلة دراسات، العلوم التربوية، المجلد (40) ملحق (4)، ص ص (1318 – 1333)، الأردن.
- Baltny. M. (2001). Personality determinants of self-estee and life satisfaction gender differences. Ceskoslovenska Psychologie. Vol 45 No. 5 385 - 392.
- Diener. E. & Diener. M. (2009). Cross-Cultural Correlates of Life Satisfaction and Self-Esteem. Social Indicators Research Series. Vol 38. 2009. pp 71-91.
- Kang Sun M. & Shaver. P. & Sue. S. & Min. K & Jing. H. (2003). Culture - specific patterns in the prediction of life satisfaction. roles of emotion. relationship quality and self-esteem. Personality and Social Psychology Bulletin. Vol 29. No. 12. 1596 - 1608.
- Orth. Ulrich; Robins. Richard W.; Widaman. Keith F. (2012). Life-span development of self-esteem and its effects on important life outcomes. Journal of Personality and Social Psychology. Vol 102 (6). 1271-1288.



هل تحدّث خُوسِّيه سَارَامَاغُو في كتاباته عن الرّبِيع العَرَبي..؟!



د. محمّد محمّد خطّابي *

مدريد - (إسبانيا)

في مجال رصد استقراءات، وتنبّؤات بعض الرّوائيين، والكتّاب، والمفكّرين الغربييّن حول ما عُرف أو أُطلق عليه بـ "الربيع العربي" ؛ نَسْتَحضِرُ، أو نُذكّر في هذا السّياق بما كانت قد صرّحتْ به "أرملة الكاتب والرّوائي البرتغالي الرّاحل" خوسّيه ساراماغو" (نوبل في الآداب عام 1998) الكاتبة، والمترجمة الإسبانية "بيلاَرْ دِيلْ رِيُو" حيث سبق لها أن أكّدت في إحدى تصريحاتها للصحافة الإسبانية أنّ زوجها كان قد تنبّأ (!) أو بالأحرى أن تحدّث في إحدى رواياته التي كانت قد نُشرت عام 2004 والتي تحملُ عنوان: "بحث في الوضوح" أو "البصيرة" والتي (صدرت ترجمتها إلى العربية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة الجوائز)، تحدّث، واستقرأ - حسب منظورها وبناءً على تصريحها- برياح التغييرات التي عصفت، وهبّت على بعض البلدان العربية، والثورات التي عرفتها، وشهدتها، أو ما أمسى يُعرف اليوم بـ: (الربيع العربي) الذي سرعان ما أضحىَ في عُرْف البعض، أو أصبحَ، أو كاد أن يصبح خريفًا عربيًّا، شاحبًا، حزينًا، كئيبًا، رديئًا، مُدلهمًّا، وفي بعض الأحيان مُخيّبًا للآمال..!

الاعتصام..

رواية خوسّيه ساراماغو الآنفة الذّكر "بحث في الوضوح" أو "البصيرة" حسب أرملة الكاتب "بيلار ديل ريّو" تحكي قصّة، أو حكايةَ شعب قرّر بالإجماع مقاطعة الانتخابات في البلاد، ممّا أشاع نوعًا من الهلع، والفزع، والذّعر، والرّعب، والتخوّفات لدى المسؤولين، حيث اعْتُبِر هذا التصّرف بمثابة شكلٍ من أشكال التحدّي، والمواجهة، أو إعلان العصيان، أو أمارات، أو إرهاصات تُنذر بقرب قيام الجماهير بتمرّد عام على السّلطة الحاكمة.

وتقول: "بلار ديل ريّو" في نفس السّياق: "إنّ هناك فقرةً في هذا العمل الأدبي الرّوائي تشير إلى ما مفاده: "أنّ المواطنين يظلّون معتصمين لعدّة أيام في السّاحة الرئيسية، أو الميدان الكبير للمدينة حيث يتمكّنون بالفعل تحت ضغط التظاهر، والاحتجاج المتواصليْن من الإطاحة بالحاكم الطاغية المُستبدّ - كما تصفه الرّواية -. وعندما ينتهي كلّ شئ، ويعود المتظاهرون إلى أعمالهم الاعتيادية، ومزاولة نشاطاتهم اليومية المتواترة، يقرّرون فيما بعد تنظيم أنفسهم ويبدأون - قبل كلّ شئ- بتنظيف المكان الذي كانوا مُعتصمين فيه"..!.

وتشير أرملة خوسيه ساراماغو "بيلار ديل ريّو" أنّ ذلك ما حدث بالضبط أو ما يشبهه الى حدّ بعيد في مصرَ، وفي بعض البلدان العربية أو في أماكن، ومدن أخرى من العالم العربي، التي طالتها رياحُ الغضب، وأعاصير التغيير في المدّة الأخيرة".

وتؤكّد هذه الكاتبة الإسبانية، وهي مترجمة أعمال زوجها "ساراماغو" من اللغة البرتغالية إلى لغة سيرفانتيس: "أنّ زوجها لم يكن قارئَ طالع، كما أنه لم يكن يتنبّأ بالمستقبل، بل إنّه كان مثقفًا يعيش عصره، ويعيه جيّدًا ويتفاعل مع

أحداثه والتطوّرات التي يشهدها بدون انقطاع، ومن ثم فهو كان يرصد عيوبَ العالم، ونواقصَه، وزلاّته بالتأمّل فيه، وإعمال النظر بمجرياته" - على حدّ تعبيرها -.

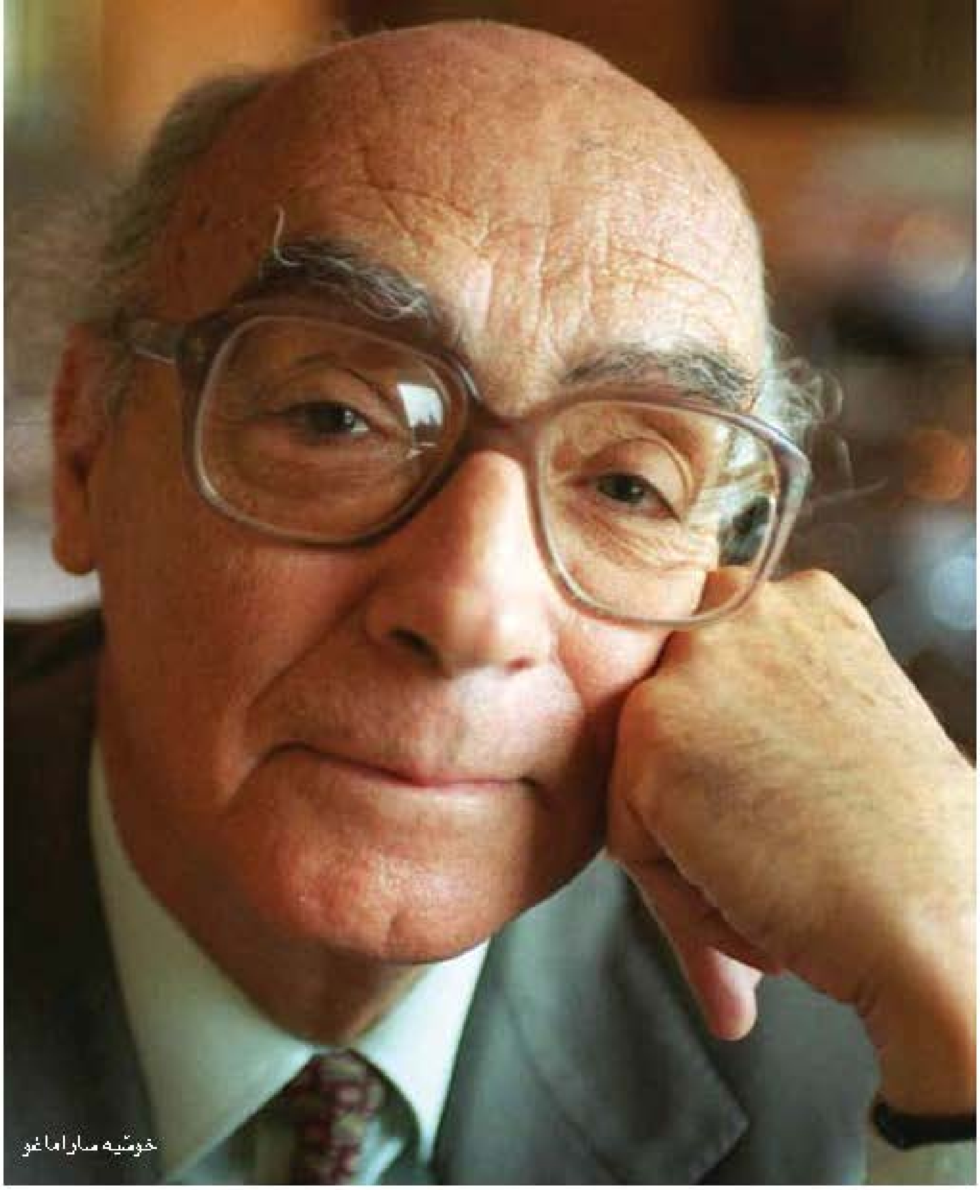
وتضيف "بيلار ديل ريّو" قائلة من زوجها: "إنّه كان رجلاً دائمَ التفكير في كلّ ما يحيط به ويعايشه، مُمْعِنًا النظرَ في العالم، ومتتبّعًا لكلّ ما يعتريه من تغيّرات، أو تعثّرات، أو نواقص، وعيوب، وقصور". وتَزْعُم "بيلار ديل ريّو" في السّياق نفسه أنّ ساراماغو: "كان يعرف - خلافًا لما كان يُعتقد في ذلك الإبّان - أنّه لم تكن هناك أزمة إقتصادية حادّة إجتاحت العالم، بقدر ما كانت هناك أزمة أخلاق، وسلوك، ومبادئ، وعليه فإنّ البشرية سوف تتأخّر كثيرًا للخروج والتخلّص من هذه المُعضلات العويصة، والأزمات الحادّة التي تعصف بها وببلدانها" - حسب منظوره -.

ساراماغو وروايته العَمَى

يرى بعضُ الكتّاب منهم بلديُّه لأو مواطنه الباحث البرتغالي "كَارْلُوسْ رِيّاسْ" عميد جامعة "أبيرتا" البرتغالية أنّ خوسّيه ساراماغو أثار خلال حياته غيرَ قليل من الزّوابع، والنوابع، والجدل حول مختلف القضايا المعاصرة سياسية كانت، أم أدبية، أو فلسفية، أو تاريخية، أو اجتماعية، أو دينية، التي لم تخلُ في بعضها من بعض الأباطيل، والمبالغات، والترّهات، والمغالطات، وإثارة النقع، والعجاج على صفحات الجرائد، والمجلات، والكتب دون طائل يُذكر. ولعلّ روايته الشهيرة "العَمَى" التي نال بها أو عنها (جائزة نوبل في الآداب..) قد جعلت الأمورَ تدلهمّ أمام ناظريه، هذا في الوقت الذي كانت له من جهة أخرى مواقف مشرّفة على الصعيد العربي كموقفه الدّاعم لقضيّة فلسطين، وانتقاده العنيف لإسرائيل بعد الممارسات الوحشية التي قامت بها ضدّ الفلسطينيين العزّل والتنكيل بهم. وقد قام عام 2002 بزيارة لرام الله متضامنًا مع الفلسطينيين في أثناء الحصار الذي فرضته أو بالأحرى ضربته إسرائيل عليهم بعد انتفاضة الأقصىَ آنذاك، حيث هاجمته الصهيونيةُ العالمية وطالته حِرابُها، وغشّته سنانُها بعد تصريحاته، وانتقاداته التي أدلى بها أمام الملأ ضدّ إسرائيل.

بعض الإبداع فتنة !

ويشير الباحث الجامعي "كَارْلُوسْ رِيّاسْ" من جهة أخرى: إن بعض الإبداع فتنة كما يُقال، فعندما صدرت رواية خوسّيه ساراماغو "الإنجيل حسب يسوع المسيح" عام 1991 أثارت ضجّة كبيرة انقلبت إلى نقمة عارمة عليه، إذ يوجّه فيها الكاتبُ انتقادات لاذعة للكنيسة الكاثوليكية، ممّا حدا به إلى التفكير في الاغتراب والهجرة بصفة نهائية من بلاده ، خاصّة بعد أن قامت الحكومة البرتغالية بحجز كتابه، وحظره، واتّهام رجال الدّين والفاتيكان له بالإساءة، وبالمساس بالتراث الديني للبرتغاليين، ومنذ مغادرته البرتغال 1998 (وهو عام حصوله على جائزة نوبل العالمية في الآداب) بدأ يُبدي نوعًا من الافتخار والتباهي بأصوله الأمازيغيّة - حسب ادّعائه - إذ كان يزعُم أنّ أجدادَ جدّه يتحدرون من شمال إفريقيا، وذلك - حسب رواية الباحث الجامعي البرتغالي الآنف الذكر -.


خوسّيه ساراماغو

وقد استقرّ خوسّيه ساراماغو بعد ذلك في جزيرة "لانثاروطي" بالأرخبيل الكناري (الخالدات) بشكل دائم حتى آخر أيام حياته موليًا وراء ظهره الغربَ والشمال، ومُعانقًا هذه الجزيرة الكنارية الضائعة في غياهب بحر الظلمات، والغارقة في متاهات المحيط الهادر، وتشكّل هذه الجزيرة البركانية- كما هو معروف - إحدى سلسلة الجزر السّبع التي تشكّل أرخبيل الخالدات ذي الأصول والجذور الأمازيغية قبل وصول الإسبان إليها في القرن الخامس عشر، حسب معظم الدّارسين، والكتّاب، والباحثين، والمؤرّخين الثقات في هذا الشّأن من مختلف الجنسيات بمن فيهم الإسبان والكناريون أنفسهم الذين يعرفون هذه الحقيقة التاريخية، بل ويتباهى بعضُهم بها..!

الظّلامُ المُلتهب

وينبغي الإشارة في هذا الصّدد أنّ للكاتب الإسباني المسرحي الكبير "أنطونيُو بُويِرُو بَايِيخُو" مسرحية ناجحة من تأليفه تحت عنوان "الظلام الملتهب" وهي تدور حول العَمَى كذلك، حيث تُعد هذه المسرحية نقضيًا مَهْوُوسًا للظرف التراجيدي للإنسان بوصفه عنصرًا بارزًا من عناصر التاريخ، وبذلك تتحوّل الدراما، أو التراجيديا عنده إلى حقيقة تاريخية ملموسة، عاش "أنطونيو بويرو باييخو" سنتين من عمره في مدينة العرائش (شمال المغرب)، حيث كان والده عسكريًّا يعمل بالجيش الأسباني هناك. ولا يُستبعد أن يكون ساراماغو قد قرأ هذه المسرحية أو تأثّر بها ولا شكّ، ومع ذلك نال بروايته (العَمَى) الآنفة الذّكر إيّاها أعلى، وأرقى تكريم أدبي في العالم (نوبل في الآداب) كما سبق القول..!

من أعمال خوسّيه ساراماغو الرّوائيّة الأخرى "أرض الخطيئة" (1947)، "تاريخ حصار لشبونة" (1989)"، "الإنجيل حسب يسوع المسيح" (1991) "كلّ الأسماء" (1998) "رحلة الفيل" (2008) "قابيل" (2009) وسواها من الأعمال الروائية والإبداعية الأخرى. هذا وتجدر الإشارة كذلك في هذا القبيل أن رواية ساراماغو "العَمَى" (1995)، قد تحوّلت إلى فيلم سينمائي عام 2008. توفّي خوسّيه ساراماغو عام 2010 عن سنّ تناهز 87 سنة في مقرّ إقامته بجزيرة "لانثاروطي" الكنارية بأرخبيل الخالدات.

✸ كاتب، وباحث، ومترجم، وقاصّ من المغرب، عضو الأكاديمية الإسبانية- الأمريكية للآداب والعلوم - بوغوتا - كولومبيا.



هل يمكن تأسيس نقد فلسفي للأفلام ؟



د. بدر الدين مصطفى

أستاذ علم الجمال- آداب جامعة القاهرة



للصورة مكانتها الملتبسة في النصوص الفلسفية. وربما كان مرجع هذا الالتباس؛ موقف الفلاسفة منها. حيث تراوح بين الرفض التام لها بوصفها مرادفًا للوهم والخداع وبين الدفاع عنها بوصفها تجليًا للحقيقة والوجود. ومنذ أفلاطون وحتى وقتنا الراهن، لم يكف الفلاسفة عن التأمل حول مفهوم الصورة، وقد تمت مناقشته في سياقات عديدة، فهو حاضر في كل نقاش يدور حول نظرية المعرفة، وهو حاضر أيضًا في التصورات الانطولوجية للعالم-عالم الصور وعالم الأشياء. وهو حاضر بصورة مضمرة في العلوم الطبيعية- خاصة الرياضيات البحتة التي يمكن النظر إلى نسقها على أنه صورة رمزية لأشياء العالم. كما أنه بطبيعة الحال حاضر في كافة الفنون من الصورة في الرسم وحتى الصورة الشعرية في الأدب. وعالم الصور عالم إبداعي، مرتبط بالخيال عمومًا، لا يكتفي فيه الوعي بإدراك العالم، بل يعيد إنتاجه وخلقه، ويحوله من عالم مصمت إلى عالم حي، من صورة مطابقة إلى صورة مبدعة. وفي النهاية لا توجد صورة محاكية للعالم كما هو، كل صورة هي إعادة إنتاج وتحريف للشيء الواقعي، وحتى الإدراك الحسي يتضمن نوعًا من الإبداع عن طريق قلب الصورة في العين الطبيعية، وهو نفس ما يحدث في آلة التصوير أيضًا، بل إن الصورة المرآوية لا تعكس الأشياء كما هي في الواقع، بل تعيد إنتاجها وفقًا لطبيعة سطحها العاكس.

والواقع أن السينما قد حققت تقدمًا ثوريًا في مجال الصورة المتحركة. وقد ضاعف هذا التقدم من جماهيرية السينما لدرجة جعلت الفيلسوف الألماني فالتر بنيامين يصفها بأنها "الفن الوحيد الممكن في المستقبل". ومع

> وعالم الصور عالم إبداعي، مرتبط بالخيال عمومًا، لا يكتفي فيه الوعي بإدراك العالم، بل يعيد إنتاجه وخلقه، ويحوله من عالم مصمت إلى عالم حي، من صورة مطابقة إلى صورة خلاقة. وفي النهاية لا توجد صورة محاكية للعالم كما هو، كل صورة هي إعادة إنتاج وتحريف للشيء الواقعي

ذلك لم تكن علاقة الفلسفة بالسينما خصبة أو مثمرة كما هو الحال في علاقتها بباقي الفنون، ربما لأن السينما فن وليد لا يتجاوز عمره قرنًا وبضع سنين، أو ربما لأنها فن شعبي جماهيري لا يخاطب النخبة ومن ثم يفقد صفة مهمة من صفات الفنون التي تقاربها الفلسفة بما أنها هي الأخرى نخبوية. أو ربما أخيرًا لأنها، كما ذهب البعض انطلاقًا من موقف أفلاطوني رافض للصورة، تنتج الأوهام والخيالات والنسخ المشوهة، أي أنها أداة تضليل لا تنتج موضوعات من بين الموضوعات الواقعية، بل أشباه موضوعات. هذا فضلاً عن وجود من يشكك في الأصل في جدوى هذه المقاربة، وقد نقل عن الناقد السينمائي روجر إيبرت R. Ibert قوله "لا علاقة للتأمل النظري للأفلام بالفيلم السينمائي نفسه"، وكان تعليقًا موجهًا لما يراه توجهًا في الدوائر التنظيرية للفيلم المعاصر نحو تطبيق لغة "ساحرة وسرية" يصعب تتبعها، وتبدو بلا صلة مع تجربة المشاهدة السينمائية. كل هذا قد أدى إلى غياب، أو على الأقل تعطيل، التأمل النظري الفلسفي للسينما. وكما يقول جاكينتو لاجيرا "لنعترف بأن اللقاء الذي لم يتحقق بين الاستطيقا والنظرية السينمائية راجع إلى الغياب شبه التام لتأمل الفلاسفة حول السينما".

هذا النتاج الفلسفي الزهيد حول هذا الفن الذي وصفه فريدريك جيمسون بـ"الفاعل المركزي الرئيسي في القرن العشرين" يمكننا أن نميز فيه بين موقفين؛ الأول، اتخذ منها موقفًا سلبيًا ناقدًا. والثاني، سعى لفهمها والبحث عما هو مشترك بينها وبين الفلسفة.

الإيهام السينماتوجرافي

برغم قلة المقاربات الفلسفية للسينما إلا أنها جاءت مبكرة للغاية، فبعد أول عرض سينمائي قام به الأخوان لوميير في العام 1895 نشر هنري برجسون في العام 1907 كتابه التطور المبدع وخصص الفصل الأخير منه لمناقشة ما أطلق عليه الإيهام السينماتوجرافي، فآلة العرض السينمائي وفقًا لبرجسون تقدم لنا حركة كاذبة عبر تحريك الصور بسرعة 24 صورة، وهي بذلك مثال جيد للحركة الكمية، حركة العلم. وفي مقابل تلك الحركة توجد الحركة الكيفية. فالعالم كله متحرك وفي حالة من الصيرورة المستمرة. وهذه الحركة هي الحركة الحقيقية التي يتم إدراكها عبر العيان أو الحدس.





النظرية النقدية

قدمت النظرية النقدية نقدًا للسينما في سياق أوسع من نقدهم لما أطلقوا عليه صناعة الثقافة. وتشير المحادثات المتبادلة بين أدورنو وبنيامين (من أعلام مدرسة فرانكفورت) إلى تبني الأول موقفًا نقديًا رافضًا لفن السينما، فهي تعمل على تقليص الفاعلية النقدية للمتلقي لأن المشاهد يكون همه الأول متابعة سيل الصور المتدفق على الشاشة، وليس ثمة فرصة أمامه لاتخاذ موقف نقدي منها، كما أن السينما تعمل من خلال مفهوم الصدمة الحسية وحشد كل ما هو غرائبي وغير مألوف للتلاعب بوعي المشاهد وهي بهذا تقع دائمًا في الكليشيه.. أي الصورة النمطية التي يعاد تكرارها باستمرار. أما بنيامين فهو يتفق مع مجمل ما ذهب إليه أدورنو لكنه يرى أن هناك وظيفة إيجابية للسينما تتمثل في أن الكاميرا تستطيع القيام بما لا يستطيع الإدراك الطبيعي القيام به مثل اللقطات المقربة والحركة السريعة والبطيئة.. إلخ. بالإضافة لذلك يرى بنيامين أن السينما إذا ارتبطت بمشروع حضاري ثوري، فقد يكون لها تأثير كبير على الوعي الجمعي، بما لها من إمكانيات تتفوق بها على كافة الفنون الأخرى.

الظاهراتية

كانت السينما حاضرة في النص الظاهراتي وخصوصًا لدى ميرلوبونتي وأجل وأبفر. وقد تركزت محاولاتهم في مقارنة آلية عمل الكاميرا بالإدراك البشري من أجل إثبات فكرتهم عن تجاوز ثنائية الذات والموضوع، فشعاع الكاميرا الذي يسقط على الأشياء فيكشفها ويسجلها يشبه الوعي البشري الذي لا يعمل إلا وسط الأشياء، فكل وعي هو وعي بشيء ما. ومن جهة أخرى تكشف السينما عن الوجود الإنساني في العالم وعلاقته بالآخرين. السينما تعيد إيجاد العالم من جديد وتقدمه لنا بصورة غير معهودة وفائقة.

> "كثير من الدراسات التي تتخذ من الفلسفة نهجًا لدراسة السينما تتبنى مقاربة تبدو مغرية من ناحية الشكل لكنها لا تؤسس لعلاقة يمكن البناء عليها مستقبلا لتطوير هذه المنطقة البينية المهمة من الدراسات الإنسانية"

جيل دولوز

كانت دراسة الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز عن السينما هي الأكثر نضجًا واستيعابًا لهذا الفن، فقد حاول أن يؤسس لعلاقة تجمع الفلسفة بالسينما دون أي وصاية من الأولى على الثانية، فالفيلم لا يمكن إخضاعه للرؤى الفلسفية والمفاهيم النظرية، بل يبدع فلسفته الخاصة به، ومنطقة التقاطع بين الفلسفة والسينما هي تلك الأرضية المشتركة التي تجتمع المعارف كلها عليها، إنها صورة الفكر السابقة على عملية التشكل، فالفكرة قد تكون واحدة قبل عملية التشكل ثم ما تلبث أن تتخذ شكلاً لغويًا فيكون الناتج أدبًا أو خطوطًا وألوانًا فتصبح رسمًا أو صورة متحركة فتغدو فيلمًا، هذا هو المشترك الذي يسمح بوجود علاقة متوازنة بين كافة المجالات المعرفية.

كيف يفكر الفيلم؟

كثير من الدراسات التي تتخذ من الفلسفة نهجًا لدراسة السينما تتبنى مقاربة تبدو مغرية من ناحية الشكل لكنها لا تؤسس لعلاقة يمكن البناء عليها مستقبلاً لتطوير هذه المنطقة البينية المهمة من الدراسات الإنسانية، وتتمثل تلك المقاربة في محاولة تطبيق بعض المفاهيم الفلسفية على الأفلام (العود الأبدي في أفلام نولان، النظرة المحدقة في أفلام هيتشكوك، أفلاطون في سلسلة أفلام المصفوفة.. إلخ) أو قراءة عمل سينمائي من خلال أحد الفلاسفة (كانط- بيرجمان، نيتشه- نولان، فوكو- هيتشكوك.. إلخ)، غير أن هذا النهج في التعامل مع العمل السينمائي يختزله في جانب واحد فقط هو الحوار أو الحبكة (فكرة الفيلم)، وهذا الجانب ليس هو الجانب الأهم داخل العمل لأن للفيلم لغته البصرية الخاصة التي لا يمكن اختزالها في مجرد فكرة، بمعنى أن فكرة الفيلم قد تكون تقليدية أو سبق تقديمها لكنها تظهر داخل الفيلم بلغة فنية جديدة ومدهشة، وهذه اللغة هي لغة الصورة التي هي امتياز السينما.

وبدلاً من محاولة البحث عن فيلسوف ما داخل العمل السينمائي أو لي بعض الأفكار السينمائية كيما تتوافق والفلسفة، ربما كان الأجدر هو التساؤل عن الكيفية التي يفكر بها الفيلم في العالم، وهنا قد يوصلنا الفيلم للفلسفة أو أي حقل معرفي آخر ليحدث هذا التلاقي المثمر، فالفيلم يفكر بذاته ولا يحتاج الفلسفة ولا الفلاسفة لحمله على التفكير، لهذا فربما كان المدخل السليم لتأسيس علاقة متكافئة بين الفلسفة والسينما هو محاولة الإجابة عن سؤال كيف يفكر الفيلم؟ وكيف يؤثر؟ كيف يفكر فيلم هيتشكوك النافذة الخلفية Rear Window في النظرة والمراقبة؟ كيف يفكر فيلم المصفوفة Matrix في علاقة الواقع بالوهم؟ كيف يفكر فيلم نادي القتال Fight Club في الذات والاضطراب النفسي؟ كيف تفكر سينما شاهين في الأنا وعلاقتها بالآخر؟ كيف تؤثر أفلام روبرت بريسون في إدراكنا للأماكن ونقاط التواصل بين الأفراد عن طريق اللمس؟ كيف يؤثر تصور كريستوفر نولان للزمن في إدراكنا له؟ كيف تؤثر أفلام بيرجمان في تصورنا لعلاقتنا مع الآخرين؟ إلخ.

ثلاثة قصائد قصيرة



رمضان إبراهيم بشير

مصر

1 (انتظار!)

وقعُ خُطاها
لا يسمعهُ
إلاي
وأنا كاللهفة منتظرٌ
على حافة شوقٍ حاد
أحصى إعجابي، وسروري
أتُراها تقصدني
أمْ أذني ضلَّتْ؟

2 (فيروز)

الوقتُ قمرٌ
و...
وفيروزُ تغنى:
"سلُملى عليه"
أتُراهُ أخبرها
بحديثي عنها
وحنيني
أمْ تعرفني من
قبل؟!

3 (خِواء)

بنتٌ فاتنةٌ جدًا
وخاوية الفكر
حقًا
أوصاف المشهد
لا توحى
بالإغراء!



تأثير غاستون باشلار في النقد الأدبي الفرنسي



ترجمة : د.سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

ليس من السهل جدّا الحديث عن تأثير فكر باشلار في النقد الأدبي، لأنه تأثير فضفاض ومسهب جدّا بحيث يصعب تحديده. يعود هذا، في جانب منه إلى كون التأمل الباشلاري لم يتموقع قط ضمن الحقل الخاص بالنقد الأدبي. ينبغي أن يستحضر فكرنا، جوابه المتسم بمرحه المعهود جدّا، حين محاورته لصحافي على أثير المذياع، يقول باشلار: «لا أعتبر نفسي أستاذا للأدب. لا أمتلك بهذا الخصوص ما يلزمني من الثقافة، أليس كذلك؟ لم أحاول دراسة حقبة والنبش فيها. كل هذه الكتب التي أخرجت إلى الوجود، تبقى بالنسبة إلي وحسب وجهة نظري، مجرد كتب للتسلية» ثم أضاف في مؤلفه شعلة قنديل:«كم كنت أستاذا سيئا للأدب! لا أتوقف عن الإفراط في الحلم حين القراءة».

تواضع غير صحيح؟ قد يكون جيدّا، بحيث يشعرنا أن هذا الاحترام لأساتذة الأدب لم يذهب حد منحهم وصاية استثنائية للتكلم عن الكتب. سيعبر باشلار كذلك، في موضع آخر عن تواضعه، لكنه يظهر في الوقت ذاته وعيا أكثر دقة بخصوص دوره الريادي، عندما كتب في مقدمة كتابه الماء والأحلام: «إذا كان بوسع أبحاثنا إثارة الانتباه، فيمكنها أن تأتي ببعض الوسائل والأدوات بهدف تجديد النقد الأدبي». ضمن هذه الوسائل – أفضل: قول هذه المساعي – من التي بدت أكثر خصوبة؟ من الذين يجعلوننا اليوم نتمنى "استعادة باشلار؟".

السؤال يطرح بقدر ما عرف النقد الأدبي حقًا، تقلبات وظواهر جارية، منذ رحيل باشلار، بل وإبان سنواته الأخيرة، لكن أيضًا – وهي قناعتي على الأقل-بعض التطورات، التي تجعلنا نعتقد بأن الخاصية التحديثية لنصوص باشلار انفلت شيئًا ما. يصعب بالأحرى، الحكم على هذه النصوص بأنها لم تبلور قط حيزًا، من جانب أصحابها، لتنظير يجيز التكلم عن مدرسة باشلارية، ثم فضلاً عن ذلك، بدا تطبيق فكره على شرح النصوص الأدبية، مخيبًا للأمل بما يكفي. هو فكر-على الأقل في هذا الميدان- شديد الارتباط بشخص وتصور باشلار، ثم أسلوب اتصاله بالعالم، بحيث سيكون عبثيًا ومثيرًا للسخرية، كل محاولة لـ أن تكون باشلاريًا.

مع ذلك، لا يمكن التشكيك في أن اكتشاف فكر باشلار، شكل تقريبًا بالنسبة لكثير من المتمرسين، إلهامًا منح أعمالهم انعطافًا يصعب تخيله بدونه. سأقتصر على بعض الأمثلة المأخوذة من الحقل الفرنسي، متمنيًا أن يتعرض للإشكال بعض الزملاء الأجانب قصد الحديث عن أثر باشلار في الخارج. مع ذلك، سأبذل قصارى جهدي، ليس بهدف الوقوف الدقيق على جوانب التأثير، لكن مجرد مقاربة مختصرة قسرًا، تنصب على القنوات المجددة حقًا، التي أرساها فكر باشلار للنقد، وكذا إن اقتضى الأمر، ما استثمر بصعوبة شديدة قصد الحديث عن خلود حقيقي لباشلار.

سأدلي أولاً ببعض الأفكار عن العناصر. حين تأملها، ندرك الافتتان المطلق الذي تمارسه على العالم، لكن أيضًا التواطؤات المبدعة التي توقظها لدى الشاعر، حينما انتقل باشلار من ابستمولوجيا العلوم إلى التأمل الشارد. ربما أيضًا، أعطى منحى فكره مجالاً لشتى أنواع سوء الفهم حدة، ثم جل أشكال الاستلهام القابلة أكثر للجدل. مؤلفاته: التحليل النفسي للنار، الماء والأحلام، الهواء والرؤى، الأرض وأحلام يقظة الاستراحة، الأرض وأحلام يقظة الإرادة: وضعت تحت لافتة العناصر الفيزيائية الأربعة القديمة، أولى الأعمال التي تطرقت للتيمات الأدبية، وامتدت بصيت باشلار إلى أبعد من دائرة الفلاسفة، واتضح بأنه يقيم انتسابًا بين هذا الكاتب وذاك العنصر مما يشكل مفتاحًا أساسيًا لنشاطه المتخيل. لقد أمسك بهذا المؤشر، واستعمله كمفتاح عام تفتح به كل الأقفال. سياق اتسم بالإغراء والجلاء، خلال حقبة شرعت معها الدراسات الأدبية تركز انتباهها على المتخيل لكن دون امتلاكها حيال فيضه المشوش، أي نموذج للتصنيف يحول دون تيهان الباحث. من هنا تعدد، وقد كنت شاهدًا على ذلك وشيئًا ما ضحية، أطروحات وفصول من أطروحات ثم أبحاث حول موضوعات الماء، والنار، إلخ، لدى مؤلفين عديدين.

والحال، أنه إذا كانت المؤلفات الخمسة التي طرحت الإشكال تضمنت تحليلات رائعة، ونظرية الأمزجة التي أمدتها بالدعامة (توخينا أحيانًا أن نقول: المبرر) اصطدمت باعتراضات قلصت من قيمتها الاستكشافية. فهل من المؤكد ارتباط خيال كل كاتب بعنصر وحيد، بل مهيمن؟ لقد رأى باشلار في نيتشه فكرًا هوائيًا، لكن من السهل تبيان (استطاع ميشيل مانسي Mansuy ذلك) أن صور النار عنده مهمة مثل صور الهواء. ألا توجد حالات وسطية ثم تبادلات، وتوترات، تبعث الشك بخصوص وحدة العنصر المطروح للنقاش؟ هل لائحة العناصر محدودة؟ ومن ثم أظهرت سنة 1953، مقالة لـ" جيلبير دوران"، ماسيكونه تحليل نفسي للثلج.

مع ذلك لم ينكر باشلار قط الأهمية التي منحها عمله لمتخيل العناصر الأربعة. أن نفهم مبرراته، يعني الاقتراب أكثر من الخاصية المؤسسة للمنظور النقدي مثلما تبناه منذ كتبه الأولى. يتعلق الأمر باستعادة الخيال قدرته على الخلق والإبداع والانفتاح، والتي نزعت تلك التقاليد المدرسية وكذا العقلانية الاختزالية إلى طمسها. لذلك يلزم مقاومة تيارين. يربط الأول المتخيل بالواقع، فيصير الخيال تقريبًا مجرد مادة ثانوية، سواء أن يستنسخه ثانية أو يخفيه. البحث، مع أتباع لانسون Lanson، عن الحقائق التاريخية أو البيوغرافية المتضمنة بين صفحات أعمال المبدعين الكبار، بدت له عملية بدون فائدة. سيكتب في شاعرية حلم اليقظة: «من الصعب جدًا وصل الحياة بالعمل !.هل يمكن لكاتب السيرة مساعدتنا حين إخبارنا بأن هذه القصيدة كتبت فترة اعتقال بول فيرلين في سجن مونس؟ السماء فوق سقف البيت، زرقاء جدًا وصافية جدًا "في السجن ! من الذي لا يشعر كأنه داخل سجن خلال ساعات السوداوية ؟ داخل غرفتي الباريسية، بعيدًا عن بلدتي الأصلية، أهتدي بتأمل شارد ل فرلين. تأتي سماء من هناك فتسود مدينة الحجر. تشدو ذاكرتي المقاطع الموسيقية لـ "رينالدو هان Reynaldo Hahn"،التي ألفها على قصائد فيرلين. تنمو بالنسبة إلى جملة انفعالات مكثفة، وأحلام يقظة، وذكريات، فوق هذه القصيدة .فوق- وليس تحت، قياسًا لحياة لم أحيها- ثم ليس مع حياة بئيسة لشاعر شقي». التحليل النفسي، وقد جذب اهتمامه بداية، كوسيلة للكشف عن القوى اللاواعية التي تعوق ممارسة التفكير العقلاني، سيبدو له، حينما توخى تطبيقه على تشكل الصور، بأنه يخضع لنفس الانتقادات. بالتأكيد العمل الفني، يقول باشلار، هو مطعّم بنزوات غريزية (وأيضًا تمثلات محمولة من طرف الثقافة). لكن يهمه فوق التطعيم، وليس تحته.

نقول دون تردد، بأن هذا الوضع وجد نفسه متناغمًا مع بعض مناحي النقد المعاصر، وتوخت حتمًا تعضيده: تلك التي ميزت بعد كتاب بروست: "ضد سانت بوف"، الذات الكاتبة عن الذات اليومية، وجعلت من النص حقيقة مستقلة، لها مزاياها الخاصة، وأيضًا حسب البعض، قوانينها الذاتية.

الخطر المقابل أن نرى في الصورة نتاج نشاط اعتباطي، دون تعليلات ولا علائق، ينفصل من خلالها الإنسان عن الكون، وهي تقريبًا وضعية جان بول سارتر "وظيفة اللا واقع" إذا أردنا، فالخيال لا يتوخى حسب باشلار، أن يحتجزنا في عزلتنا. من هنا يحلم الإرساء للعنصر الأصلي، أي مع المادي، بكل أهميته. إجمالاً، لا يهم كثيرًا، تحديد العنصر أو تصنيفه ضمن السياج المقترح من لدن الفيزياء القديمة. المهم، أن المادة التي يحيلنا عليها تسمح للإنسان أن يؤكد في الآن نفسه انتماءه الكوني وديناميكيته المبدعة.

> يقول باشلار: «لا أعتبر نفسي أستاذا للأدب. لا أمتلك بهذا الخصوص ما يلزمني من الثقافة، أليس كذلك؟ لم أحاول دراسة حقبة والنبش فيها. كل هذه الكتب التي أخرجت إلى الوجود، تبقى بالنسبة إلي وحسب وجهة نظري، مجرد كتب للتسلية» ثم أضاف في مؤلفه شعلة قنديل:«كم كنت أستاذًا سيئًا للأدب! لا أتوقف عن الإفراط في الحلم حين القراءة».

يعد القارئ الباشلاري (تجلى هذا منذ التحليل النفسي للنار وتأكد من كتاب إلى ثان) حالمًا بالكون . باشلار الوفي لحدس الرومانسيين الكبير، يعرف بأن الإنسان يعيش في عالم التطابقات، حيث يكمن دور الشعر في تفكيك دلالة معنى ذلك. ما إن يتم الإفصاح عن هذه الأقوال، حتى أكون مضطرًا لأصحح نفسي. الشاعر حسب باشلار، لا يعيش وسط عالم التطابقات، مما يفرض بأنها هنا جاهزة كليًا وليست في حاجة سوى لقطفها: إنه يعيش (فعلاً متعديًا) عالمًا من التطابقات، وليس له أن يكتشف رموزها، ومتمثلاً المعنى العميق خلف الظاهر، بل يعمل على إنجازها. سأحاول إظهار ذلك وأنا اقرأ نصًا طويلاً إلى حد ما، لكنه يعد من بين أجمل نصوص باشلار، تضمنه كتاب شاعرية حلم اليقظة: «نعم، قبل الثقافة، حلم الإنسان كثيرًا .تنبثق الأساطير من الأرض، وتنفتح الأخيرة كي ترى بعين بحيراتها وتتملى السماء. مصير نحو العلو يصعد من الهاويات. هكذا تعثر الأساطير فورًا على أصوات الإنسان، صوت الإنسان الحالم بعالم أحلامه. يعبر الإنسان عن الأرض والسماء والمياه. كان الإنسان كلامًا لتلك الماكرو-أنتروبولوجيا وهي جسد الأرض الضخم. العالم جسد إنساني في التأملات الشاردة الكونية الأولية، نظرة إنسانية، نَفَس إنساني، صوت إنساني. لكن،هل بوسع أزمنة العالم هاته المتكلمة، الانبعاث ثانية؟ من يذهب صوب عمق حلم اليقظة، سيعثر ثانية على التأمل الشارد الطبيعي، تأمل شارد عن الكون الأول والحالم الأول. إذن العالم ليس قط أبكم. يوقظ حلم اليقظة الشعري عالم الأقاويل الأولى. تشرع كل كائنات العالم متكلمة من خلال الاسم الذي تحمله. من الذي سماها؟ أليس بقدر كون اسمها اختير على نحو جيد، فإنها تسمي ذاتها؟ كلمة تهتدي نحو أخرى .تريد كلمات العالم أن تصنع جُملاً. يعرف الحالم ذلك تمامًا بحيث يخرج ركامًا من الأقوال، عبر كلمة

يحلم بها. الماء الذي "يرقد" أسود كليًا في المستنقع، النار التي "تنام" تحت الرماد، ثم كل هواء العالم الذي "يتوسد" العطر. جميع هؤلاء "النائمين" يشهدون وهم ينامون جيدًا، على حلم لانهائي في حلم اليقظة الكوني. لا شيء جامدًا، سواء الكون أو الحالم. حلمهم يعيش حياة خفية. إذن يتكلم الجميع بصدق. يسمع الشاعر ويردد. فصوت الشاعر هو صوت الكون».

بالتأكيد، ينبغي تناول هذا النص الرائع كما هو. لا يتضمن نظرية عن أصل اللغات، ولا ميتافيزيقا للتلازم. يلزم أن تنصت لها وفق دلالتها الحرفية. لكنه يعبر بطريقة غريبة تقريبًا، عن هذا الطموح الهائل قصد إعادة الإنسان إلى الكون الذي يوجه كل تفكير باشلار.

لكن ينبغي الانتباه! لا تعني عملية إعادة الإدماج هذه انضواء سلبيًا حسب نظام مقرر سلفًا. طبعًا، يسمع الشاعر ويكرر، لكن الحالم الذي يتقدمه ويلهمه سرًا ليس كسولاً.

أريد الآن التركيز على هذا المنحى الثاني من النظرية الباشلارية للخيال والقراءة الشعرية.

باشلار مادي. وقد كانت المادية العقلانية عنوان كتابه الأخير حول فلسفته للعلوم. ماذا يقول؟ ليس، بطبيعة الحال، أن الإنسان خادم للمادة، بل يسكن هذه المادة، ثم يفكر فيها علميًا أو الحلم بها شعريًا، ويحولها. بالنسبة للعالم كما الشاعر، تعد المادة محرضًا. هكذا تستبعد المادة الخطر الذي يترصد العقلاني، الجمالي، الأستاذ وكذا العالم المرتبط بصيغ الماضي: أن تخلق مسافة بينك وبين الموضوع، وكذا مجرد اختزاله إلى لعبة للأشكال والمظاهر. ومن ثم، كتب باشلار سلفًا، في الماء والأحلام: «ما إن تشرع في التمييز (...) بين كل المواد حسب العمل الإنساني الذي تثيره أو تقتضيه، فلن تتأخر قط كي نفهم بأن الحقيقة لا يمكنها حقًا أن تتشكل أمام أنظار الإنسان إلا إذا كان نشاطه اقتحاميًا بما يكفي وهجوميًا بذكاء. هكذا تحصل كل أشياء الكون بشكل منصف على مُعدلها من النِّدِّية. لكن في كتابه "الأرض وأحلام يقظة الإرادة"، وصف بكيفية مستفيضة هذا الصدام المفيد والمبدع بين الإنسان والمادة. الصفحات المبهرة بشكل ملحوظ، والتي انتقد من خلالها تحليل سارتر للمادة اللزجة، حينما رأى مؤلف الوجود والعدم، في تلك السمة رمزًا لغوص الوعي في ذاته. يخلص باشلار، إلى أن سارتر، فيلسوفًا بورجوازيًا، يتأمل السائل عن بعد، يخاف الاقتراب منه، ولا يتخيل قط أن اليد العاملة بوسعها: «أن تفرض على المادة اللزجة صيرورة من الصلابة، ثم يضيف: «من الممتع جدًا ملاحظة، الذي يخاف من مادة لزجة في كل مكان». مع هذا التراجع أمام المادة والتخلي عن الخيال، باعتباره تقوية للطاقة، يطرح باشلار في المقابل، تجربة الخباز والطباخ، التي ستدرك جراء العجن أقصى لزوجة العجين، أو تلك المحيلة على الاسكافي، الذي يستعمل لزج القطران كي لا ينزلق الخيط ويتوطد رتقه: «نتيجة حتّ سريع، أزاح الفعل المناوئ لليد، كينونة القطران».

هي مجرد أمثلة، ركزت عليها كي أبين ارتباط باشلار إلى غاية عمله الأخير "شعلة قنديل"، بمفهوم الخيال المادي الذي يقتضي حوارًا فعالاً ومبدعًا مع الكون. من البديهي أن سلطة الصورة المبدعة، ثم ميزتها بأن تبرز وجودًا فائضًا، لا تتحقق فقط هنا حيث تعلها الإرادة، والفعل، والعدوانية. بل من المثير أن نلاحظ كذلك، إلى أي حد انطلاقًا من عمله "شعرية المكان"، اتجهت ميولات باشلار نحو الصور التي تنطوي على اندماج سعيد وسط عالم مهيأ سلفًا إذا صح القول، ببنيانه وخطوط قوته. للتحولات التي سيلحقها به حلم اليقظة. لكن الأساسي يبقى ثابتًا، والجوهري هذا التحول، بحيث تعد اللغة الشعرية في الآن ذاته الحيز والأداة، أفق غير ممكن إلا لأنه كامن في العالم المادي للمتخيل.

طبعًا غير وارد، وصف الكيفية التي يتم عبرها هذا التحول ضمن التحليلات الباشلارية. سأكتفي مشيرًا إلى بعض جوانب منهجية القراءة (إذا أمكننا الحديث عن منهجية) التي يقترحها علينا باشلار. هذا يمكننا من تثمين جديد، وربما كذلك العوائق التي تعترض تعميمها مما يفسر نوعًا من صمت النقد المعاصر حول عمله.

ما يلفت الانتباه ربما أكثر، إذا قارنا عمل باشلار مع مجموع النقد الأدبي لحقبته، انحياز اهتمامه فقط بصور منفردة، مقطوعة غالبًا عن سياقها المباشر، ولا يموضعها سوى نادرًا جدًا ضمن كلية العمل الذي أخذت منه. وحدها الاستثناءات التي تستحق الذكر: كتابه عن لوتريامون ثم دراسته عن إدغار بو Poe في "الماء والأحلام". هذا الاختيار كان إراديًا تمامًا. في هذا الإطار، قدم جوابًا، يضمر سذاجة مموهة، حينما استفسره صحافي في أواخر حياته: «أفهم جيدًا، أنه يلزمني أن أدرس أكثر، لكنكم تطلبون مني أكثر مما ينبغي، لا أدري ...، لست مؤهلاً كي أقوم بهذا المشروع. أتوخى على العكس، تكريس كل ما تبقى لي من القوة كي أواصل ما أنجزته. آه! أجدني مع تلك القصيدة غير المحكومة كليًا بوحدة، لكنها تتضمن صورًا جميلة. كما ترون دوري متواضع جدًا، ولا أعتبر نفسي أستاذًا للأدب».

يستبعد هذا الموقف، في الواقع، مجهود أساتذة الأدب بخصوص إعادة النصوص إلى حقبتها أو ثقافتها وكذا تقدير تماسكها ووحدتها. إذن، أبعد من الأساتذة يتجه بالأحرى مجهود النقد الأدبي، إلى العثور على "صورة في السجادة" يتضح انطلاقًا منها كل شيء، أو الحدس المركزي كما عند جورج بولي أو جان ستاروبنسكي، الذي يمكن من تصفح العمل في كل أبعاده.


غاستون باشلار

نشير بكيفية عابرة، أن باشلار بذلك يتميز في الآن نفسه عن توجه فينومينولوجي معين ثم ما أسميه (دون أي صيغة تحقيرية) الإغواء البنيوي. التمس باشلار بإلحاح، إلى غاية تخلي كتاباته الأخيرة، لفائدة الفينومينولوجيا، عن مفهوم التحليل النفسي، الذي حظي في المقابل ضمن مؤلفاته الأولى بحيز واسع. مع أن، التيارات الأساسية للفينومينولوجيا، توجهت أكثر نحو تناول ذهني للكائن – في العالم أو الكائن – من أجل الموت، وليس الاستفسار في الاصطدام مع المادة الذي ميز مسار باشلار. حتى بالنسبة إلى ميرلوبونتي، الذي تناول العمل الفني على نحو رصين وخصب جدًا، ستموضع نقطة التقاطع عند مستوى وضعية الإنسان في المكان، ومواجهته للمرئي، التي لاتهم باشلار إلى حد ما. أو فقط إذا وجدنا فيها عملاً حول المادة، كما الشأن مع النحاتين. أما بخصوص "الإغواء البنيوي"، الحاضر بصرامة حتى لدى من هم ليسوا بنيويين، فلا يتناقض حتمًا مع الامتياز الممنوح للصورة المنفردة، تفترض كل بنية الربط علاقة بين عناصر ليس لها قيمة (أو ليس كل قيمتها) في ذاتها.

يلزم مع ذلك إضافة، بأن باشلار صمم في البداية، مشروعًا يستلهم الاتجاه الأخير، حينما كتب في التحليل النفسي للنار، بأن: «كل فكر شعري هو ببساطة وبلا تحفظ، تركيبًا للمجازات، وعندما تقارن الطريقة التي تتآلف وفقها هذه الأخيرة هندسيًا الواحدة مع الأخرى في صيغة رسم تخطيطي يشبه وردة، بدا بأنه بصيغ مشروعًا، كي يسبر منهجيًا أغوار المتخيل. لن نجد بداية لتحققه إلا في دراسته عن الشاعر لوتريامون. كثير من تلامذته – مما يظهر مدى خصوبة حدوسه، حتى عندما تجاوزوها – اختاروا

هذه الوجهة. أفكر خاصة في جان بيير ريشار، والذي بغير إعطاء مساره لبوسا دياليكتيكيا ثقيلاً جدًا، فقد انكب كي يظهر وجود منطق ترابطي للصور لدى جميع الكتّاب، أو أن "البنى الأنتروبولوجية للمتخيل" لـ "جيلبير دوران" تشكل تركيبًا طموحًا بين دروس باشلار ثم ما نتعلمه من الأساطير والسيكولوجيا التوليدية للفكر البشري.

العمل انطلاقًا من الصورة كما اقترحه علينا باشلار، يرتكز أولًا وقبل كل شيء، على الاقتران بديناميكيتها. المعطى الأخير، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك ،لا يأخذ بالضرورة صيغة مجابهة عدوانية حيال مقاومة المادة. حتى مع المؤلفات أو الصفحات المحتفلة ببهجة الاحتضان، فالصورة التي فضلها باشلار دائمًا بخصوص حميمية فضاءات ملاذ أو انسياب الحلم الهوائي، لم تكن قط تمثيلاً جامدًا. تهمه فقط الصور التي تجعلك تستشعر داخل الشيء أو جوهره، نوعًا من الفعالية والعمل قصد القطع مع كل ما هو جاهز وقائم سلفًا. لذلك سرعان ما ألف نفسه في استئناس مع التيار السوريالي، مع أن باشلار لم يكن يهوى قط ثقافة الإشارة والبيانات.لأن السورياليين كما يقول، يفهمون جيدًا تشكيل الصورة بمعنى جعلها ناطقة وكاشفة من غير السقوط في التناقض .لقد تأمل طويلاً في كتابه: الأرض وأحلام يقظة الاستراحة، السواد الخفي" للحليب كما تكلم عنه جاك أوديبيرتي: «سيدرك جيدًا الشاعر الذي يتواصل سريعًا مع الصورة المادية العميقة، بأن مادة معتمة هي ضرورية قصد تكثيف بياض في غاية النعومة. صورة سيقربها تحديدًا برايس برين، من هذا المقطع لـ "أناكساغور": "رغم ما تقوله عيوننا، فالثلج الذي يتألف من الماء، أسود. أي مزية حقيقة، أن يكون الثلج أبيض إذا لم تكن مادته قط سوداء؟ إذا لم تنبع، من عمق كائنه المعتم، وقد تبلّر في بياضه؟ إرادة أن تكون أبيض ليست بعطاء لون جاهز يقتضي منا مجرد تكريسه. الخيال المادي،وقد اتسم دائمًا بصبغة مبدعة، يريد خلق كل مادة بيضاء انطلاقًا من أخرى سوداء، يريد هزم كل تاريخ السواد».

يتجلى أيضًا هذا الطابع المبدع على مستوى القياس.يمكن للخيال أن ينفخ إراديًا جسمًا، مثلاً إعصارًا بحريًا، بحيث يجرفنا على إثره غاية حدود الدوار، أو على العكس، تقليصه حدّ أن نتلمس معه لا نهائيًا أسرار الصغير. على نحو عام، خاصية الصورة أن توحي وتتيح وتنجز انتقالاً إلى أقصى مدى، حيث يلتحم التطلع مع الكائن المتلهف إلى المادة ويتوافق في ذات الوقت مع حاجة التجاوز الملازمة للطبيعة البشرية. لكني أكرر، هذه الحاجة للتجاوز لا تعمل فقط وفق منحى بروميثوس. أيضًا ندين لباشلار، بما للصورة من سلطة كي تنتقل بنا إلى أصل وجودنا والأشياء، وتخلق فينا حالة من العفوية والانفتاح تفوق كل التجارب المعاشة. من هنا أهمية حلم اليقظة المتجه إلى الطفولة: «الطفولة، يكتب باشلار، هي بالتأكيد أكبر من الحقيقة. ولكي نختبر، على امتداد عمرنا، ارتباطنا بمنزل الولادة، فالرؤية أكثر قوة من الأفكار... باستثناء بعض أيقونات أجدادنا، لا تحتوي ذاكرتنا الطفولية سوى على نقود مستهلكة. من ثم، استنادًا على التأمل الشارد وليس الوقائع، تظل الطفولة حية فينا وشعريًا مفيدة».

من أجل تحديد موقف المشاركة الفعال المقترح على القارئ، استعار باشلار من فينومينولوجيا أوجين مينكوفسكي كلمة "رنين". أن تقرأ يعني مماهاة حالة الرنين .لا داعي كي نشير إلى ما تتضمنه هذه الدعوة، من تحفيز وحماسة وتحرر، من القواعد السيكولائية التي تسود أحيانًا التعليقات الأدبية، تحت لون العلمية. ينبغي مع ذلك القول، بأنها تطرح بعض القضايا. لكي يحدث الرنين كما ينبغي، يلزم امتلاك رهافة أذن باشلار وثقافته، والخلفية الهائلة للأبحاث الفلسفية والابستمولوجية التي ضمنت استقامة فكره. كلمة "حلم اليقظة" التي يؤثرها باشلار كثيرًا، لا ينبغي لها أن توهمنا. فالحلم، بالنسبة إليه، لا يساوي قط، هذيانًا. معاصرونا، المدركون للخطر، لم يخطئوا حينما اعتقدوا أن "اقرأ" lire تتأتى اشتقاقيًا من legere"، أي لك الخيار فليس عبثًا مطابقة ذلك لمعنى ligare أي " أن نرتبط ثانية، وبأن نصًا هو نسيج سيمدنا بأسراره فقط إذا تلمسنا صلابته، واستكشفنا ترابطاته الجوانية والبرانية. بهذا الخصوص، ربما لأساتذة الأدب ما يودون الإدلاء به.

توخيت منذ قليل التأكيد على استحالة اقتفاء صنيع باشلار دون أن تكون مثل باشلار. لا أريد بهذا الإقرار، أن أخمد قليلاً همتكم، لأنه سيقودنا نحو خلاصة مفادها أنه إذا بقي عمله بالنسبة لنا موضوع انذهال، فليس قابلاً قط كي ننكب عليه.

لقد ذكرت سلفًا إحدى السبل التي يمكنها أن تفتح انطلاقًا من ذاتها. إنها التي سلكها جان بيير ريشار.بالنسبة إليه، حتمًا لصور كاتب ما سلطة أن تجعلك تحلم وتبدع وجودًا فائضًا كما تمثلها باشلار، لكن لا ينبغي تقويمها بشكل منفرد. توجد بينها صلات وكذا شبكات غير واعية تقريبًا، تخول لنا أن نرسم بين طيات عمل أو بالأحرى، في إطار مجموع عمل كاتب ما، مسافات دالة، ونحدد من ثم أفضل مما يفعله الارتباط بعنصر واحد، الطابع الخاص لشخصيته المبدعة. لقد وظف جان بيير ريشار بخصوص نيرفال Nerval، تعبير الجغرافيا الساحرة، مما يوحي بفكرة مستجدات الميدان، ووجهات نظر متميزة، ثم مسالك للتواصل يسمح لنا كي نسلكها. بحيث نجد أنفسنا مثلاً مرتبطين ثانية، بتيمات ظاهرة تبتعد كثيرًا عن تلك التي للبركان يتهيأ كي تدخل في فوران، أو التي لقصر القرميد الأحمر، المضاء بنوع من النار الداخلية .يعطي المسار نتائج مذهلة غالبًا، لكنه يصطدم قليلاً بنفس الصعوبة التي نجدها مع باشلار :يلزمك امتلاك رهافة حس جان بيير ريشار، واهتمامه بكل دقائق ومختلف امتدادات الإحساس الذي تضمره الكلمات،بهدف توطيد هذه الشبكات بحيث لايضمن ترابطها وتماسكها، سوى شخصية الناقد الذي ينجز هذه الاختيارات.

يبدو لي أيضًا أنه يوجد في التحليل النفسي مسارًا ثانيًا، من الممكن تحسسه دون خيانة الحدوس الباشلارية. باشلار، وقد قلت ذلك سرعان ما انفصل -لاسيما في صيغته الفرويدية - تحت ذريعة أنه عوض التركيز على حداثة الصورة، فقد توخى اختزال هذه الأخيرة إلى ما هو معلوم، أي ما هو جنسي في غالب الأحيان. كان الاعتراض مقنعًا كليًا، نظرًا لبعض تفسيرات نظرية التحليل النفسي لتأويل الأدب حيث أمكن باشلار الإلمام بها خلال اللحظة التي أنجز فيها عمله. يتجه تفكيري مثلاً، إلى العمل المخيب جدًا للأمل للدكتور لافورغ، المعنون بـ: إخفاق بودلير.

ربما لم يأخذ باشلار كفاية في الحسبان مفهوم التسامي، الذي لا يرتكز أبدًا على اختزال إبداع فنان إلى صراعاته اللاواعية، لكن اقتفاء انطلاقًا من هذه الصراعات، آثار الخيمياء المحولة التي تهيئ ما سماه شارل مورون على نحو مضبوط جدًا "موضوعات وحدة الشعور". يظهر لي بأن دينامية الصورة، والتي يمنحها باشلار ثمنًا معينًا، تعثر هنا على كل حقوقها مادام يحدث الفنان هنا خروجًا حقيقيًا من الدائرة التي يهدده مصيره النفسي كي يحتجزه داخلها. إنه يلتقي بالتأكيد، في هذا الخارج مع كل ممكنات الانخراط في حياة الوجود التي هي امتياز للفن تبدو ضرورية لباشلار، لكنه يفعل ذلك انطلاقًا من أوضاع حيث العلاقات ما بين البشر (يندرج في إطارها الجنسي بمفهومه الواسع)لاتفقد شيئًا من ثوابتها النزاعية الدرامية غالبًا. المسارات المختلفة جدًا، للبعض عن البعض الآخر، التي يقترحها علينا على سبيل التمثيل لا الحصر: غي روزولاتو، جان بيليمان نويل، بيير غلودس، ميشيل كولو، تؤكد لنا بأن تصالح باشلار مع التحليل النفسي، مثلما نتصوره اليوم، ليس مستحيلاً لكن شريطة عدم نسيان ما يبدو لي أحد الدروس الكبرى لعمله: ينبغي لمختلف ما نكتبه عن الأدب، ليس فقط إشباع رغبتنا إلى المعرفة، لكن إيقاظ شهيتنا للقراءة. لذلك سأنهي مستشهدًا بهذا النص الجميل من كتاب شعرية حلم اليقظة: «أتمنى كل يوم أن تسقط علي من السماء سلة ممتلئة كتبًا تتحدث عن فتوة الصور. هو اعتراف بديهي، وهي معجزة في المتناول. أليست الجنة بمكتبة هائلة، هناك في أعالي السماء؟...لكن لا يكفي تسلمها بل يلزم الاحتفاء بها. ينبغي التكلم مماثلة بذات صوت البيداغوجي وكذا المختص في الحمية. ينصحوننا كي لانقرأ بشكل سريع جدًا ونحذر من الإفراط في ابتلاع قطع كبيرة. يقولون لنا، قسموا كل واحدة من الصعوبات، قدر ما يمكنكم إلى قطع صغيرة قصد معالجتها بشكل أفضل. نعم امضغوا جيدًا، اشربوا بجرعات صغيرة وتذوقوا القصائد مقطعًا مقطعًا. كل هذه القواعد جميلة وجيدة، لكنها محكومة بمبدأ، ينبغي أولاً أن تكون لك شهية جيدة، كي تأكل وتشرب وتقرأ. ينبغي أن نرغب في القراءة والقراءة دائمًا... أيضًا، ومع بداية كل صباح، أمام الكتب المتراكمة فوق طاولتي، تحية أيتها القراءة ،أؤدي صلاتي كقارئ نهم: هيا، أنتظر منكم، هذا النهم اليومي».

● هامش:

Max Milner : Bachelard dans le monde ;PUF ;2000. .36-PP.24

شعر ابن الرومي في الميزان



لواء أ.د. عبدالمقصود حجو

أستاذ زائر بالجامعات المصرية والعربية

مصر

يتربع الشعراء العرب بمكانة كبيرة وعالية على مر العصور بدءًا من العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا، فقد كانوا ذو خبرة واسعة وعميقة بكلمات ومفردات اللغة والأدب والنحو وخاصة فحول الشعراء وخاصة الشعراء المخضرمين ممن عاصر الجاهلية والإسلام واستطاعوا أن يصبوا الشعر العربي بقوالب جديدة منذ ظهور الإسلام، ومن بين هؤلاء الفحول الشاعر الكبير المقام ابن الرومي فلنتعرف أكثرعن حياته وقوافيه بين أقرانه من الشعراء الأقدمين والمحدثين على السواء.

من هو ابن الرومي؟

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، ويقال جورجيس، ولد في بغداد وخاصة في مدينة العقيقة عام 221هـ، وهو رومي الأصل، وأمه من أصول فارسية، اهتم ابن الرومي منذ صغره بنظم الشعر، حيث تتلمذ على يد محمد بن حبيب، عاش حياة كئيبة وذات مرارة، حتى إن شعره كأنه ترجمان للحياة التي كان يحياها، حيث كثر في شعره المآسي والرثاء لأعز أحبابه بمن فيهم أمه، حيث كانت امرأة صالحة تقية كما كان شعره: فإن الرومي هو شاعر من العصر العباسي، وتنوعت أشعاره بين المديح والهجاء والرثاء، وكان أحد أهم شعراء عصره، وله ديوان شعر مطبوع، وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التي قد وصل إليها إلا أنه لم يكن محبوبًا من الناس، حيث كان محسودًا ممن حوله، فكان ذا حظ سيء، لأن ضيعته قد حرقت، وزروعه قد أكله الجراد، وأتي الموت ليقضي على أفراد أسرته، فتوفي والده ووالدته وأخوه وخالته، ثم زوجته وأولاده الثلاثة، حيث قال في رثاء ابنه الأوسط القصائد الطوال ولقد كان لشعر ابن الرومى الأثر العظيم في نفسي إبان حقبة الستينيات من القرن الماضى في أثناء الدراسة فى المرحلة الثانوية، حينما قال في رثاء ابنه:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجودا فقد أودى نظيركما عندي

بني الذي أهدته كفاي للثرى
فيا عزة المهدي ويا حسرة المهدي

توخى حمام الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقد

طواه الردى عني فأضحى مزاره
بعيدًا على قرب قريبًا على بعد

فعلى الرغم من النظرة التشاؤمية التي كانت بعين ابن

الرومي إلا أن معظم شعره كان بغرض المديح حيث عاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين، وكان يحاول دائمًا أن يتقرب منهم بمديحهم، إلا أنهم كانوا يرفضون ذلك، ويمتنعون عن إعطائه الهدايا، ومن الممكن أن يكون السبب هو صدق إحساس ابن الرومي، فكان لا يحب المبالغة أو النفاق في المدح، حيث ابتعد عن الرياء وعن التزلف والنفاق. وكانت أغراض شعره ممزوجة بعضها ببعض حيث مزج بين الفخر والمدح، وأدخل إليها المدح والشكوى ذو الأنين نتيجة للمصائب التي عاش فيها، وكان دائمًا يذكر بالموت والفراق، كما أنه من ناحية أخرى كان شديدًا وقاسيًا جدًا في الهجاء، كما أنه برع في وصف الطبيعة، وبرع أيضًا في الرثاء بسبب موت أقرب الناس إليه، مما جعله يبحر في كل بحور الشعر المختلفة.

وكان مولعًا بالعلم فينصرف إلى متابعة التحصيل والحضور في مجالس العلماء والفقهاء والأدباء والرواة وشارحي المتون والبلاغيين والتزود بزاد دسم من ثقافة عصره. وكان قد رغبه في هذا الاتجاه منذ صغره أن تتلمذ شاعرنا على يد علي بن محمد بن حبيب الراوية النسابة، صديق والده، ولقد كان يرجع إليه دائمًا في تفسير ما غلق عليه من غرائب اللغة العربية. إنّ ابن الرومي تتلمذ أيضًا على يد أبي العباس ثعلب عن حماد بن المبارك عن حسين ابن الضحاك، وقد نشأ على تلقي الفلسفة. يقول المسعودي: إن الشعر كان أقل آلاته لعلمنا ذلك من شواهد شتى في كلامه. فقد أتيح لشاعرنا أن يتزود بثقافة واسعة ومكثفة، لغةً ونحوًا وأدبًا، كما نراه يتجه إلى الثقافة المعاصرة وإلى الشعر ورواية القديم والحديث. وأما ميله إلى اتجاه الثقافة لم يلبث أن جرى على لسانه، فتهادته النوادي والمحافل في بغداد، كما تهاداه الوزراء وكبار رجال الدولة، ولكن مع شيء من التحفظ والاحتياط. والحق أن الرثاء والهجاء والوراثة من الأدب العربي عند ابن الرومي ليست كل شيء في شعره، إذ ينبغي أن نضيف إليها الثقافة اليونانية الإسلامية، فعند ابن الرومي يونانية أصيلة ويونانية مكتسبة لعلها أهم من يونانية الأصيلة، وهناك أيضًا ثقافة إسلامية وعربية مكتسبة، وإذن ففي شعر ابن الرومي عناصر ثلاثة يضاعف إليها عنصر رابع، وهو عنصر شخصي خاص بمزاج ابن الرومي كان له تأثير مهم في شعره يشير ابن الرومي إلى عبقريته وثقافته اليونانية في شعره.

وفاته: توفي ابن الرومي عام 283هـ حيث مات مسمومًا على يد وزير الخليفة المعتضد، لأنه كان يخشى هجاءه، فأحضر له السم في الحلوى وأكلها ابن الرومي وحينما أحس بالسم أراد أن يترك المكان فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فقال له: إلى مكان ما بعثتني، فرد عليه الوزير بقوله: سلم على والدي فقال له ابن الرومي: ليس طريقي النار، وهذا يدل على ذكاء وفطنة ابن الرومي، حتى وهو يموت.

الشعر في العصر العباسي

أبرز مظاهر الأدب في العصر العباسي يشتمل على الشعر المولّد، وإذا وازنت بين الشعر القديم والشعر المولّد فلا شك إنّك تجد في الأخير أثر التقدم ظاهرًا للعيان، على أن ذلك لم يبلغ به مبلغًا يخرجه عن المناهج التي اختطها المتقدمون. خذ الوصف مثلاً فإنك تجده عريقًا في الشعر، يرجع إلى ما قبل الاسلام، على أنه كان قديمًا ينحصر في البداوة وما يشاكلها، فصار بعد أن اتسع الأفق العمراني لدى المسلمين، بعد أن طما بحر الرفه على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي يتفنن في نعت أسباب الحضارة كالقصور والبرك والحدائق والولائم والجيوش والمراكب، ومثل ذلك تفننه في الخمر وأنواع الغزل والمديح، وما إلى ذلك من ضروب النظم. ولا ينكر أنّ المولّدين فاقوا المتقدمين في ذلك، ولكنهم لم يبتدعوا أساليب جديدة أو مواضيع جديدة تجوز لنا أن نقول: إن الشعر طرأ عليه في زمانهم تطور كبير.

والشعر نوعان رئيسيان: وجداني وموضوعي، فالوجداني يدور على نفس الشاعر – على تأثره من أمر، وإظهار ذلك بالكلام المنظوم، ومن ذلك مدحه لأميره، أو تغزله بفتاته، أو هجاؤه لعدوه، أو وصفه لما تقع عليه عينه، أو تحريضه على ما يشعر بصلاحه. أما الموضوع فيدور على شيء خارج عن نفسه – على صفات يتخيلها أو يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعية أو النظر في حياة الإنسان، وما إلى ذلك من المواضيع الأخلاقية والأدبية التي تمثل للجمهور ما يشعر به في الحياة، أو تحملهم على أجنحة الخيال إلى ما وراء المحسوسات، فتثير فيهم حب الجمال وتدفعهم في سبيل الكمال.

وإذا نظرنا إلى معظم دواوين الشعر في العصر العباسي، ثم إلى المقاييس الأدبية التي وضعها علماء البلاغة ونقاد الشعر أمثال قدامة والاصفهاني والآمدي والعسكري والثعالبي والجرجاني والآخرين، رأيت أن التجدد الشعري في العصر العباسي لم يتعد في الأغلب صناعة الشعر، وإنّه منحصر في الوجداني منه. وهو يظهر لنا في أربعة مظاهر:

1 – رقة العبارة

2 – التوفر على البديع اللفظي

3 – التفنن في المعاني

4 – التوسع في المصطلحات اللفظية

الصياغة الشعرية عند ابن الرومي:

إن ابن الرومي في أشعاره الشاعر المولّد والشاعر الغنائي الذي لجأ إلى الأشعار الموضوعية الوجدانية يعبر عن مصائبه، واستطاع أن يبدع فنونًا وجدانية محكمة، واستطاع أن يعكس صور التجديد بهذ الأسلوب القديم، الذي وقع في صياغته وأسلوبه. ومهما يكن فإن الشعر حط رحاله في ساح العصر العباسي وقد تهرم وتثاقل وأعيت عليه حيلة الإبداع واستقرت معانيه وموضوعاته، فعمد

> إن ابن الرومي في أشعاره الشاعر المولّد والشاعر الغنائي الذي لجأ إلى الأشعار الموضوعية الوجدانية يعبر عن مصائبه، واستطاع أن يبدع فنونًا وجدانية محكمة واستطاع أن يعكس صور التجديد بهذ الأسلوب القديم الذي وقع في صياغته وأسلوبه

> لكن ابن الرومي في أسلوبه لإنشاد الشعر فقد دفعته الفلسفة إلى تحليل المعاني تحليلاً مستقصيًا حتى لكأنه يريد حين يلم بمعنى ألا يترك فيه بقية لأحد يأتي بعده وهو تحليل يَشفعَ بالأدلة والأقيسة المنطقية

الشاعر العباسي إلى التجديد أو إلى جهده بأسلوبين متقاربين متباعدين: أسلوب البديع له أسباب عديدة في أصل نشأته وتنوعت عليه الأقوال، إلاَّ إنَّ الباعث الأجدر يظل الترف الحضاري ومجتمع الوشي والتنميق والزخرفة. فوشح الألفاظ بالجناس وزاوج وعارض بينها بالطباق وتفرغ للتأمل بالمعاني، وكأنّها أداة داخلية خارجية وجعل يمازجها بعضًا ببعض، كما مازج الأشكال والألوان ولد منها ما حسبه معان جديدة، وفي عصور الترف المادي تحول الشعر إلى أداة لَهو و زخرفة. إلاّ أن ضمير العصر كان يعاني أزمة أخرى مزيجة من التعاطي بين الفلسفة والدين، وكان المسلمون الأوَّلون قد أخذوا ابن البداوة النسبية وإن كان معظمهم قد نعم بترف الحضارة.

ويفكر ابن الرومي بالجزالة والرصانة وبعدم متانة في اللفظ، وقد يصف المعنى الجيد في العبارة الجيدة، ولم يسرف في المحسنات اللفظية. وجدير بالذكر إلى أن يترك ابن الرومي نفسه على سجيتها ليصور أحاسيسه والعواطف الصادقة وكان فكره الدقيق وما انطبع في عقله من طوابع الثقافة والفلسفة حريًا به أن يصبح من أصحاب مذهب التصنيع. لكن ابن الرومي في أسلوبه لإنشاد الشعر فقد دفعته الفلسفة إلى تحليل المعاني تحليلاً مستقصيًا، حتى لكأنه يريد حين يلم بمعنى ألاّ يترك فيه بقية لأحد يأتي بعده، وهو تحليل يُشفَعُ بالأدلة والأقسية المنطقية، بحيث تتلاحم الأبيات في القصيدة تلاحمًا وثيقًا، وكل بيت يسلم إلى تاليه، بل يدخل في تكوينه وتشكيله، وفي تضاعيف ذلك يستقصي ابن الرومي جوانب المعنى الَّذي يريد أن يعرضه إلى أبعد غاية ممكنة، مسترسلاً ما وسعه الاسترسال، مما جعل القصيدة تطول طولاً مسرفًا، إذا امتدت إلى مئات الأبيات، وهو امتداد يشهد بقدرته البارعة على التعمق والنفوذ إلى أقصى الأغوار وكان يضيف إلى ذلك حسًّا مرهفًا حادًّا، جعله يجسِّد لا عناصر الطبيعة فحسب، بل أيضًا الخوالج والخواطر على نحو ما هو مشهور من حواره في أشعاره.

يتميز ابن الرومي عن غيره من الشعراء بخصائص فنية، وجعلت منه فريدًا في الخصائص الشعرية. ويُعدُّ ابن الرومي من الشعراء الَّذين كان لهم إسهاماتهم في الفن الشعري في العصر العباسي.

أغراض ابن الرومي الشعرية:

قال المعري في رسالة الغفران: أمَّا ابن الرومي فهو أحد من يقال: إن أدبه كان أكثر من عقله. ومن خصائصه الَّتي انتسب بها، أغراضه الشعرية المتنوعة: من وصف و هجاء و رثاء و مدح وغزل وفخر وعتاب. فالوصف عنده من أبرز ميزاته يعرف بها، فقد كان وصافًا بارزًا ومتصورًا، وقد دخل الوصف في جميع أغراضه الشعرية.

وصف المأكل: يشير عباس محمود العقاد إليه، ويقول: كان ابن الرومي منهومًا في المأكل ولعل عيشه بين الثروة والفقر ميل إلى وصف المآكل.

وصف الطبيعة: الطبيعة بالنسبة إليه وسيلة للهروب من الواقع المأساوي الَّذي عاشه في حياته. فإذا بها تصبح انعكاسًا لذات الشاعر، فكأنهما ممتزجان قلبًا وروحًا، شكلاً و مضمونًا.

الوصف الكاريكاتوري الساخر: هذا النوع من الوصف يُخَالف طبيعة الوصف النقلي أو الوجداني، يختص هذا النوع من الوصف بطبيعة خاصة تعني بالتشويه وإثارة الشعور بالمنكر. وقد كان لابن الرومي عصب خاص يحس به مظاهر النقص. ولعل شعوره الدائم بالعاهة وبجوانب الأمور، يَعبث به، و يضحك منه و يزدريه.

الهجاء: ابن الرومي لم يجعل غرض الهجو مستقلاً عن الأغراض الأخرى، فلجأ إلى السخرية، أيضًا هو ينتقل من الهجاء إلى إبراز الوصف والشكوى والاستخفاف. لنيل غايته من غرض الهجاء. كما «لابن الرومي شهرة في الهجاء لا تتقدمها شهرة دعبل وبشار. ويفوقهما بما امتاز من دقة التصوير، فإن هجاءه لا يقتصر على القذف والطعن والسخر، بل يتعداه إلى وصف أخلاق المهجو وتصوير أشكاله، حتى يبرزه مُثلة شوهاء مضحكة. وبواعث الهجاء عند الشاعر كثيرة، فمنها أنَّه كان محرومًا يستجدي فلا يعطى إلاَّ القليل، فيغضب ويهجو من يمنعون صلتهم عنه. ومنها أنَّه كان يحسد ذوي النعمة الَّذين يتمتعون بملاذ الحياة دونه فيهجوهم. ومنها أن الناس كانوا يعلمون ضيق أخلاقه، وغرابة أطواره، فيعبثون به ويضايقونه، ويعيبون شعره وينتقدونه، فيثور ثائرة ويهجوهم، ومنها إنَّه كان شديد الطيرة يتوهم النحس في الأشخاص والأسماء والعاهات والعيوب، فهجا كل شيء يتطير منه. ومنها أنَّه كان منهومًا لا يصبر عن الطعام، فإذا جاء رمضان تضايق من الصوم فهجاه. ومنها أنَّه كان يتشيع للعلويين مع ولائه في بني العباس، فهجاء العباسيين والفحش فيهم لما رأى ما أصابه من التنكيل.

الرثاء: يستخدم الرثاء آلة للتكسب، كما قلت مراثيه، وليس له منها ما يستحق الذكر، إلاَّ ما قاله في أولاده وزوجة وأمه وأخيه. وما أحسنه ما قيل في رثاء بستان المغنية وكان يهواها، وفي أبي الحسين يحيى بن عمر الطالبي، لأنَّه كان يتشيع للعلويين كما ذكرنا، أيضًا ما قاله في رثائه وبكائه على البصرة لما دخلها الزنج سنة (257هـ) وأحرقوها كان ابن الرومي في رثائه شديد التأثير في نفوس الحاضرين والقارئين أيضًا، كان ابن الرومي قوي العاطفة ودقيق الإحساس في رثائه.

المدح: ابن الرومي لم يمدح من يكثر له العطاء، لأن العصر العباسي، لم يغرق الأموال على المتكسبين كما فعل العصر الَّذي سبقه، من جهة أخرى وكان المادح يرضى بالقليل الذي يعطى، وكان شاعرنا يلحظ بهذا الانحطاط التكسبي في العصر العباسي. كما شاعرنا عاصر تسعة من الخلفاء العباسيين. لقد مدح ألوانًا من الناس في عصره، فمدح الوزراء والكتاب والقواد والتجار وأصحاب الجاه والنفوذ. فإنَّ مدائحه للخلفاء نادرة، ومدح المعتمد مدحًا مباشرًا ومن ممدوحي ابن الرومي آل طاهر، آل وهب، آل نوبخت، وبنو مدبر.

ابن الرومي في مدحه كان يبتعد عن موضوع المدح، ويملأ القصيدة بالحكمة والشكوى وذم الزمان ومدحه خاليًا من الصدق والعاطفة. يقول عاصم جنيدي في كتاب كتبه حول ابن الرومي وحياته وفنه، كأنه في المدح يغرّد خارج سربه. ولهذه الأسباب لم يكسب بمدائحه ما يؤمل فيه، فكان يبدو عليه، وهو يمدحهم أنه يضمر لهم "فلسانه أطول من عقله" لأجل ذلك لم ينجح بمدائحه.

الغزل: الغزل من الأغراض الرئيسية في شعره، ينتشر الغزل في مطاوي أهاجيه ومدائحه، ووصف الغانيات المتصل بالجواري والمطربات وحديثه عن صورة الغزل المشتت بين أحاسيسه الصادقة.

العتاب والاعتذار

إن من يلتفت النظر في الأحوال النفسية عند ابن الرومي يرى أنَّه أحاط نفسيته بالاضطراب والتطاير والوساوس وكلٌّ واحد قد أثر في اعتذاراته على المبالغة المعنوية التعليمية، المسرفة وقصد الإقناع والتثبت.. فكان لا بُدَّ من مواجهته بعتاب رقيق. لكن الحديث عن نفسية ابن الرومي يتصل باعتذاره، هو ذلك التناقض الَّذي يحمل على المدح، ثم يحمله على هجائه وعتابه.

آثاره:

له ديوان كبير، وكان شعره غيرمرتب، ورواه عنه المسيبي ثم أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، وجمعه أبو الطيب ورواق بن عبدوس من جميع النسخ. أيضًا له الكلام المنثور.

المراجع:

1 - ابن الرومي، علي بن عباس: الديوان شرح عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1420هـ، ق.

2 - جنيدى، عاصم: طائر غرّد خارج سربه، الطبعة الأولى، دار الميسرة، بيروت،1933م.

3 - الحاوي، إيليا : ابن الرومي فَنُّه ونفسيته من خلال شعره، لا ط، دار الكتاب اللبناني، 1980م.

4 - شرف الدين، خليل: الموسوعة الأدبية الميسرة (ابن الرومي)، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1421 هـ، ق.

5 - ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لا ط، دار المعارف، مصر، 1960م.

6 - ضيف، شوقي: فصول في الشعر ونقده، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر1979م.

7 - العقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره، شركة سماحة المصرية، مصر، 1964م.

8 - ابن الرومى ....حياته الشخصية والأدبية مزكان حسين بور كاتبة إيرانية - رسالة ماجستير في اللغة العربية – جامعة زاد الاسلامية 2011م.



سعادة للبيع

محمد تكديرت

باحث ومهتم بقضايا الفكر والتعليم - المغرب

المكان: كوكب الأرض

الزمان: القرن الحادي والعشرون ميلادي.

الحالة: عجز تام أمام سرعة التغيير المذهلة.

إن الأرض التي من المفترض أن تحتضن أمننا واستقرارنا؛ أصبحت مسرحًا للتهديد الدائم الذي يبيد فكرة الطمأنينة، ويعزز الشعور بالخوف في مشهد حضاري متقدم.

ومع زيادة سرعة التغيير الذي يشهده عالمنا (سواء أدركنا ذلك أم لا)؛ تزداد جرعات الخوف التي تضخ في نفوس المستهلكين بطريقة لا شعورية، ويترجم هذا الخوف في تضاعف الأموال التي تنفق كل يوم في الأسواق التجارية الكبرى، مقابل رفاهية مؤقتة، تنتهي صلاحيتها عند أول جديد يطرحه السوق العالمي.

وهكذا فإن الخوف يزيد الرغبة قوة، ليعيش الإنسان في دائرة مفرغة، كلما ظن انتهاء حركتها زادت قوتها أكثر. فالشركات الكبرى لن تتوقف عن نسج أثوابها الفاخرة لأن فقيرًا لم يجد ما يستر به عورته، والمراكز التجارية الضخمة لن تتوقف عن بناء منشآتها، لأن متضررًا فقد منزله، ومختبرات الدواء لن تتوقف عن صنع ترياقها الباهظ، لأن جار الصيدلية المعوز توفي البارحة... والحياة بدورها لن ترحم بطيئًا تثاقل عن سرعتها.

إن الخوف يستدعي مزيدًا من البحث عن الأمان، وفي ظل المشهد الاستهلاكي الذي نعيشه؛ فالأمان يعني مزيدًا من الامتلاك، فكلما امتلكت أكثر زادت فرصة الشعور بالسعادة والأمن، والحل لا ينتهي عند حب الامتلاك فحسب، بل يتطلب الأمر مزيدًا من اليقظة ودقة ملاحظة سرعة التغيير، التي تزداد باستمرار كل يوم، فهاتف الأمس باهظ الثمن سيكون اليوم عرضة للسخرية أمام نظيره المستحدث، وسيضعك في موقف مليء بالشك عند أول مكالمة ترد عليها أمام الملأ، فإذا أردت أن لا تشعر بحرج الاحتفاظ بأشياء لا يحتفظ بها أحد، تذكر أن طبيعة الحياة تعتمد على اليقظة لا الوفاء.

واقع الأمر، أننا كلنا نساهم في ثقافة الاستهلاك بدون استثناء، حتى أكثرنا ثقافة ووعيًا لن يكون بمعزل من شبح "الحياة الاستهلاكية" التي تفرض علينا كل يوم مزيدًا من الضغط والسرعة، والرابح الوحيد في هذا التحدي هو الذي ينعم بخفة الحركة وسرعة الانتشار والتجدد، يتقن جيدًا فن العيش في المتاهة ويعي بدقة متى يجب عليه مغادرتها، ولعل المشهد قريب جدًا من قول حكيم العزلة لاوتسو: "عليك أن تتدفق كما يتدفق الماء... أن تتحرك بسرعة للأمام، ولا تتوقف طويلاً كي لا تصير ماء راكدًا، ولا تتعلق بضفاف النهر، ولا تتمسك بآرائك، بل تعلق ببساطة، في خفة وكياسة..." لسنا بالضرورة مجبرين على أن نكون مثل الماء حتى ننجو، ولكن أن نتعلم من شربه أشياء كثيرة، أهمها الحياة.

قديمًا، كانت سرعة التغيير التي يشهدها العالم بطيئة مقارنة بما نعيشه اليوم، حيث كان باستطاعة الفرد مجاراة هاته السرعة وبناء سعادته بما لديه من أدوات بسيطة ومحدودة جدًا، أما في زماننا صارت الأدوات نفسها معروضة للبيع، وإن تحقق الشراء فالبناء يحتاج لرخصة، وإن توفرت الأسباب؛ فالأرض مستعمرة!

على أي حال، لا يزال الأمل حيًّا في إيجاد منتج يساير سرعة هذا العالم، يحقق الفوز دون خسائر، يجعل الإنسان قضيته الأولى.

طلب: أن يلف المنتج بشريط وردي خال من تاريخ الصلاحية، ويكتب عليه بمداد المستحيل "سعادة للبيع."

انتباه: هذه المقالة غير قابلة للبيع، حقوق السعادة محفوظة.

الوسائط الرقمية وأثرها على الممارسة الفنّية



نظرًا للتطورات التي حدثت في نهاية القرن العشرين في مجال العلوم والتكنولوجيا من خلال الاكتشافات العلمية وتطور النظريات الفلسفية والعلمية والتي أسهمت في زيادة الابتكارات التكنولوجية وخاصة في المجال الصناعي، فقد أثمرت هذه التطورات على الصعيد الفنّي العديد من المفاهيم الجديدة التي كان من شأنها تغيير نظرة التشكيليين تجاه أشياء كانت بمثابة تقاليد ثابتة ودخلت في نطاق التجريب من قبل الفنانين للتأكد من صحتها ولم يكن ذلك ليحدث لولا التحولات التي حدثت في مجال العلم والتكنولوجيا المعاصرة.



د. نجم الدين الدرعي

أستاذ بالمعهد العالي للفنون والحرف بسيدي بوزيد

تونس







وأهم شيء يوصف به هذا العصر أنه علمي، فقد وضع تأكيدًا بارزًا على البحث العلمي والتجريب، وأصبح لا يسلم بكثير من الحقائق إلا إذا اجتازت الاختبار وصدقتها البراهين، وصارت من القضايا المسلمة التي يؤمن بها سائر البشرية، مهما اختلفت لغاتهم، ودياناتهم وجنسياتهم. وأصبح من سمات العصر ذلك التصارع الغريب في تطبيق مداخل البحث العلمي في كل شيء.

فأصبح كل شيء قابل للتحول وتغير مساره من خلال النظريات العلمية المعاصرة، فأثبتت الرؤية ونظريات الإبصار أن ما تراه ليس هو الحقيقة وقد يتجاوز إلى حدّ الخداع المرئي. وقدرة العقل على رؤية باطن الأشياء يحتاج من الجهد والقدرة على النفاذ في جوهر الشيء واستخراج الحقيقة الباطنة منه.

لقد تعالقت وتعانقت الصورة اليوم بصفة عامة والفنون الإلكترونية والافتراضية بصفة خاصة مع لغة عصرها، هذا العصر الموسوم بطغيان الآلة والآليات الإلكترونية الدقيقة والبرمجيات ذات الذكاء الاصطناعي، وبعد "تطبيقات في مجالات التصنيع والتربية والطب، فإنه قد حان الوقت للفن أن يتأقلم مع هذا الازدهار والارتقاء... ولئن ارتبط الأمر بزعامة قيادية للمعركة الصناعية، فإنه يجب التأكيد على أننا نعتبر الرهانات الثقافية هامّة جدًا مع غزوات الرقمنة"[1].

وتبعًا لذلك، جاز لنا الإدلاء بأنه في حضرة انتشار المعرفة واكتساحها جل الميادين بات من الضروري تعميم هذه الثقافة العلمية التي أصبحت من المطالب الأساسية للحياة عصر المعلومات واقتصاد المعرفة، بعد أن كانت حكرًا لنخبة معينة لا يقدر على الإلمام بها والإمساك بزمام أمورها إلا صفوة المختصين في مجالات المعرفة العلمية. وضمن هذا التسارع والتسابق وحتى التهافت لاكتساب الخبرة العلمية، لم يعد لإنسان هذا العصر رفاهية الوقت لتحصيل هذه الخبرات عن طريق الأسلوب النمطي الثلاثي "أي اكتساب الخلفية النظرية ثم التدريب العلمي فإتقان المهارات من خلال التكرار والممارسة في الواقع العلمي"[2] كما أعرب عن ذلك نبيل علي.

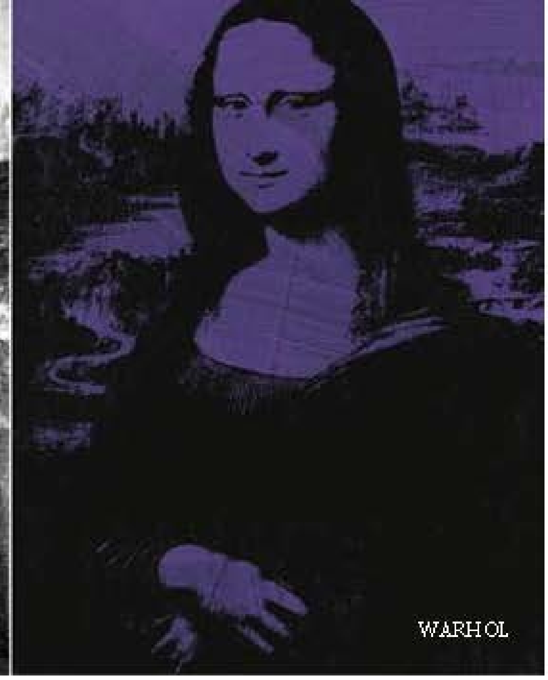
هكذا تنامت مطامح الفعل والإبداع لتطال الواقع الرقمي الافتراضي، الذي كان حكرًا على المجال العسكري وآلياته المتطورة، ليشاع للفنان الذي آن له في الربع الأخير من القرن العشرين أن ينهل منه مجالاً للتحرر والانفلات من القيود التي طالما كبّلته.

وبالمنطق السليم نستطيع أن نقول: إن تغيير الأداة يتطلب تغييرًا في انفعالات الفنان، وفي مجال الرؤية البصرية. وعلوم التكنولوجيا الحديثة ساعدت الفنان على الخوض في الشعور الإنساني، واكتشاف حقائق متعددة ومتغيرة، ويظل الإنسان هو الرائد في كل أدوات حياته التي صنعها، وبدون فكر الإنسان تظل هذه الوسائل ساكنة غير قادرة على الحركة إلا بإرادة الإنسان. والوسائل التكنولوجية هي إحدى الأدوات الجديدة التي تستلزم منا فهمها والتعبير عنها من منطلق موقف إيجابي لها، لكي تنحو بالفكر إلى آفاق جديدة تكتشف بها أنفسنا وما حولنا. وبهذا تخطو بنا هذه الأعمال الجديدة في هذا المجال إلى إثبات حقيقة ثابتة، وهي قضية العلم والفن.

ساهمت المعطيات الحديثة التي أنتجتها الثورات التقنية والتكنولوجية الرقمية بتأثير على طريقة هيكلة الأثر الفني، حيث أصبحت الوسائط الرقمية عنصرًا أساسيًا في المجال الفنّي بمختلف سياقاته. وهو الأمر الذي ساعد الحاسوب على الارتكاز كوسيط تقني بين العمل الفنّي والفنان، من خلال ما يستحوذه من برامج رقمية تنتمي إلى السياق التقني، الذي أعطى سياقات متجددة في العملية الإبداعية التي من ضمنها شكلت مضمون ومحتوى الإنتاج الفني في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي. أرست من ضمنه خطابًا تشكيليًا قطع مع التقليد والسائد. لينبثق بالتالي الفن الرقمي كنتيجة فعلية لهذه الحيثيات، التي سايرت تاريخ الفن وفق نسق تسلسلي وتصاعدي. حيث يُصبح هذا الفن اليوم في ثنايا هذا البحث عن تغيرات جذرية في الخيارات والتمشيات الإبداعية والجمالية يمكن أن تستقرئ في كواليسها فيضًا من المتغيرات والميكانيزمات والتفاعلات المستجدة، التي كان لها التأثير العميق والجذري في الانزياح عن أصول التشكيل والإبداع المتعارف عليه عبر تاريخ الفن. لذلك أصبحنا اليوم ونتيجة ديناميّة المستجدات وتنامي التطورات، نقف على مشارف نهاية التفكير الخطي التقليدي (La pensée linéaire traditionnelle)، ولعل ما آل إليه هذا الموقف وهذه النزعة الحديثة التي جعلت من المكان والزمان على حدّ السواء، سليل حلقة دائرية أو هي لولبية دائمة الحركة والديناميّة والتطور مع إمكانيّة العود على البدء، بما يفتح







ما درجنا على ترسيخه عبر حقب زمانية متتالية فالزمان لا يعود ولا ينقلب إلى الوراء.

ومما لا شك فيه، أن ما عقب هذا الانقلاب الفكري والجمالي هو أولاً انتفاء الجانب الحكائي والإيحائي، الذي عمّر طويلاً عبر تاريخ الفن، وخروجًا عن هذا التضارب والتصادم ثانيًا بين التمثيل والتقديم، بين الظاهر والظهور لتتخطى بذلك الصورة الجامدة، وذلك الجسم الثابت لتدرك من ثم أن جوهر الشيء لا يدرك بالوقوف والجمود وإنما بالحركة والديناميكية، كما صرح محمود أمهز بـ "أن الحقيقة صيرورة وحركة متتابعة، وليست وجودًا ثابتًا"[3].

وبالتوازي مع هذه المنظومة الفكرية التي أشاعت مبدأ الحركية والديناميكية لينمخض وعلى هذا الأساس الفن المعاصر عامة والفن الرقمي خاصة، الذي ارتهن وراهن على الحركة والحركية، ليجعل منها دعامة لتشكله كمنهج جمالي انتشى من الفكر العلمي المتطور، ومن المستجدات التكنولوجية حقلاً مشبعًا دلالات ومعاني ولعل من أبرزها الحركة والديناميكية. ويصرح "فراد فورست" في هذا الصدد بأن القبض والإمساك بالعالم يصاغ من الآن فصاعدًا بالأخذ في الحسبان العلاقة البينية بين جملة العناصر الحاضرة. فليس بواسطة صورة مستوقفة نستطيع إدعاء تمثيل العالم الذي استحالت طبيعته وبكل تدفق إلى سرعة وتغير، علاقة وتفاعل. إننا متورطون في فضاء تعاقدي جديد، حيث لا نستطيع أن نتطلع إلى مشروع إبداعي ما إلا من خلال ديناميكية المآل والصيرورة"[4]. لقد أصبحت الحركة من الأولويات بل من الملزمات التي ينبني على أساسها الفن الرقمي، حيث دأب وسعى أغلب الفنانين المنخرطين في هذا الحقل الإبداعي إلى توظيفها بل إلى استكمال معظم وظائفها للتعبير عن التفاعل الآني المرتبط والملتصق بتدخل المتلقي أو حتى بمجرد العبور التلقائي لتتدفق وتنبعث وتتفرع سيل الأشكال والعلامات المجردة في فيض انسيابي وديناميكي، ولتجد الحركة وعلى هذا الأساس ثناياها في طيات تلكم التكوينات والهياكل والتركيب المتفاعلة ديناميكيًا التي تطمس ما اعتدنا في ثباته وسكونه وحتى جموده من الوهلة الأولى، حيث تتوالد المساحات وتنتشر الأشكال وتتدفق الهياكل وفق نسيج رقمي محكم الصنع.

ولعل من أبرز المسائل التي تفرض نفسها عند الحديث عن خصوصية وأبعاد هذا الفن هي مسألة المحاكاة الاصطناعية (La simulation) في ارتباطها والزمن الواقعي التي أخرجت الفن من دائرة الجمود والديمومة الثابتة ليلتحق بذلك الفن بركب الديناميكية والحركية والصيرورة المتجددة وفق ميكانيزمات سبقت لتشوش عاداتنا الإدراكية ونظام إبصارنا للموروث التشكيلي بما هو حقل ثابت، دائم وغير متجدد يدرك بالوقوف والجمود لا بالحركة والديناميكية. ولا شك في أن هذا الفن الرقمي يندرج في سياق البحث التشكيلي، الذي قدّم تصوّرًا جماليًا جديدًا، حتم علينا مراجعة منصبيّة الفن عامة والأثر خاصة، الذي استحال إلى فضاء معاش (Un espace vécu)، بل إلى حدث وتظاهرات، أشاعت مبدأ الحركية والفعل والتدخل في صميم الأثر بما يقطع مع المعطى التشكيلي التقليدي، الذي يجعل من الأثر الفني شيئًا وهو ما يشرع على هذا الأساس للفنان والمتلقي، على حد السواء معايشة التجربة الإبداعية والانخراط من ثم في عوالم رقمية. ويتحدث "طلال معلا" عن دلالات وأبعاد هذه الآثار الفنيّة، فيقول: "إنها أعمال تكشف عن مهارة وذكاء الثقافة الإلكترونية، ولا تتمثل أهميتها في أنها تحاكي تقنيًا ما كان يمكن تمثيله بالرسم، أو التصوير، أو النحت"[5] ولنا من هذا الموقع أن نتساءل عن ماهية المحاكاة الاصطناعية وعن الدور الذي تتقلده في خضم هذه المنظومة الإبداعية الرقمية؟

بادئ ذي بدء، لا بد من الإشارة إلى أن الفن وبانفتاحه على الحقل التكنولوجي الموسوم بذكاء اصطناعي وبرمجيات رقمية، قد شرع للانتقال من دائرة التمثيل إلى مجال المحاكاة الاصطناعية كمعطى تشكيلي حديث العهد بتخلل هذا السياق الفنّي، وهو ما أدى إلى نشأة وتبلور الشرارة الأولى التي ساهمت في هذا التحول والانقلاب الجذري في معنى ودلالة التصور المفاهيمي التقليدي للفن. ويبقى التساؤل في هذا السياق قائمًا ومطروحًا: هل أن هذا التحول الذي يشهد أطواره الفن اليوم يجعل المحاكاة الاصطناعية آلية جديدة قادرة على إخراج الفن من بوتقة التمثيل، لينخرط في نظم ومعايير مغايرة؟ وهل تجاوزت فعلاً المحاكاة الاصطناعية أساليب التمثيل التقليدية، التي وضع شروطها وأسسها فنانو عصر النهضة، استنادًا إلى علم المنظور؟

كبداية لا بد من الإشارة إلى أن المحاكاة الاصطناعية ليست معطى ولا نمطًا تشكيليًا منبثقًا عن الفن، فلا يخفى علينا أن أصولها وينابيعها الأولى تشكلت في ميدان مرتبط بالمجال الحربي والعسكري والصناعات الذكية، التي تروم وتسعى إلى إيجاد نماذج تحاكي وقائع معينة ووضعيات محددة ومضبوطة كفقدان الجاذبية بالنسبة لرواد الفضاء وغيرها من سياقات. بصفة عامة تبقى المحاكاة في هذا السياق نموذجًا تجريبيًا يصبو إلى اكتشاف مختلف الوقائع والأحداث الممكنة، لوضعية معينة في ارتباطها والظروف الزمكانية، التي تتوافق وطبيعة معرفتنا لذلك الواقع الحقيقي. وقد تتطرق "دومينيك شاتو" للحديث عن طبيعة وخصوصية ودلالات المحاكاة الاصطناعية، فيقول: "إذا نظرنا للشيء من جانب كونه معطى إجرائي وعملي، فإن النتيجة البصرية لها خاصية أن لا تكون تمثيلاً، ولكن نموذجًا إبداعيًا لتمثيلات متعددة، وإذا نظرنا من جانب النتيجة فإن هذه التمثيلات ليست سوى محاكاة أو صور مصطنعة عن الواقع"[6] ويضيف في شأن تعارض المحاكاة والتمثيل فيصرح "إذا كانت المحاكاة الاصطناعية تتعارض مع التمثيل، بالمعنى الامتدادي بمقتضى أصلها وأساسها الرقمي، فإن الاستخدام الفني للمحاكاة الاصطناعية يستلزم توضيبًا هيكليًا مخصوصًا يشهد على قطيعة مع القدرات التقنيّة البسيطة للأداة"[7]. وعلى هذا الأساس فإن الواقع الرقمي المعوّل على المحاكاة الاصطناعية كآلية إبهام وإرباك قد تحاكي اصطناعيًا الواقع الطبيعي تارة وقد تسوق أنماطًا وعوالم خيالية وكائنات هجينة تارة

أخرى، إنما تنخرط ضمن منظومة تقنية قوامها المعادلات الحسابية والبيانات الرقمية، وما إلى ذلك من التقنيات والوسائل التعبيرية والوسائط التشكيلية المتطورة التي أسهمت بصورة فعلية في الانزياح عن الضوابط الجمالية المعهودة والحياد عن المعايير الإستطيقية المتعارف عليها.

لقد أصبحت مثل هذه الوسائط أداة مشتركة تؤمن عديد الوظائف لمبتكري الأفكار، التي تترجمها صور "الموناليزا" في جميع حالتها، ومن خلال تحولها من أثر فنّي ثابت إلى أثر فنّي متحرك على مستوى حركات الوجه، والتي كانت بدايتها مع الفنان "مارسال دي شون" الذي عمل على كل العراقيل والحدود التي من شأنها أن تضيق على معاني الحرية في الممارسة الجمالية مفندًا في تجربته هذه كل الأطر والنظريات الكلاسيكية، والقديمة ليقر بكون الفن متاحًا للجميع ومنفتحًا على جميع المواد، وليس مختصرًا في تلك المواد النبيلة التي كانت متاحة فقط للطبقات الثرية، وفي هذا الصدد بالذات قام الفرنسي بإعادة رسم اللوحة العالمية المشهورة "الموناليزا" للإيطالي "دافنشي" بطريقة لا تخلو من السخرية والإشارات الإيحائية التي اعتمد فيها "دي شون" على قراءات عالم النفس فرويد لشخصية الفنان الإيطالي "ليوناردو دافنشي" والتي اتهمه فيها بالمثلية الجنسية، وقد حمل "دي شون" جل هذه الإشارات والإيحاءات في نسخته، التي أعاد فيها رسم الموناليزا الأيقونة العالمية بسخرية فاضحة، أرادا من خلالها الفرنسي تمرير خطابه ورؤيته للممارسة التشكيلية المتجاوزة لحدود المقدس والقاطعة في ذات الحين مع نظم الرسم والتعبير الكلاسيكية. وقد تعمد الفنان الفرنسي تعميق تلك الإيحاءات الجنسية التي تكلم عنها فرويد في سياق تحليله لشخصية الفنان الإيطالي "دافنشي" من خلال إلحاقه للحروف التالية بعنوان اللوحة المستنسخة من الموناليزا (L.H.O.O.Q) من خلالها أراد الفرنسي أن يؤكد على الأبعاد الجنسية في سخرية كبيرة من أسس تأليه التجارب القديمة واعتبارها أيقونات، فحين يعمد الناظر لهذه اللوحة إلى إعادة قراءة الكلمات الموضوعة أسفل اللوحة في سياقها اللغوي الفرنسي فعنها سيخلص لقراءتها بالصياغة التالية "Elle a chaud au cul" بمعنى (هي لديها عجز دافئ). حيث يتنزل هذا العمل في رحلة بحث "دي شون" النقدية للممارسات الكلاسيكية التي هيمنت على السياقات الجمالية، وفرضت نوعًا خاصًا من المواد والموضوعات، انتهجت مثله ممارسة سلفادور دالي والفنان "يوجين باتيو" والعديد من الممارسات التشكيلية التي تأثرت بتدخل دوشامب مع اختلاف في الأسلوب (الرقمنة) والمضمون، وهو ما نستشفه في الأعمال التالية.

إن تأثير الوسائط الرقميّة على الأثر الفني واضحة وجلية في هذه الصور، خاصة من خلال الإضافات المركبة التي ساهمت في إعادة صياغة صورة الموناليزا المنتمية لعصر النهضة للفنان الإيطالي "ليوناردو دافنشي" وفق منظور معاصر.

لعل هذه الحيثيات والتحولات التي يعيش أطوارها وتفاعلاتها الفن بصفة خاصة، لا ينفي البتة أهمية تلك التقنيات الرقميّة التي شحذت الفن بمنطلقات جديدة أثرت فيه من خلال تسرب سياقات إبداعية مستجدة في أسلوب التعامل مع الأثر الفني وميكانيزماته الجوهرية، بل حتى في التنظيم البنائي للعمل، وربما أيضًا في نمط وصيغة معايشة التجربة الجمالية والإبداعية... لنعاود، سواء كمتلقين، أو مبدعين أو منظرين، النظر في العملية الإبداعية في حد ذاتها، وكأنها عود على بدء. إلا أنه وكما أقر "فراد فورست" يجب دائمًا أن يظل حاضرًا في الذهن بأن هذه التكنولوجيا ليست فقط تقنيات وآليات عملية، بل تشكل دوافع وطاقات هي الأخرى ليست فقط كفيلة باكتشاف جديد للعالم، بل تساهم على قدم المساواة في تحوير وتغيير هيكلتنا النفسية والعاطفية، خيالنا وكيفية فعلنا وتفكيرنا ورؤيتنا للفن اليوم"[8].

من ثم بات من البديهي القول بأن الفن المعاصر اليوم يشكل مجالًا للانفتاح على توجهات وتمشيات تنشأ وتقوم بالأساس على جملة من المواقف الفكرية والهزات النوعية شكلًا ومضمونًا، والتجاوزات الجمالية والإبداعية لتشرع وتؤسس من ثم لمقترحات جديدة في أساليب التعامل مع البنية الأثر الفنّي المبني على جملة من الرموز والشفرات والعلاقات التفاعلية بين ما هو تقني والعلاقات التشكيلية والفكرية بمعنى ما هو جمالي وفنّي، وكأننا في هذا السياق إنما نقف على مشارف ظاهرة ارتدادية تفضي إلى ارتباط الفن بالتقنيّة بل حتى إلى التماهي بينهما وكأن بالفن يسترجع أصالته وجذوره، بمعنى الفن هو مرادف لـ "التقنيّة المختصة"، ولعل هذا ما أكده وأيده "بول أردان" بقوله فـ "ليس الفن (أي الفنان) والتقنيّة (أي التقنية) يتنافران ويتفقان، ولكن يجب الإقرار بأنهما يتجذبان بالتبادل، يعودان ودون انقطاع إلى ذلك الأصل المشترك المودع في العبارة الافتتاحية "تقنية" (Tekhné) التي توحد الفن والتقنية ضمن معيار تملك "معرفة الفعل"[9] لدلالة التشكيلية على الأقل.

ولكن لا بد من التأكيد ومن أجل إيفاء هذا الفن حقه، على أن هذا الضرب من الفن ورغم ارتكازه وتعويله بصفة أساسية على التقنية، فإنه لا ينخرط في مدار تملك البعد المهاري من أجل بلوغ أقصى درجات التطابق والواقع المُبصر، لتتلخص رحلة البحث التشكيلي منذ في محاكاة الواقع المرئي، ونقل المواضيع المُبصرة بأكثر أمانة ممكنة، كما هو معهود في الممارسات التشكيلية الكلاسيكية، حيث أعلن فراد فوراست أن "التقنية بحدّ ذاتها لا تشكل صدفة "الإبداع"، إنها لا تغدو أن تكون سوى آلية وأداة متواضعة"[10] للفعل والإبداع.

كما أن الفنان اليوم وبتوغله في المجال الرقمي، لم يعد هاجسهُ يرتكز أساسًا على الأشكال والألوان، وما يمكن أن ترسيهِ من علاقات تشكل هي الأخرى استنادًا إلى مسارات بنيوية يحكمها التلاحم والتباعد تارةً والالتفاف والتجاور طورًا، لكن إلى ما يمكن أن تؤول إليه هذه الأشكال وما قد تقيمه من علاقات مفهومها الحركة والديناميكية وليس مجرد حالتها القارة والمستقرة دائمًا كما هو معهود وسائد. هكذا تتحقق الوحدة الجمالية حيث تتلاءم أجزاء العمل الرقمي عبر نمط ونسق متحرك، أفرز من ثم أثرًا غير مستقر على حال، إذ يقدم تدخل المتلقي تعدادًا في زوايا النظر وتنويعًا أو عددًا من التنويعات اللانهائية لمشهدية الأثر مما يضفي عليه قدرًا من التعقيد والتنوع في الوقت نفسه.

المراجع:

1- "Aprés des applications dans les domains industriels. de l'éducation. de la médicine. c'est donc l'art qui va maintenant devoir s'adapter a' cette évolution… S'il s'agit bien au premier chef d'une bataille industielle. il faut souligner que les enjeux culturelles sont considérable avec les conquetes du numérique" F. Forest. Ibid. p.165.

2 – "لم يعد لدى إنسان هذا العصر الذي تتهالك فيه الخبرات بمعدل يفوق سرعة اكتسابها. لم يعد لديه رفاهية الوقت لاكتساب هذه الخبرات عن طريق الأسلوب النمطي لثلاثية: اكتساب الخلفية النظرية ثم التدريب العلمي، فإتقان المهارات من خلال التكرار والممارسة في الواقع العلمي" نبيل (علي)، المرجع السابق، ص115.

3 – أمهز محمود، التيارات الفنية المعاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت. لبنان، ط1. 1996. ص70.

4 - Forest (Fred). Pour un art actuel. l"art a l"heure d"internet. éditions L"Harmattan. Paris. France. Juillet 2001. p.128 et 129.

"La saisie du monde se fait désormais en movement en tenant compte de l"interrelatin de tous les éléments en présence. Ce n"est plus avec une image "arrêtée" qu"on peut avoir la prétention de representer un monde don't la nature précisément est devenue vitesse et changement. relation et interaction. Nous sommes préciptés dans un nouvel espace de transation dans lequel un projet de création ne peut être envisagé aue la dynamique du devenir".

5 – معلا طلال، العالم الضال انحراف الرؤيا في الفنون، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة 2003، ص63.

6 - Château (Dominique). L'héritage de l'art ; imitation. tradition et modernité. Collection L ،Ouvrage Philosophique. édition L'Harmattan. Paris. 1998. p.409.

، Si l ،on regarde la chose du coté du processus opératoire. Le résultat visuel a pour spécificité de ne pas être une représentation. mais un modèle créateur de représentations multiples. Si on regarde du côté du résultat. Ces représentations ne sont que des simulacres de réalité ،.

7- Château (Dominique). Ibid. p.410 .

، De la même manière. si la simulation s'oppose à la représentation au sens plat. En vertu de son fondement numérique. L ،usage artistique de la simulation nécessite une mise en forme particulière qui atteste une rupture avec la simple capacité technique de l'instrument ،.

8 - Forest (Fred). Pour un art actuel. l'art à l'heure d'internet. Editions L'Harmattan. Paris. Juillet 2001. pp. 169170-.

"Il faut avoire toujours présent à l'esprit que les technologies ne sont pas seulement des systèmes techniques et fonctionnels. mais qu'elles constituent des facteurs puissants qui non seulement nous permettent une investigation nouvelle du monde. Mais contribuent également à modifier en retour nos propres structures psychologiques. notre imaginaire. et nos façons de faire et de penser l'Art".

9 - Ardenne (Paul). op cit. p.259.

'Non que l'Art (donc l'artiste) et la technique (donc le technicien) se repoussent. il faut admettre qu'ils s'attirent mutuellement. reviennent sans cesse à cette origine commune consignée par le terme inaugural unifiant Art et technique dans le critère du savoir faire.'

10 - Forest (Fred). op cit. p . 132 . ، La technologie elle-même ne constitue jamis en l'occurrence ، La création ، elle n'en est que le modeste outil ، .



علي محمود طه
الملاح التائه

ينتمي الشاعر المصري علي محمود طه إلى المدرسة الرومانسية، ويعد من أعلام مدرسة "أبولو". درس الهندسة التطبيقية وعمل بها مدة من الزمن، ثم تفرغ للأدب والشعر. من قصائده الشهيرة، فلسطين، والجندول، وكليوبترا.



المولد والنشأة

ولد علي محمود طه المهندس عام 1901 بمدينة المنصورة، وقضى معظم شبابه فيها.

الدراسة والتكوين

تعلم في الكُتّاب وحفظ بعضًا من سور القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية، والتحق بعدها بمدرسة الفنون والصناعات التطبيقية، وتخرج عام 1924 مساعد مهندس معماري.

شعره

احتل علي محمود طه مكانة مرموقة بين شعراء الأربعينيات في مصر منذ صدر ديوانه الأول "الملاح التائه"، وفي هذا الديوان نلمح أثر الشعراء الرومانسيين الفرنسيين واضحًا لا سيما شاعرهم لامارتين. وإلى جانب تلك القصائد التي تعبر عن فلسفة رومانسية غائبة كانت قصائده التي استوحاها من مشاهد صباه حول المنصورة وبحيرة المنزلة من أمتع قصائد الديوان وأبرزها. وتتابعت دواوين علي محمود طه بعد.

وقد كان التغني بالجمال أوضح في شعره من تصوير العواطف، وكان الذوق فيه أغلب من الثقافة وكان انسجام الأنغام الموسيقية أظهر من اهتمامه بالتعبير. قال صلاح عبد الصبور في كتابه "على مشارف الخمسين": قلت لأنور المعداوي: أريد أن أجلس إلى علي محمود طه. فقال لي أنور: إنه لا يأتي إلى هذا المقهى ولكنه يجلس في محل "جروبي" بميدان سليمان باشا. وذهبت إلى جروبي عدة مرات، واختلست النظر حتى رأيته.. هيئته ليست هيئة شاعر ولكنها هيئة عين من الأعيان. وخفت رهبة المكان فخرجت دون أن ألقاه.

الوظائف والمسؤوليات

عمل محمود طه بعد تخرجه في هندسة المباني بالمنصورة، وانتقل بعد مدة للعمل في سكرتارية مجلس النواب، واختير بعدها وكيلاً لدار الكتب المصرية، لكنه لم يستمر في هذا المنصب واختار التفرغ للأدب والشعر والإبداع.

يرى د. سمير سرحان ود. محمد عناني أن «المفتاح لشعر هذا الشاعر علي طه هو فكرة الفردية الرومانسية، والحرية التي لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية التي تحرر الفرد من الحاجة، ولا تشعره بضغوطها.. بحيث لم يستطع أن يرى سوى الجمال ولن يخصص قراءاته في الآداب الأوروبية للمشكلات الشعرية التي شغلت الرومانسية عن الإنسان والوجود والفن، وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذي هو سلاح الرومانسية الماضي.. كان علي محمود طه أول من ثاروا على وحدة القافية ووحدة البحر، مؤكدًا على الوحدة النفسية للقصيدة، فقد كان يسعى، كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه ثورة الأدب – أن تكون القصيدة بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب في صيغة متسقة من اللفظ تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها من غير حاجة إلى كلفة ومشقة». كان علي محمود طه في شعره ينشد للإنسان ويسعى للسلم والحرية: رافعاً من قيمة الجمال كقيمة إنسانية عليا..».

المسار الأدبي

انشغل بالأدب والشعر، واتصل ببعض رجال السياسة والأدب في بواكير حياته. وكتب في جميع أغراض الشعر، كالغزل والرثاء والمديح والفلسفة والحكمة والتأمل والجمال، وتنوعت قوافيه وفنونه، وتميز بالصور الحسية التي رسمها في قصائده، إضافة إلى النزعة الرومانسية التي بدت غامرة في ديوانه الأول "الملاح التائه".

قال عنه الأديب أحمد حسن الزيات: "كان شابًا منضور الطلعة، مسجور العاطفة، مسحور المخيلة، لا يبصر غير الجمال، ولا ينشد غير الحب، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك".

زار مرة مدينة فينيسيا (البندقية) في صيف 1938، وحضر الاحتفال السنوي بها ثم نظم قصيدته "الجندول"، التي غناها الفنان محمد عبد الوهاب، فجلبت له شهرة واسعة، كما غنى له عبد الوهاب "كليوبترا"، و"فلسطين".

قال عنه النقاد: إنه ليس شاعرًا رومانسيًا خالصًا، كما هي الحالة عند أبي القاسم الشابي، ففي شعره تصوير حسي لملذات الحياة وحاناتها وما فيها من رقص وخمر وغناء، وألفاظه ذات رنين صاخب، وإيقاعاته كلاسيكية



وإن حاول أن ينوّع في هندستها، وبعض موضوعاته كلاسيكي في حين أن موضوعاته الأخرى كانت رومانسية، وذلك تقلّب بين الشعر الكلاسيكي، والشعر الرومانسي.

ويعد علي محمود طه نموذج هؤلاء الشعراء الذين طواهم النسيان، والذين في الوقت نفسه تقطر سيرتهم شعرًا وشاعرية. على أن هذا لا يعني أن الدارسين الذين تناولوا شعره أجمعوا على عظمة هذا الشعر ورفعة منزلته، فهذا ليس مألوفًا عادة في عالم الدرس والنقد، فالدكتور شوقي ضيف، على سبيل المثال، لم يعجبه شعره، وهذا من حقه بالطبع، فقد كتب مرة في كتاب له عنوانه: (دراسات في الشعر العربي المعاصر) أن علي محمود طه هو شاعر «الألفاظ الخلّابة» وأنه كان «خاليًا من المعنى والروح» لأنه ليس له رصيد من الفكر والفهم للحياة أو الخبرة الروحية أو النفسية، أي أنه اتهمه بالخفّة والسطحية.

ولكن نقادًا آخرين بارزين خالفوا الدكتور شوقي ضيف في ما ذهب إليه، منهم الدكتور محمد مندور الذي ذكر يومها: «إن زميلنا الدكتور شوقي ضيف قد ظلم الشاعر علي محمود طه بهذا الحكم ظلمًا بيّنًا، ذلك لأن علي محمود طه لا يجوز أن يُتّهم برصف الألفاظ وهو الشاعر الملحق الصادق الشعور الذي تأثر بمشاهداته وتجارب حياته أبلغ التأثير، ونقل كل ذلك إلى جو شعري نافذ العطر بفضل خصائص هذه اللغة الشعرية التي يفتقدها الزميل، ثم بفضل حسّه الموسيقي المرهف الذي مكّنه من السيطرة على أصوات اللغة، سيطرة فريدة عند دعاة التجديد في شعرنا الحديث.

وكل ذلك فضلاً عن الاتجاهات النفسية الواضحة في شعره وضوحًا يكاد يرفعها إلى مصاف المذاهب الشعرية المتميزة المستندة إلى فلسفات محددة.

وترد نازك الملائكة على أحكام شوقي ضيف فتقول: ولعل القارئ الذي يعرف علي محمود طه معرفة عابرة تقتصر على قصائده العاطفية المشهورة يحسبه شاعر حب وغناء لا ترقى شاعريته إلى أبعد من الأغنية الشعرية الحسية وقصيدة المناسبة المتحمسة. «ولعل هذه النظرة دارجة حتى لدى بعض المطلعين من الأدباء والنقاد، مثل ذلك الرأي للدكتور محمد مندور قال فيه نصًّا: «إن علي محمود طه بطبعه أبعد ما يكون عن الروحانية والتأمل الذاتي».

والدراسة العميقة لشعر علي محمود طه لا بد أن تنتهي بنظر نازك إلى عكس هذا الرأي. «فإن علي محمود طه روحاني بطبعه، كثير العكوف على التأمل الذاتي، وقد ترك من القصائد في هذا الباب ما يكاد يزيد على شعره العاطفي. فإذا لاح هذا الاتجاه النفسي مناقضًا لموقف الشاعر في قصائده الوصفية الغنائية وقصائد العبث، فإن هذا التعارض ظاهري وحسب». وقد درست نازك الملائكة الظاهرة الفكرية في شعره وتوصلت إلى نتيجة مفادها أنه ارتفع به عن مرتبة الحسية إلى آفاق الروحانية والفكر والخيال ما يجعله أجمل شعره وأروعه على الإطلاق.

ورأى دريني خشبة، وهو من نقاد ذلك الزمان، أن علي محمود طه كان صادقًا في كل ما قال. فشاعريته كالروح التي تتدفق في الجسم الحي، وهي لا تتدفق حكمة كما تتدفق شاعرية المتنبي. ولا فلسفة وتشاؤمًا كشاعرية أبي العلاء والخيام، ولا وصفًا للطبيعة واندماجًا فيها كشاعرية ذي الرمة مثلاً، لكنها تتدفق غناء كشاعرية البحتري. فهي تترقرق سحرًا كما تترقرق غناء حتى في منظومات الألم والأسى. (جهاد فاضل، صحيفة الرياض، العدد 16383، 2 مايو 2013م).

أعماله الأدبية

أصدر علي محمود طه ديوانه الأول: "الملاح التائه" في عام 1934، ونشر بعده عدة قصائد في الرثائيات منها فلسطين وسيد درويش والملك فيصل الأول وحافظ إبراهيم وأحمد شوقي و"عدلي يكن وأمين المعلوف وشكيب أرسلان وغيرهم. وله قصائد شهيرة كـ"الوحي الخالد"، و"أرواح وأشباح" و"شرق وغرب".

صدر له كتاب من النثر بعنوان "أرواح شاردة" 1941، وكتب أيضًا مسرحية غنائية بعنوان "أغنية الرياح الأربع" عام 1944. صدرت حول شعره دراسات عديدة منها كتاب أنور المعداوي "علي محمود طه: الشاعر والإنسان" وكتاب تقي الدين "علي محمود طه، حياته وشعره".

في عام 1965م أنجزت الشاعرة العراقية نازك الملائكة كتابًا كاملاً عن علي محمود طه، الذي سبق حركة الشعر الحرّ.. وهذا إن دلّ على شيء، فعلى أهمية الشاعر علي محمود طه وجيله الشعري، خاصة أن نازك كانت طليعة الشعر الحرّ، أو الشعر الجديد، كما سُمّي يومها.

الوفاة

توفي علي محمود طه يوم 17 نوفمبر/تشرين الثاني 1949 ودفن بمسقط رأسه في مدينة المنصورة.

الملاح التائه

شعر: علي محمود طه



أيها الملاح قم واطو الشراعا … لم نطوي لجة الليل سراعا
جدف الآن بنا في هينة … وجهة الشاطئ سيرا واتباعا
فغداً يا صاحبي تأخذنا … موجة الأيام قذفا واندفاعا
عبثاً تقفو خطا الماضي الذي … خلت أن البحر واراه ابتلاعا
لم يكن غير أويقات هوى … وقفت عن دورة الدهر انقطاعا
فتمهل تسعد الروح بما … وهمت أو تطرب النفس سماعا
ودع الليلة تمضي إنها … لم تكن أول ما ولى وضاعا
سوف يبدو الفجر في آثارها … ثمّ يمضي في دواليك تباعا
هذه الأرض انتشت مما بها … فغفت تحلم بالخلد خداعا
قد طواها الليل حتى أوشكت … من عميق الصمت فيه أن تراعا
إنه الصمت الذي في طيّه … أسفر المجهول والمستور ذاعا
سمعت فيه هتاف لمنتهى … من وراء الغيب يقريها الوداعا
أيها الأحياء غنوا واطربوا … وانهبوا من غفلات الدهر ساعا
آه ما أروعها من ليلة … فاض في أرجائها السحر وشاعا
نفخ الحبّ بها من روحه … ورمى عن سرها الخافي القناعا
وجلا من صور الحسن لنا … عبقرياً لبق الفنّ صناعا
نفحات رقص البحر لها … وهفا النجم خفوقا والتماعا
وسرى من جانب الأرض صدى … حرّك العشب حنانا واليراعا
بعث الأحلام من هجعتها … كسرايا الطير نفرن ارتياعا
قمن بالشاطئ من وادي الهوى … بنشيد الحبّ يهتفن ابتداعا
أيها الهاجر عزّ الملتقى … وأذبت القلب صداً وامتناعا
أدرك التائه في بحر الهوى … قبل أن يقتله الموج صراعا
وارع في الدنيا طريداً شارداً … عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضلّ في الليل سراه ومضى … لا يرى في أفق منه شعاعا
يجتوي اللافح من حرقته … وعذاب يشعل الروح التياعا
والأسى الخالد من ماض عفا … والهوى الثائر في قلب تداعى
فاجعل البحر أماناً حوله … واملأ السهل سلاماً واليفاعا
وامسح الآن على آلامه … بيد الرفق التي تمحو الدماعا
وقِفِ الفلك إلى برّ الرضى … وانشر الحبّ على الفلك شراعا



أموس أوز
كاتب إسرائيلي يكتبُ لأجْل التعايش



ترجمة : عبدالحكيم برنوص
المغرب

بحلول هذا العام، يُكمل القرن دورة كاملة حول الوعد المشؤوم، الذي مهّد لليهود إقامة "دولتهم" على الأرض العربية. وتسارعت الأحداث الجسام، واستوطن "الكيان" المدجج بالسلاح والعلوم والأدب. تقول زعيمتهم "جولدا مائير" " لو كان الفلسطينيون شعبًا لكان لهم أدب". هذه صرخة يأس مردودة بالدليل وبالأشهاد. لكن الأهم أن للإسرائيليين كتابهم وأدبهم كذلك، ومن الواجب الاطلاع عليهم ومعرفة إنتاجهم. أموس أوز أشهر الكتاب الإسرائيليين في الوقت الراهن، يكتب عن هذه التجربة الفريدة في التاريخ، ويصارع نفسه ويذبذبها بين الرفض والقبول وحتى التعايش. (المعرّب).

ولد أموس أموز بالقدس المحتلة عام 1939، ويعد أهم الروائيين الإسرائيليين في الوقت الراهن، ألف عددًا من الروايات، لعل أهمها "قصة حب و ظلام" (2003) ومجموعة من القصص من بينها "نمط حياة بدويّ" (2013) التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة، وبفرنسا سينال جائزة "فيمينا" للإبداع الأجنبي عن روايته "العلبة السوداء" (1985).

ماذا بقي من "صهيونية" مثالية اجتماعية سابقة لقيام دولة إسرائيل؟ هذا استكشاف لنموذج الخائن وأتباعه، غير المعفى من مفارقات تاريخية واضحة.

في قلب الكتاب الجديد (رواية يهودا) لأموس أوز، يكمن التصور الواضح لشكل الخائن، رجل يموت ثماني سنين قبل بداية القصة، "شالتييل أبْرَفنيل" صهيوني من الجيل المؤسس لدولة إسرائيل، لكنه صهيوني غُفل بالنسبة للجيل الراهن، صهيوني اشتراكي حلم بمجتمع يُدمج فيه اليهود، في طائفة شرق أوسطية، لا دولة.

في سنة 1948، ولأنه كان رافضًا لقيام الدولة، وللحروب التي تبعت ذلك، عُدّ خائنًا، أُهين وشُتم على مرأى من الناس، يعيش مهمشًا، إلى أن يموت منعزلاً، ثلاث سنوات بعد ذلك سنة 1951.

تنفتح الرواية سنة 1959، على الأخرق الصغير "شمويل آش" ذي الخامسة والعشرين، "عاطفي، اشتراكي، مصاب بالربو، ممسوس بالجنون بالفينة والأخرى". آش يطابق تمامًا نموذج الإشكنازيم أكثر منه نموذج الإسرائيليين: رغم يقظة عقله إلا أنه محروم من كل حس عملي يدير به حياته، بعد أن فارقته خطيبته، يصطدم بصعوبة تمويل دراسته. يحضّر أطروحة حول الشكل الذي ظهر به يهودا الإسخريوطي في الأدب الديني اليهودي. إنه على وشك أن يترك كل شيء.

مصادفة يعثر على إعلان يقوده إلى الوظيفة الصغيرة التي سيرتبط بها، خادمٌ مرافق لعجوز سبعينيّ، خمس ساعات من الجدال اليومي مقابل راتب ومأوى، وما العجوز سوى "غيرشوم والْد"، المناضل الصهيوني القديم، السوداوي كاره البشر، والذي يمضي أكثر وقته، يجتر على الهاتف هفوات السياسة الإسرائيلية وخواء الجنس البشري.

ظل "والْد" الصديق الأثير لـ"أبرنفيل" لمدة طويلة، من غير أن يشاركه أفكاره بالضرورة، يعيش رفقة ابنته "أتاليا"، امرأة في الأربعين، ساخرة وباردة العواطف، سرعان ما تثير إعجاب الشاب "آش".

هذه هي نقطة الانطلاق في هذا الكتاب المركب، المليء بالنقاشات حول تاريخ الصهيونية، والمناظرات حول طبيعة العلاقة بين المسيح و يهودا ، لأنه حتى لو كان "أبرنفيل" من صنع خيال أموس أوز، فإن التيار الفكري الذي يحيل عليه، كان موجودًا حقيقة.

بالنسبة للغالبية، إن أفكار "أبرنفيل" المبثوثة في الكتاب، مستعارة من "أَحَد حام"، مفكر يهودي معارض للسياسة الصهيونية، والذي يرى في وجود إسرائيل ملجأ (وليس دولة) موجهًا للنخبة الثقافية والدينية القادرة على إحياء وبعث الشتات.

صهيونية "أحاد حام" تفاؤلية وثقافية وعالمية، وتُسجل داخل التقاليد الأوربية الموروثة لعصر الأنوار، قبل أن تحل المأساة بالشعب اليهودي (الكارثة)، وبموته سنة 1927، لم يكن يتوقع مطلقًا، اختفاء العالَم اليهودي من أوربا، الاختفاء الذي جعل أفكاره بلا جدوى.

باختياره إعادة إحياء هذا النقاش، خمس عشرة سنة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، يكون أموس أوز قد خاطر بالوقوع في مفارقة تاريخية، تطرح مشكلتين: الأولى سياسية والآخرة سردية، مشكلتان يجعلهما ارتباك "آش" وهو يكتشف هذا "الصهيوني المتقلب" غير قابلتين للحل.

في الواقع، هناك مفارقة أخرى، فمنذ فشل "مسار السلام" في شتنبر 2000، الذي صادق عمليًا على نهاية اليسار الإسرائيلي، فإن الأجيال الجديدة للطبقات المخملية الأكثر تثقيفًا، تُفكك ثقافة الدولة الصهيونية لصالح إعادة اكتشاف يهودية أكثر كوسمبوليتانية (كونية) أكثر ثقافة، وفي بعض الأحيان أكثر تدينا. (لأن الحركة متعددة الأوجه، ولا تنضوي تحت أي شكل سياسي قائم: نجد أيضًا أقوالاً من قبيل "أراضي المستوطنين" وهم يهود متدينون يناهضون، قيام الدولة ودعموا الفلسطينيين ضد التدخل الإسرائيلي في قطاع غزة، تمامًا كما نجد أنصارًا للتأويل اليهودي للإنجيل في عقر دار الحركة التي من المفروض أن نسميها باليسار المتطرف).

إن رواية أموس أوز، تبقى - تقريبًا - غير مفهومة، في غياب الخلفية الحالية للتساؤلات العميقة التي يطرحها الإسرائيليون حول ما هم عليه الآن، وحول الإرث اليهودي المركب، الذي طالما حاولت الصهيونية تبسيطه.

(يخاطر القارئ القليل الاهتمام بتاريخ الصهيونية، أو الذي لا يعرف عن إسرائيل غير النزر اليسير، مغربلاً من قبل وسائل الإعلام، يخاطر هذا القارئ بالوقوع في حيرة كبيرة، إزاء العالم الغريب الذي ينفتح أمامه).

هذا التساؤل، وفي جانب كبير منه، هو حصيلة ارتباك فكري معاصر: الوعي بأن الصهيونية - كما تضع هدفا لها، جعل "الوجود اليهودي" قدَرًا، يجب تطبيعه داخل التاريخ - فشلت تمامًا، في حين أن فكرة التطبيع نفسها، أضحت في بداية هذا القرن فكرة متجاوزة و تافهة. يجب البحث إذن، عن شيء آخر ذي معنى بالنسبة للجماعة الإسرائيلية، خاصة قاطني دولة إسرائيل.

ينشر أموس أوز هذه التساؤلات، طيلة ستينيات القرن الماضي، وكأن خمس عشرة سنة، بعد "الكارثة"، كانت ضرورية لطرح هذه التساؤلات، إنه يذهب إلى حد تخيل "أبرفنيل" يقر سنة 1948 : "لقد عمد" الصهاينة" إلى استغلال الطاقات الروحية والمسيحية للكتلة اليهودية"، ثلاث سنوات بعد فتح المخيمات، سيكون وقع الصدمة كبيرًا، أن تُنطق جملة مثل تلك.

إنه عبر الاكتشافات المتتالية لـ"شمويل آش"، ستدور إشكالية الكتاب، وحتى تكون هذه الإشكالية مقروءة - وهذا مشكل سردي - سيضطر أموس أوز إلى تقريع بطله، حد وصفه بالبلاهة، وفي علاقاته بشخصية "أتاليا"، ستظهر النتيجة الأصعب في القراءة، اهتمام "أتاليا" به يستلزم جعلها بمثابة ظل أمومي خادع منزوع الإحساس.

توافرت لهذا الكتاب، كل عوامل النجاح، إضافة إلى باقي الكتب الأخرى، (العلبة السوداء) و(لا تقلْ إنه الليل) و(معرفة امرأة) و خصوصًا كتاب (قصة حب و ظلام) والتي جعلت من صاحبها كاتبًا كبيرًا.

في أجواء هذه الكتب، نشعر بانعدام حلّ للأشياء، وكثافة بطيئة للّيل، وخلفية للقساوة، لكن لا شيء يسير وفق ما نريد، وكأن الكلّ مفصول عن جوهره، هنا تكمن عمومًا قوة أموس أوز ومقدرته، على صعيد جملة واحدة، أن يجعلنا نعيش ونفهم المجتمع الإسرائيلي، الذي هو مجتمعه في نهاية المطاف.

السؤال هو أن نعرف، ما الذي يجعل "والْد" وابنته الجميلة "أتاليا" مشدودين إلى بعضهما البعض، رغم عزلتهما و خلافهما الدائم، ولعلها أقوى لحظات الرواية، وأشدها تأثيرًا، "إنها أشد تطرفًا من أبيها، يقول "والْد"، لقد قال لي يوما إنّ وجود اليهود في إسرائيل غير عادل". وفي جوابه عن سبب بقائها في إسرائيل، يقول: "لا أدري، حتى قبل حصول الفاجعة، لم نكن قريبين من بعضنا، ومع ذلك كنا نتفاهم تمامًا، ليس كَحَم وكنّته، بل كثنائي مسنٍ يعينهما الروتين، في تجاوز الاحتكاك، هي تعتني بي، وأنا أتركها وشأنها".

"والْد" و"أتاليا" يجمعهما موت ولَدِ "والْد" "ميشا"، زوج "أتاليا"، الذي قُتل خلال حرب 1948 في ظروف قاسية، بعد اتباعه نصائح أبيه، (تزعم الرواية أنه قُتل ومُثّل به من طرف "العرب"، بعد إلقاء القبض عليه جريحًا).

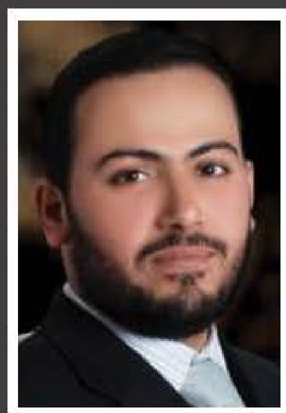
هذا "اليومي" المصنوع من الحِداد والألم وضرورة القبول بالآخر، الذي هو الخلاصة الكبرى لمتن الحكاية، ونقيضها في الآن نفسه، هو جوهر المجتمع الإسرائيلي، هو في الوقت نفسه وعلى مر السنين، ما يشيع "انفتاحه السياسي": لن تتوحد كلمتنا، قد يكره بعضنا الآخر، لكننا نعيش معًا، إنه الجوهر الذي يختفي اليوم، والذي يحاول أموس أوز إنشاءه مرة أخرى.

الهوامش:

مارك وايزمان Marc weitzmann
Le Magazine Litteraire
العدد: أكتوبر 2016



وصية أمبرتو إيكو إلى حفيده ¹



ترجمة: د. محمد عبدالقادر المعداوي

باحث بجامعة روما

مقدمة المترجم:

في يناير 2014، طلبت مجلة إسبريسو الإيطالية من مجموعة من مفكري ومثقفي إيطاليا وأوروبا كتابة خطاب يوجهونه لأبنائهم أو أحفادهم في مطلع العام الجديد. في هذا النص يمكن لنا الاطلاع على وجه مغاير للسيميائي والروائي الإيطالي الشهير أمبرتو إيكو والذي بجانب نشاطه الأكاديمي والروائي لم ينقطع أبدًا عن كتابة المقالات "الخفيفة" الموجهة لا للمختصين ولكن للقارئ العادي.

في هذه المقالات الصحفية كان المثقف الكبير يتمكن من إيصال أفكار مجردة ولمحات فلسفية بعد تبسيطها وتقديمها في قالب جذاب وسهل لا يتميز بالحذلقة أو الفوقية كما يقع للأسف من الكثير من مدعي الثقافة والفكر.

في هذا النص الذي يتراوح بين الجد والهزل يؤكد إيكو على أهمية الحفظ والتذكر وكأنه يرد على أولئك الذين يفرقون بين أهل الحفظ "والصَمّ" من جهة وأهل الفهم والحذق من جهة أخرى. لكأني به يقول لهم: حتى في عصر الإنترنت لا غياب لدور الذاكرة بل العكس هو الصحيح وإلا فالزهايمر "الثقافي" في انتظارنا.

***

مقدمة المجلة:

أمبرتو إيكو:

"حفيدي العزيز: احفظ دروسك عن ظهر قلب"

المفكر وعالم الدلالات الإيطالي في خطاب وجهه إلى حفيده، يقدم فيه وجهة نظره حول استخدام التكنولوجيا المتزايد ويقدم نصيحته الواضحة والصريحة لمستقبل أفضل: يجب أن نحفظ عن ظهر قلب قصائد الشعر، وقائع التاريخ كتاريخ الإمبراطورية الرومانية.. وحتى أسماء الشخصيات الثانوية في روائع الأدب كرواية ألكسندر دوما "الفرسان الثلاثة"، لأن الإنترنت لا يمكن أن يحل محل المعرفة، كما أن أجهزة الكمبيوتر لا يمكن أن تحل محل أدمغتنا.

أمبرتو إيكو

3 يناير 2014

***

حفيدي العزيز، لا أريد في رسالتي إليك مع مطلع هذا العام الجديد أن أسديك نصائح تقليدية عن حب الرفاق أو الوطن أو العالم أو أشياء من هذا القبيل. لن تُصغي إليها، وعندما يحين الوقت لتطبيقها (عندما تصبح بالغًا وأصبح أنا من الماضي البعيد) ستكون منظومة القيم قد تغيرت بشكل ربما يجعل نصائحي لك تبدو عتيقة قد عفا عليها الزمن وتجاوزها.

لذلك أُريد أن أقتصد على نصيحة واحدة، نصيحة يمكنك أن تشرع فورًا في تنفيذها، بينما تتصفح الإنترنت على جهاز التابلت (أو الأي باد) الخاص بك. ولن أسقط في هوة تعنيفك ونُصحك بعدم اللجوء لمثل هذه الأجهزة، ليس لأني سأبدو ساعتها جدًّا خَرِفًا فقط ولكن لأني أستخدمها أنا أيضًا.

على كل، ليس هذا ما كنت أود الحديث إليك بخصوصه. موضوع رسالتي إليك يتعلق بهذا المرض الذي أصاب جيلك واستشرى حتى طال كذلك جيل الشباب الأكبر منك سنًّا، والذين ربما قد التحقوا بالجامعة. وأقصد بهذا المرض "فقدان الذاكرة".

صحيح أنك إذا رغبت الآن في معرفة من كان "شارلمان" أو أين تقع "كوالا لمبور"، ما عليك إلا الضغط على بضعة أزرار وسيتكفل الإنترنت بتزويدك بالإجابة فورًا، قُم بذلك وقت الحاجة، لا ضرر في الأمر، ولكن اجتهد بعدها في تذكر

ما عرفته حتى لا تضطر للقيام بالبحث عنه من جديد إذا لزم الأمر واحتجت إليه مثلاً لإنجاز واجبك المدرسي. موطن الخطر هنا هو أن تفتقد الرغبة في استذكار الأمر وحفظه عن ظهر قلب، ظنًا منك أن جهاز الكمبيوتر سيسعفك دائمًا وفي أي وقت. سيكون الأمر مماثلاً قليلاً لشخص تعلم أنه من أجل الذهاب من شارع محدد إلى شارع آخر يمكن له ركوب الحافلة أو المترو وغيرها من وسائل النقل التي تسمح له بسرعة الحركة (وهو شيء صحيح ومريح للغاية، أنصحك بالقيام به كلما دعت الضرورة وكنت على عجلة من أمرك) ولكن المُشكل هنا أن يظن المرء أنه بهذه الطريقة لم يعد بحاجة لممارسة المشي.

تذكر أنك إن لم تمش بالقدر الكافي ستصبح وقتها من "ذوي الاحتياجات الخاصة"، كما نقول اليوم للإشارة إلى أولئك الذين يُضطَرون لاستخدام كرسي متحرك في تنقلاتهم.

حسنًا، حسنًا، أعلم أنك تمارس الرياضة ومن ثم تعرف كيف تُحرك جسمك في مهارة، ولكن دعنا نعود إلى دماغك.

الذاكرة هي عضلة مثل عضلات الساقين، إن لم تستخدمها تَضْمُر وعندها تُصْبِح (من الناحية العقلية) عاجزًا، أي (لنقلها بصراحة) أحمق!

كما أن هناك سببًا آخر، فبما أن الجميع أصبح مهددًا بأن يصاب بعد عجزه بالزهايمر، فإن واحدة من أهم طرق تفادي مثل هذا المرض تتمثل في استخدام وتنشيط الذاكرة دائمًا.

بناء على ما سبق، إليك وصفتي السرية: كل صباح، احفظ بضع أبيات من الشعر، أو قصيدة قصيرة، أو حتى أناشيدك المدرسية كما كنّا نفعل نحن في زماننا. وربما أمكنك التنافس مع أصدقائك لمعرفة من يمتلك ذاكرة أقوى. إذا كنت لا تحب الشعر، قُم بالأمر ولو مع تشكيلات فرق كرة القدم، ولكن انتبه في هذه الحالة لا يجب عليك فقط معرفة أسماء لاعبي فريق روما الحاليين على سبيل المثال، ولكن أيضًا أسماء لاعبي الفرق الأخرى، وحبذا تشكيلات الفرق في الماضي (تصور أني ما زلت أتذكر التشكيل الكامل للاعبي فريق تورينو عندما تحطمت الطائرة التي تقلهم فوق مدينة سوبيرجا لتودي بحياة جميع لاعبي الفريق والذين كانوا على متن الطائرة: باتشيجالوبو - بالّارين - ماروزو... الخ).

نظم أنت وأصدقاؤك مسابقات في قوة الذاكرة: يمكن أن يكون محورها الكُتب التي قرأتموها (مَنْ هي الشخصيات التي كانت على متن هيسبانيولا في رحلة البحث عن جزيرة الكنز؟ لورد تريلاوني، الكابتن سمولت، الدكتور ليفيسي، لونج جون سيلفر، جيم ...) لِتَرى إذا كان أصدقاؤك سوف يتذكرون اسماء خدم الفرسان الثلاثة ودارتانيان (جريمو، بازين، موسكيتون، بلانشيت) ... وإذا كنت لا تريد قراءة "الفرسان الثلاثة" (ولن أخبرك أي شيء رائع قد فاتك) قُم بالأمر إذن، لا أدري، ربما مع أي من القصص الأخرى التي قرأت.

سيبدو الأمر كما لو كان لعبة (وهو كذلك) ولكنك سترى كيف ستمتلئ رأسك بالشخصيات والقصص والذكريات من كل نوع.

ربما سألت نفسك لماذا كان يطلق على أجهزة الكمبيوتر حتى وقت قريب مصطلح "العقول الإلكترونية": يعود ذلك لأنها تم تصميمها على نموذج دماغك (ودماغنا)، ولكن دماغنا يتميز بوصلاته التي تتجاوز وصلات جهاز الكمبيوتر. دماغك هي نوع من أجهزة الكمبيوتر، تحملها بداخل رأسك وهي تنمو وتقوى مع الممارسة والاستخدام، بينما يبلى جهاز الكمبيوتر الموجود على مكتبك ويصبح أكثر بطئًا كلما استخدمته حتى تضطر لتغييره بعد سنوات قليلة. أمّا دماغك فيمكن استخدامها حتى تسع وتسعين سنة وعندها (إذا أبقيتها محل الاستخدام والممارسة) ستتذكر أكثر بكثير من الأشياء التي تتذكرها الآن. كما أن استخدام دماغك مقارنة بالكمبيوتر لا يكلفك شيئًا فهو مجاني. هناك أيضًا الذاكرة التاريخية، وهي تلك التي لا تتعلق بوقائع حياتك المباشرة أو قراءاتك اليومية، ولكن بكل ما حدث قبل ولادتك.

اليوم إذا ذهبتَ إلى السينما يجب عليك الالتزام بوقت محدد قبل بداية الفيلم بقليل. عندما كنتُ صغيرًا كان من المُمكن الدخول إلى قاعة السينما في أي وقت، حتى في منتصف العرض: تصل بينما تقع بعض الأحداث وتحاول فهم ما حدث سلفًا (ثم، عندما يبدأ الفيلم مرة أخرى من بدايته، تكتشف إن كان فهمك صحيحًا أم لا - بصرف النظر عن أنك كان يمكنك إذا أعجبك الفيلم البقاء وإعادة مشاهدة الجزء الذي رأيته من قبل).

حسنًا... تشبه الحياة في أيامنا هذه فيلم السينما. ندخل الحياة بعدما وقعت الكثير من الأحداث بالفعل، منذ مئات الآلاف من السنين، ومن المهم معرفة ما حدث قبل أن نولد؛ حيث يساعدنا ذلك على أن نفهم بشكل أفضل لماذا تقع الكثير من الأحداث الجديدة.

الآن يجب على المَدْرَسة (بالإضافة إلى قراءاتك الشخصية) أن تجعلك على معرفة لما حدث قبل ولادتك، ولكن لا يبدو أنها تقوم بواجبها هذا بشكل جيد، لأن هناك العديد من الدراسات المختلفة التي تُخبِرُنا أنَّ فتيان اليوم اليافعين، حتى أولئك الذين التحقوا بالجامعات، إذا كانوا مثلاً من مواليد 1990 فهم لا يعرفون شيئًا (وربما لا يريدون معرفة شيء) حول ما وقع من أحداث في عام 1980 (ما بالنا إذن بما وقع قبلها بخمسين عامًا). تخبرنا الإحصاءات أنه إذا سألت البعض اليوم من كان "ألدو مورو"[2] فسيجيبونك بأنه كان زعيم "الألوية الحمراء" - رُغم أنه لقى حتفه على يد "الألوية الحمراء".

دعنا لا نتطرق للحديث عن "الألوية الحمراء"[3]: هي مازالت شيئًا غامضًا ولغزًا للكثيرين، مع أنها كانت فقط منذ قرابة الثلاثين عامًا تمثل الحاضر في إيطاليا.

وُلِدْتُ في عام 1932، بعد عشر سنوات من وصول الفاشية للسلطة، ولكني كنت أعرف من كان رئيس الوزراء خلال "المسيرة إلى روما" (ماذا تقول؟).

ولعل المدرسة الفاشية قد علمتني ذلك لتوضح كيف كان هذا السياسي وزيرًا غبيًا وسيئًا (لويجي فاكتا المُلقب بالرعديد) لدرجة جعلت الفاشيين ينجحون في إقصائه وحل محله. هذا صحيح ولكني على الأقل كنت على دراية به.

بالإضافة إلى ذلك، وبصرف النظر عن المدرسة، لا يعرف شباب اليوم ممثلات السينما منذ عشرين عامًا بينما أعرف أنا الكثيرات منهن ممن لَعبن دور البطولة في أفلام السينما الصامتة قبل مولدي بعشرين عامًا مثل "فرانشيسكا برتيني". ربما يعود ذلك لأني كنت أتصفح المجلات القديمة المكدسة في خزانة منزلنا.

أُريد بذلك أن أشجعك على تصفح حتى المجلات القديمة لأنها وسيلة لمعرفة ما وقع من أحداث قبل ولادتك.

ولكن لماذا من الأهمية بمكان معرفة ما حدث من قبل؟ لأنه في العديد من المرات يكفي معرفة ما حدث من قبل لفهم العديد من الأمور التي تحدث اليوم وفي كل وقت. بالضبط كما في حالة حفظ أسماء لاعبي فرق كرة القدم، تعد هذه أيضًا وسيلة للإثراء وتنشيط ذاكرتنا.

انتبه حفيدي العزيز؛ كل ما سبق لا يقتصر تطبيقه فقط على الكتب والمجلات، ولكنه صالح كذلك للتطبيق على شبكة الإنترنت. والتي يمكنك استخدامها ليس فقط للدردشة "الشات" مع أصدقائك ولكن للدردشة كذلك (إذا جاز التعبير) مع تاريخ العالم: من كانوا الحيثيون؟ ومن كانوا الكاميزار (يطلق عليهم أيضًا "ذوي القمصان")؟ وما هي أسماء سفن كولومبوس الثلاث التي أبحر على متنها في رحلاته الاستكشافية؟ متى اختفت الديناصورات؟ هل كانت هناك دفة في سفينة النبي نوح؟ ما اسم جد الثور؟ هل كان عدد النمور منذ مئة عام أكثر مما هو عليه الآن؟ ما المقصود بإمبراطورية مالي؟ ومن كان يشير في خطاباته كثيرًا إلى "إمبراطورية الشر؟[4] من كان ثاني بابا للكنيسة في التاريخ؟ ومتى ظهر ميكي ماوس للمرة الأولى؟

يمكنني الاستمرار في ذكر المزيد والمزيد من الأسئلة بلا نهاية. وستكون مهمة البحث عن إجاباتها دومًا مغامرة شيقة وممتعة. وكلها معلومات جديرة بالحفظ والتذكر.

سيأتي اليوم الذي ستكون فيه متقدمًا في السن وستشعر وقتها كما لو أنك لم تعش حياة واحدة فقط، بل ألف حياة.

سيكون الأمر كما لو أنك حضرت بنفسك وقائع معركة واترلو، وشهدت أمام عينيك اغتيال يوليوس قيصر، وربما تصادف بك الأمر لتقف بعيدًا بعض الشيء عن المكان الذي قام فيه بيرتولدو "الأسود" بخلط بعض المواد في مدفع هاون في محاولته لاكتشاف طريقة يُصنع بها الذهب، ولكنه عوضًا عن ذلك أكتشف خطأً البارود، ليقضي حتفه متطايرًا في الهواء (ليلقى ما يستحقه).

أما أصدقاؤك الآخرين، الذين لم ينتفعوا بذاكرتهم جيدًا، فسيكونون قد عاشوا حياة واحدة، وأقصد بها حياتهم، والتي ربما كانت وحيدة وكئيبة وجدبًا من العواطف الجياشة.

وصيتي إليك حفيدي العزيز إذن هي ألا تهمل ذاكرتك ومن الآن فصاعدًا لا تنسى حفظ أناشيدك المدرسية عن ظهر قلب!

الهوامش:

1 – رابط المقال الأصلي:
http://espresso.repubblica.it/visioni/201403/01//news/umberto-eco-caro-nipote-studia-a-memoria-1.147715

2 – رئيس وزراء سابق في إيطاليا

3 – منظمة إرهابية سرية متطرفة في إيطاليا، تأسست عام 1970.

4 – مَالى في اللغة الإيطالية تعني الشر...من هنا المفارقة

بين حضارتين:
مفارقات بين الشرق والغرب
(شهادة طبيب عربي في الغرب)

الطهارة والقذارة بين الشرق والغرب - ١



أ.د. مهند الفلوجي

أستاذ الجراحة والمشرف على:
معهد تاريخ الطب والعلوم
عند العرب والمسلمين
(www.ihams.org)
لندن

أول توثيق للقذارة الأوروبية (السفارة العباسية لبلاد الفايكنغ):

تعدّ رحلة أحمد بن فضلان البغدادي إلى ضفاف نهر الفولغا ورسالته في توصيف شعوب الفايكنغ أروع مغامرة فريدة من نوعها في التاريخ البشري، وأول توثيق أكاديمي لطبائع الفايكنغ (تُدرّس اليوم في جامعات العالم)، بل وأول سفارة إسلامية للعباسيين في الشمال الأوروبي البعيد، تلبية لطلب ملك الفايكنغ (أو ملك البغار) نفسه لنشر الدعوة الإسلامية وشرح مبادئ الدين الحنيف للفايكنغ، ولبناء الجامع المركزي هناك كقلعة حصينة ، وكي يُطلّ ملك الفايكنغ من محراب الجامع الكبير هذا على شعبه، ولتوثيق عرى التحالف الإسلامي بين العباسيين وشعوب الفايكنغ ضد الروس الخزار والذي اعتنق مليكهم الديانة اليهودية (هذه هي المطالب الثلاثة لملك الفايكنغ البلغاري لخليفة المسلمين آنذاك).

استجابة من الخليفة العباسي المقتدر بالله (تولى الحكم من 908 – 932 م) لطلب ملك البلغار، تشكلت بعثة رسمية لأول سفارة عباسية عربية إسلامية إلى أوروبا. ضمت البعثة قافلة كبيرة من خمسة آلاف رجل مصحوبين بثلاثة آلاف دابة محملة بالهدايا والأمتعة والمال الوفير، يقودها سوسن الروسي، وتكين التركي، وبارس الصقلبي (من الفايكنغ)، ورأسها الأكبر الفقيه: أحمد بن فضلان البغدادي. انطلقت البعثة يوم الخميس 21 حزيران/ يونيو عام 921 ميلادي (يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر 309 هجري) من مدينة السلام (بغداد) عاصمة الخلافة والحضارة الإسلامية آنذاك حين كانت أوروبا الغرب تغطّ في نوم عميق وتتخبط في دياجير العصور المظلمة. وصلت القافلة إلى بلاد البلغار أو الصقالبة على نهر الفولغا في الأراضي الروسية الحالية يوم الأحد 12 أيار/مايو عام 922 ميلادي، بعد مسيرة أحد عشر شهرًا. ترك لنا ابن فضلان تقريرًا في رسالة صغيرة (جُمعت في كتاب: انظر الصورة) حول أحداث الرحلة كتبها عام 924 ضمنها مشاهداته وانطباعاته.

ومن أهم ما سجّل فيها تقاليد الفايكنغ الأوروبيين وأساليب حياتهم، ومنها قذارة الأوروبيين. فيصف أحمد بن فضلان الفايكنغ الروس (غير المسلمين) على أنهم أقذر خلق الله، فيقول: «وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضّالة، يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل، وهو (نهر) كبير، ويبنون على شطّه بيوتًا كبارًا من الخشب.

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر. ولكلّ واحد سرير يجلس عليه، ومعهم الجواري الرّوقة للتجار، فينكح الواحد جاريته، ورفيقه ينظر إليه.

وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض. و(ربما) يدخل التاجر (عليهم) ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي إربه. ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه. وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة، ومعها قصعة كبيرة فيها ماء، فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه، وشعر رأسه فيغسله ويسرّحه بالمشط في القصعة، ثم يتمخط ويبصق فيها، ولا (يدع شيئًا من القذر إلا فعله) في ذلك الماء.

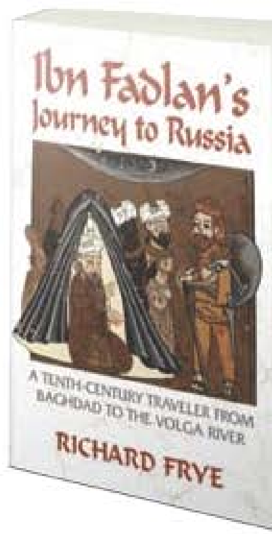
فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل ما فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع مَن في البيت. وكلّ منهم يتمخّط ويبصق (فيها) ويغسل وجهه وشعره فيها!!!! (انتهى)

آداب قضاء الحاجة (الإتكيت الإسلامي):

تكمن عظمة الإسلام في تفصيله لأصغر الصغائر وأكبر الكبائر حتى قال أحد المشركين آنذاك لسلمان الفارسي: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! فَقَالَ سَلْمَانُ: "أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ



الرحالة المثير أحمد بن فضلان





وثق الأرشيف الإسكندنافي Scandinavian Archives رجال الفايكنغ كأقوى الناس أجسامًا

ولكن أقذر البشر نظافة اعتمادًا على توثيق رسالة وسفارة أحمد بن فضلان البغدادي لأوروبا حوالي 922 – 924م.

(يُرى في الصورة الكاريكاتورية أعلاه: اشمئزاز ابن فضلان من تمخّط الفايكنغ في ماء التنظيف المستعمل لغسل وجوههم!!)

لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم" (صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستطابة).

• فمن الآداب الشّرعية التسمية والاستعاذة، فكان النبي إذا دخل الكنيف (أي المرحاض) قال: (بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث) وإذا خرج قال: (غفرانك).

• الاستتار فلا يُرى من عورته شيء أو يُسمع منه ريح، فكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الأَرْضِ (رواه الترمذي وصحيح الجامع) وقد كان أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ (أي مرتفع من الأرض أو حائط نخل وهو البستان). وإذا كان الإنسان في الفضاء وأراد قضاء حاجة، ولم يجد ما يستره، فليبتعد عمن حوله، لما رواه المُغِيرَة بْن شُعْبَةَ قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ فَأَبْعَدَ فِي الْمَذْهَبِ" و"كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة، لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض". إنّ الاستتار عند التبوّل والتغوّط هو عادة فطرية جُبلت عليها الكثير من البهائم.

• عدم استقبال واستدبار القِبْلة عند قضاء الحاجة (وقبلة المسلمين هي الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام بأمر من الله في مكة)، وهذا من احترام القبلة وتعظيم شعائر الله، للحديث: (إذا أتيتم الغائط، فلا تَستقبلوا القبْلة ولا تَستدبروها، ولكن شرّقوا أو غرّبوا). قال أبو أيوب: "فقَدمنا الشام، فوجدنا مراحيض قد بُنيت نحو الكعبة، فنتحرف عنها، ونستغفر الله" متّفق عليه.

• وقوله: (اتقوا الملاعنَ الثلاث: البراز في الموارد (أي ينابيع المياه)، وقارعة الطريق (لحفظها للمشاة والسيّارة)، والظل (مواضع الراحة)) يشكل معلمًا رائدًا في نظافة البيئة. ولَمَّا نَهى أنْ يُبَالَ في المَاءِ الرَّاكِدِ. لأنّ في ذلك تنجيسًا للماء وإيذاء لمستعمليه. لذا لا يجوز قضاء الحاجة بالقُرْب من ممتلكات الناس العامّة والخاصة: كالمصارف، والمشافي، والمدارس، ودور الناس، ومحلات أعمالهم.

• الاستجمار بثلاثة أحجار طاهرة، أو ما يقوم مقامها للقُبُل والدُّبر؛ للحديث: (إذا ذهب أحدكم إلى الغائط، فليذهب معه بثلاثة أحجار، فإنها تُجزئ عنه). والاستنجاء بالماء أفضل، فقد جاء عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْسِلُ مَقْعَدَتَهُ ثَلَاثًا قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَعَلْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ دَوَاءً وَطُهُورًا. (رواه ابن ماجة وصحيح الجامع). وللحديث: "نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ التوبة: 108، قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية".

• وأن لا يستعمل العظم ولا الرّوث في الاستجمار (وهو إزالة النجاسة بالمسح)، وإنما يستعمل المناديل والحجارة ونحوها، لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ. فَقَالَ: ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ. فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ..

• ولا يستنجي بيمينه؛ للحديث: (إذا بال أحدكم، فلا

يمسح ذكره بيمينه، ولا يستنجي بيمينه)؛ ولقوله: (إذا اسْتَطَابَ أَحَدُكُمْ فَلا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، لِيَسْتَنْجِ بِشِمَالِهِ). وروت حفصة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَوُضُوئِهِ وَثِيَابِهِ وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ. وبال النبي جالسًا وبال قائمًا في سباطة (شرط أن يأمن التلوث وتطاير رذاذ البول، وأن يأمن الناظر).

• الاعتناء بإزالة النجاسة بعد الفراغ من قضاء الحاجة لقوله صلى الله عليه وسلم محذرًا من التساهل في التطهّر من البول: (أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ). وأن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

• لا يجوز البُصاق والنخامة في المسجد أو تُجاه القبلة، سواء كان ذلك في الصحراء أو داخل المباني، وهذا ما ذهب إليه الألباني: للحديث: (يجيء صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه)؛ الصحيحة، وفي رواية: (البُصاق في المسجد خطيئة، وكفّارتها دَفْنها)، وفي رواية: (النخامة في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها).

• وجمهور العلماء على كراهية الكلام في الخلاء لغير حاجة، فلقد كان النبي لا يرُدّ السلام على مَن سلّم عليه وهو يبول؛ كما في الحديث: (إذا رأيتني على مثل هذه الحالة، فلا تُسلّم عليّ؛ فإنك إذا فعلت ذلك، لم أردّ عليك).

تعجّ كتب الفقه الإسلامي بمفهوم الطهارة (المعدومة عند الغربيين)، وتفصيلاتها ومفرداتها مستفاضة حتى مع أوضاع الخراء والتبول. وهناك فرقٌ بين النظافة والطهارة فهو أن الطهارة أخصّ من النظافة، فالنظافة تشتمل إزالة كل وسخ أو مستقذر.

والطهارة على ضربين: معنوية ومادية

الأول: الطهارة المعنوية: مثل تطهير القلب من تعظيم غير الله، وهو معنى كون الإنسان مسلمًا، ويتبع ذلك طهارة اللسان بالنطق بالشهادتين، وتصديق كل ذلك بالعمل الصالح، فتتحقق الطهارة المعنوية. قال تعالى في حق أزواج النبي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:33). وبالمقابل وصف القرآن الكريم المشركين بالنجاسة لشركهم وفساد معتقدهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 28).

والثاني: الطهارة المادية، وهي صنفان:

1. طهارة من الحدث، وذلك بالغُسل والوضوء الشرعيين أو التيمم، والغُسل يُغني عن الوضوء أحيانًا في حالات خاصة.
2. طهارة من الخبث، وهو النجس، بإزالته وغسل محله.

كشف العورة عند الغربيين:

العورة باللغة العربية هي موضع الاستتار من الجسد، ولا يوجد في اللغة الإنجليزية نظير لمصطلح (العورة)

> الملكة "إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا Queen Elizabeth I of England"، فكانت تغتسل مرتين في السنة، وكانت تستعمل مِهفّة (مروحة) يدوية في الجو البارد لأجل طرد رائحتها الكريهة، وكانت تضعها تحت أنفها لإشمئزازها من رائحة جسمها المقرفة!

الإسلامي؛ وحتى كلمة عفّة وعفاف Chastity ومنها العفيف (Chaste, Chastitute) opposite Prostitute صارت من الكلمات الإنجليزية المهجورة Obsolete فما عاد لها رصيد من الواقع، والإنجليز كثيرو التهكم والضحك على حزام العفّة Chastity Belt المستخدم لمنع المرأة من ممارسة الجنس في عصور أوروبا الوسطى.

وهنا اغترفتُ نصوصًا مقتبسة من رسالة أحمد بن فضلان أيضًا (للتوثيق العلمي) حيث يُبدي اندهاشه من التحرر الجنسي لدى شعوب الفايكنغ والأوروبيين، بل ويذكر أنّ استحياءه كان مثار ضحك القوم عليه (بسبب قلة الغيرة عندهم)، كما ويصف ابن فضلان كيف يغتسل الرجال والنساء عُراة دون أن يزني أحدهم بالآخر، فيقول: «ولقد نزلنا يومًا على رجل منهم فجلسنا، وامرأة الرجل معنا، فبينا هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكّته، ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا، وقلنا: "أستغفر الله" فضحك زوجها، وقال للترجمان: "قل لهم تكشفه بحضرتكم فترونه وتصونه فلا يوصل إليه، هو خير من أن تغطيه وتمكن منه».

«وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعًا عُراة لا يستتر بعضهم من بعض، ولا يزنون بوجه ولا سبب».

ويقول في موضع آخر: «ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك، وليس بينهم وبين الماء عمل، خاصة في الشتاء، ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، وكذلك لا تستر المرأة شيئًا من بدنها عن أحد من الناس».

«وهم منّا على ثلاثة أشهر عُراة يجول بيننا وبينهم البحر، لأنهم على شطّه، وهم مثل البهائم ينكح بعضهم بعضًا». (انتهى)

أقول: إنّ توصيف ابن فضلان لشعوب الفايكنغ (وهم أصل مهم لشعوب أوروبا تكوينًا وسلوكًا) لا زال قائمًا إلى اليوم، فما زال التعرّي شائعًا من ذلك الحين في الدول الإسكندنافية Scandinavia (الدانمارك Denmark والنرويج Norway والسويد Sweden) وفي فنلندا Finland وفي النورماندي الفرنسي (النورماندي يمثل بقايا الفايكنغ النصارى في فرنسا) وفي غرين لاند Greenland وفي آيس لاند Iceland وفي فنلاند Vinland شمال أمريكا وفي أمريكا الشمالية North America، بل وفي بلاد الغرب عمومًا – في الكثير من سواحل السباحة والسياحة، ونوادي العراة والمطاعم ونوادي الليل، وهم لا يخجلون أبدًا من التعري والسباحة في البحر عراة (بلا ساتر للصدر ولا ساتر للفرج ولا ساتر للعورة Topless, with topless brassiere, with cupless bras, Mini Bikinis, and Micro Bikini) في الريفيرا الإيطاليه (ريفيرا تعني الشاطئ أو ساحل البحر) والريفيرا الفرنسية والريفيرا الإسبانية وشواطئ صقلية، ولا تلبس الكثير من نسائهم لباسًا داخليًا، بالضبط كما وصفهم ابن فضلان – وكأن الزمان لم يتغير قط والعصر لم يتبدل أبدًا.

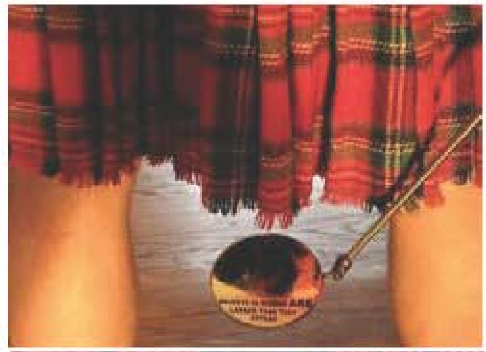
بل حتى لباس اسكوتلاندا الرجالي التقليدي الرسمي صار بزيّ تنّورة رجالية دون أي لباس داخلي، وصار مفتش العساكر الإسكوتلندي يصفّ فصيله، فيفتحوا أرجلهم واقفين (والسلاح بأيديهم)، فيضع المفتش حذاءه بين أقدامهم على التوالي (الواحد بعد الآخر) وعلى حذاء المفتش مرآة علوية تعكس ما بين فخذي كل عسكري ليتأكد من عدم لبس اللباس الداخلي، وإلا فإن ذلك العسكري الذي يلبس لباسًا داخليًا يُعدّ مخالفًا لقوانين الخدمة العسكرية الأسكوتلندية!!!

بين قصرين: مقارنة بين ملكين وعالمين

إذا كان الناسُ على دين ملوكهم، فالملك يمثّل شعبه ورعيته، وهو يؤثر فيهم ويتأثر بهم فهمًا وسلوكًا، ونظافة للملك تنعكس على نظافة شعبه ورعيته. إذن لنقارن موضوع الطهارة بين قصرين: بين قصر السلطان الشرقي المسلم



الأمير شارلس (ولي عهد المملكة المتحدة) وهو يتقصد غلق ساقيه ليحفظ عورته من الانكشاف بسبب لبسه التنورة الإسكوتلندية الرسمية من دون اللباس الداخلي





الصورة الأولى والثانية: أداة الفحص لمفتش لباس الحرس الاسكتلندي Kilt Inspector وهي عبارة عن مرآة نهاية قضيب ينطوي ويتداخل مثل القلم، تسمى أداة التحقيق العسكري Regimental Validator تُستعمل للتأكد من عدم وجود اللباس الداخلي (ساتر العورة) تحت التنورة العسكرية Kilt.



صورة تصوّر اثنين من عساكر التنانير الاسكتلندي ينحنيان للأمام للشراء من بائعة بيض، فتنكشف عورتاهما بعض الشيء، مما يثير فضول امرأتين من الخلف.

وبين قصر الملك الأوروبي النصراني: ولنأخذ مثالين لذلك: قصر طوب كابي في أسطنبول (حيث الخليفة العثماني المسلم) ولنقارنه بقصر فرساي في باريس (حيث الملك الفرنسي النصراني).

فبينما يحتوي طوب كابي (Top Capi) قصر السلطان العثماني في أسطنبول – أصبح الآن متحفًا) على ركن كبير للاستحمام والتدليك، بعكس ذلك فإنّ قصر فرساي (Versailles Palace) في باريس، لا يوجد فيه حمام واحد!!!

كانت الحمّامات العامة والحمّامات الخاصة شائعة في العالم الإسلامي، وما زالت آثارها شاخصة إلى اليوم، فحمام (شامبرليتاش Chamberlitash) العام قرب السوق الكبير Grand Bazar في أسطنبول ما زال قائمًا ومزارًا يوميًّا لاستحمام الآلاف من الأتراك والسياح والزائرين. وبينما تمتع الإسبان بالماء الساخن في الحمّامات العامّة تحت ظل حُكم المسلمين في الأندلس، كان أحد المؤرخين الإخباريين يزدري الحالة الصحية البدائية عند الأوروبيين في مواضع أخرى، قائلاً: (الذين لا ينظفون أنفسهم ولا يغتسلون إلا مرة أو مرتين في السنة، وبماء بارد، وهم لا يغسلون ثيابهم بعد لبسها حتى تتساقط عنهم قطعة قطعة).

كانت الكنيسة النصرانية في بداية عهدها كثيرًا ما تُثني الناس عن الاهتمام بالنظافة، وذلك (ردًّا على فسوق الحمّامات الرومانية).

• ففي القرن السادس بعد الميلاد أمر القديس "بندكت" بما يأتي: (إلى الذين هم بصحة جيدة ولا سيّما الشباب، سيكون الاستحمام ممنوعًا إلا ما ندر).

• أما القديس فرنسيس الأسيسي فإنه عَدَّ الجسم غير المغسول علامةً نتنةً لتقوى الله!!!

ولهذا فبعد انهيار الامبراطورية الرومانية والانحدار نحو العصور المظلمة، فإن الاهتمام بالصحة العامة قد اختفى فعليًا، وغالبًا ما يقال عن أوروبا العصور الوسطى أنّها بقيت ألف عام دون استحمام!!! لقد استُبدِلَ الاستحمام باستعمال العطور!

• كانت "إيزابيل ملكة قشتالة (اسبانيا) Queen Isabella of Castile" تتفاخر أنها اغتسلت مرتين في حياتها: بعد الولادة وقبل الزواج.

• أما الملكة "إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا Queen Elizabeth I of England"، فكانت تغتسل مرتين في السنة، وكانت تستعمل مِهَفّةً (مروحة) يدوية في الجو البارد لأجل طرد رائحتها الكريهة، وكانت تضعها تحت أنفها لاشمئزازها من رائحة جسمها المقرفة!

• وكان "ملك فرنسا لويس الرابع عشر King Lois XIV of France" يغسل مرةً واحدة في السنة!!!

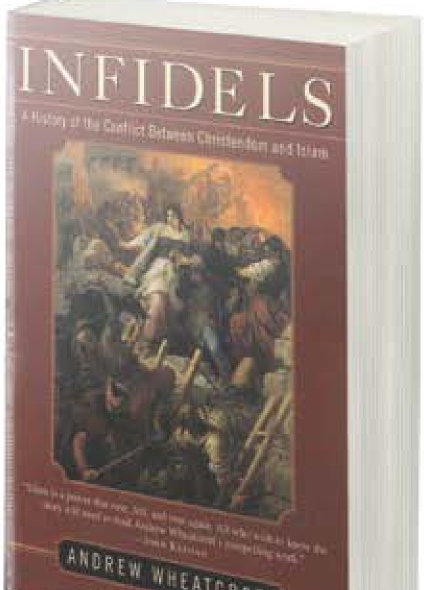
لهذا السبب كان ابتكار العطور ذوات الأساس الكحولي alcohol-based perfumes أولاً في باريس، وفي لندن، واستعمالها لكي تغطي الرائحة الكريهة. (من الناحية الطبية الفسلجية فإن حاسة الشم عند الإنسان لا تستطيع شمّ رائحتين في آن واحد ولكنها تستطيع تعرّف الرائحة القوية فقط أي الرائحة الغالبة بين الرائحتين).

وبينما كان عند المسلمين أنظمةُ ريٍ متقنة ومجارٍ تحت الأرض (للخلاء والمياه القذرة) مع مستوى عالٍ من النظافة الصحية، فعلى العكس من ذلك كانت الفضلات في أوروبا تُلقى في الشوارع مباشرةً، أو تفرّغ في الأنهار التي يشربون منها الماء. إن كلمة مرحاض بالعامية (لُوّ Loo)، قد ذُكر أنها مُشتقة من صيغة التحذير بالفرنسية: كاردِيز لِيو "Gardez l'eau" (تُلفظ كاردي لُوّ، وتعني انتَبِه ماء! pronounced gardy loo – meaning "mind the water) قبل إفراغ وعاء زبالة الغرفة من الطابق العلوي إلى الشارع التحتاني.

وبعد الهلاك الذي حصل بسبب انتشار الطاعون الدّبلي Bubonic Plague، كانت هناك محاولات في بعض مناطق أوروبا لتحسين الأوضاع الصحية والنظافة العامة، ولمنع ممارسة عادة رمي القمامة في الشوارع العامة. لكنّ إنشاء مجاري المياه القذرة تحت الأرض لم يحدث في أوروبا حتى بداية القرن التاسع عشر.

بين أميرين في حمام

الأمير أسامة بن منقذ، (الملقب بـ مؤيد الدولة: 1095 – 1188م، 488 – 584 هـ) هو أحد قادة صلاح الدين الأيوبي أثناء الحروب الصليبية، وقام ببناء قلعة عجلون على جبل عوف في عام (580 هـ – 1184 م)، بأمر من صلاح الدين الأيوبي. وهو فارس وشاعر، وله كتب كثيرة منها كتاب الاعتبار. وكانت هناك فترات هدنة وسلام بين المسلمين والصليبيين. ونذكر هنا مفارقة لطيفة بين الأمير المسلم أسامة بن منقذ مع أمير صليبي وهما يتحادثان في حمّام عام (لعله في القدس بعد التحرير) لتتعرف من خلالها على قذارة الأوروبيين: وهذه الحادثة مذكورة بالنص الإنجليزي في كتاب (الكفار: وتاريخ الصراع بين النصرانية والإسلام) لمؤلفه "أندرو ويتكروفت" الصفحة 190، والكلام هنا للأمير أسامة، فيقول: «ذات يوم دخل فارس إفرنجي (أي صليبي للحمّام). وهم لا يتبعون عاداتنا في ارتداء إزار حول الخصر في أثناء الاستحمام، مَدّ هذا الزميل يده (للممازحة)، وانتزع إزاري وطرحه جانبًا. فرأى مباشرة أنني قد حلقت حديثًا شعر عانتي. وهتف متعجبًا "سالم" (نداء للمسلم) فقربت منه فأشار لذلك الجزء مني. "سالم"! إنّه رائع! أنت بالتأكيد ستفعل نفس الشيء لي! واضطجع مستويًا. فوجدت شعر عانته بطول شعر لحيته! فحلقته».



كتاب (الكفار: وتاريخ الصراع بين النصرانية والإسلام) لمؤلفه "أندرو ويتكروفت"



الخط العربي في الفنون الأوروبية



خلف أحمد محمود أبوزيد

مصر

الخط العربي، سمة التميز الأولي للفن العربي الإسلامي عن باقي الفنون نجده في الأواني وعلي الأبواب والحيطان والقبب والمنابر، وفي الأسمة والستائر والسجاد وفي الصور وعلى شواهد القبور، ويندر أن نجد تحفة من التحف العربية الإسلامية الرائعة، غير مدموغة بالخط العربي، ونظرًا لمظهر الخط العربي البديع وجماله الفني، وقيمته التشكيلية الفائقة، فقد بهر أنظار العديد من فناني الغرب، الذين استعملوا الخط العربي لغايات زخرفية "كما في الأعمال البيزنطية وفي الرسوم الإيطالية الباكرة، وفي واجهات الكنائس العائدة للقرون الوسطي، كما نقشت حروفه على كافة الصناعات والفنون الأوروبية بأشكالها المختلفة" [1]

وخلفت لنا العصور التاريخية العشرات من اللوحات والقطع الفنية القائمة كليًّا على الكتابة والزخرفة العربية، التي ألهمت الفنانين الغربيين، الذين استخدموا الخط العربي حروفًا وكلمات وجملاً كعناصر تشكيلية، تساهم في بناء العمل الفني، هذا ما سوف نلقي عليه الضوء عبر هذه السطور.

الإمكانات الجمالية للخط العربي:

وقبل أن نخوض في أثر الخط العربي في إثراء الفنون الأوروبية، نعرض للخط العربي من حيث كونه قيمة جمالية، حيث تمتاز الحروف العربية بأنها تكتب متصلة أكثر الأحيان، وهذا ما أعطى لها أمكانيات تشكيلية كبيرة، دون أن تخرج عن الهيكل الأساسي لها، ولذلك كانت عملية الفصل بين الحروف المتجاورة، ذات قيمة مهمة في إعطاء الكتابة العربية جمالية من نوع خاص، "من حيث تراصف الحروف، وتراكبها وتلاحقها، كما أن المدات بين الأحرف، والتي يمكن التكيف بها في بعض الحروف مثل ب، ن، ف، ق، س، ش وغيرها تأخذ دورًا في إعطاء الكتابة العربية تناسقًا ورشاقة عندما تكون هذه المدات متقنة وفي مواضعها الصحيحة" [2] يضاف إلى ذلك الغنى الذي يمكن أن يضيفه التشكيل والزخرفة الملحقة بالحروف، فعلامات الفتح والكسر والضم والسكون والتنوين والمد والإدغام والشدة، كلها عناصر تزيينية زخرفية لا غنى عنها، لاتمام التناسق وملء الفراغات، إضافة إلى ضبط الكلمات وصحة قراءتها، وذلك في خطوط النسخي والثلث والديواني الجلي، وللزخرفة أيضًا دور كبير في تجميل الخط العربي، حيث تضيف إليه وللخطوط السابقة نوعًا من الأبهة والفخامة، كل ذلك أعطى للكتابة العربية، تفردًا في جمالها بين الكتابات العالمية، وجعلها محط أنظار العديد من فناني الغرب الذين وجدوا فيه بغيتهم المنشودة إلى طريق الإبداع والتميز، ويكفينا في هذا الصدد، أن نشير إلى ما ذكره جوستاف لوبون، عن انبهار الفنان الأوروبي بالخط العربي فيقول: "لقد بلغ الخط العربي من الصلاحية للزينة حدًّا عظيمًا، مما جعل رجال الفن في القرون الوسطى، وفي عصر النهضة يكثرون من استنساخ ما كان يقع تحت أيديهم من قطع الكتابات العربية، فيزينون بها المباني المسيحية" [3]، ويمكن لنا أن نتناول هذا الأثر فيما يلي:

1. المنسوجات الحريرية:

لقد ظهر أثر الخط العربي جليًّا في الكتابة على المنسوجات، خاصة المنسوجات الحريرية، التي صنعت في أوروبا، والتي كانت تستخدم لحفظ مخلفات القديسين المسيحيين، أو عباءات تتخذ لحفلات التتويج، أو كطرح أسقفية للصلوات وغيرها، ومن أهم الأمثلة على ذلك عباءة التتويج التي نسجت للملك روجر الثاني، ملك صقلية، وهي محفوظة الآن في أحد متاحف فيينا، حيث نسجت على حافة، هذه العبارة كتابة بالخط الكوفي



عباءة نسجت للملك روجر الثاني ويظهر على حافتها الخط العربي



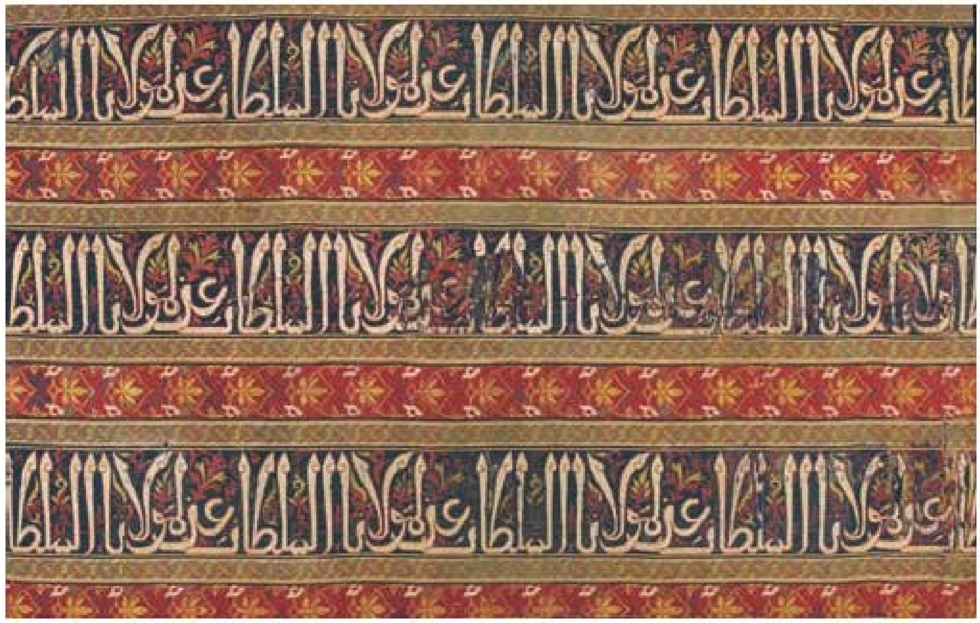
عباءة التتويج التي نسجت للملك روجر الثاني، ملك صقلية

> لقد بلغ الخط العربي من الصلاحية للزينة حدًّا عظيمًا، مما جعل رجال الفن في القرون الوسطى، وفي عصر النهضة يكثرون من استنساخ ما كان يقع تحت إيديهم من قطع الكتابات العربية فيزينون بها المباني المسيحية

تتضمن العبارة التالية "مما عمل بالخزانة الملكية المعمورة بالسعد والإجلال والكمال والطول والإفضال والقبول والإقبال والسماحة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الأماني والآمال، وطيب الأيام والليالي بلا زوال، ولا انتقال بالعز والرعاية، والحفظ والحماية، والسعد والسلامة والنصر والكفاية، بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمس مئة" [4] وهكذا نجد نصًّا عربيًّا وتاريخيًّا هجريًّا على تحفة صنعت لملك أوروبي يلبسها عند تتويجه، كما هناك عباءة أخرى من صناعة أوروبية، ذات طابع عربي، وهي عباءة لقس بدعي (أوتو الثاني المتوفي عام 1196م، حيث نجد بهذه العباءة شريطًا زخرفيًّا مؤلفًا من كتابة بالخط الكوفي غير مقروءة.

2. العمارة:

لقد لعب الحرف العربي، دورًا كبيرًا في زخرفة العمائر والقصور الأوروبية، وتوجد شواهد عديدة على استخدام الخط العربي في زخرفة وتزيين العديد من واجهات الكنائس والمباني الأوروبية، ومن أشهر الأمثلة على ذلك، ما نجده من كتابات باللغة العربية، وبالخط الكوفي في كنيسة "الكابلاتينا" في باليرمو، التي شيدها الملك النورمندي روجر الثاني، صاحب عباءة التتويج المشهورة، وذلك سنة (1151.1154) ، وهذه الكتابات "لم تكن باللغة العربية بحسب، بل كانت ذات روحية إسلامية أيضًا، فعلى سبيل المثال نجد أن مزولة القصر تحمل دعاء بأن يمد الله في عمر الحاكم ويؤيد بيارقه، وقد دون تاريخ ذلك بالتقويم الهجري" [5]، هذا إلى جانب تنقل الحرف العربي في العمارة الأوروبية في العصور الوسطى، ونلمس ذلك جليًّا فيما شيده مستعربو الأندلس من عمائر، ومنها على سبيل المثال كنيسة (ماري لابلانش بطليطلة عام 1200م، حيث تؤكد الكتابات العربية على



منسوج من الحرير زين بالحروف العربية

جدرانها تأثر مسيحي الأندلس بالحرف العربي، ومن كنائس طليطلة أيضًا والتي نقشت واجهاتها بالرخام العربي، كنيسة والتراسيتو، التي تحتشد بالكتابات العربية والنقوش ذات الموضوعات الإسلامية، كما من الشواهد التي تؤكد تغلغل الحرف العربي، في فن العمارة الأوروبية، ما وجد مكتوبًا بالأحرف العربية على قصر أشبيلية، الذي أنشئ عام 1345 م، الذي يظهر جليًا أثر الحرف العربي، في الفن الأوروبي من خلال الكتابات العربية على جدران القصر، والتي من أبرزها عبارة "لا غالب إلا الله" [6]. وإذا تتبعنا أثر الخط العربي في مجال العمارة الأوروبية، نجد هذا الأثر أيضًا على بعض المصنوعات العربية، التي نقلها الأوروبيون من العالم العربي، واستخدموها في عمائرهم، ومن أمثلة ذلك "باب كنيسة "ورتبرج" بألمانيا، والذي نقل إلي الكنيسة من عمارة إسلامية، ولهذا الباب مطرقة عليها كتابة دائرية تتضمن أدعية وألقابًا مكتوبة بخط عربي زخرفي جميل" [7].



3. النحت:

كما استخدم بعض الفنانين الأوروبيين الخط العربي، في مجال النحت، ومن أشهر هؤلاء الفنان فيروكيو (1435، 1488)، والذي يعد أستاذ ليوناردو دافنشي، حيث نجح هذا الفنان في استخدام الخط العربي في أحد تماثيله المحفوظة في (البارهيلو) في فلورنسا، وذلك على هيئة أشرطة كتابية تزخرف حواشي الثوب الذي يمثل ذلك التمثال" [8] وكذلك الأمر في أسبانيا، حيث عثر على أفريز في مذبح كنيسة أو فييدوا، عليه نحت للبسملة بالخط الكوفي.

4. اللوحات والرسوم:

كما استفاد العديد من فناني الغرب من إمكانيات الحروف العربية، في لوحاتهم التشكيلية، ومن أشهر هؤلاء الرسامين الذين أدخلوا الخط العربي في أعمالهم الفنية الرسام "جنتيلي فبريانوجين"، حيث استخدم هذا الرسام الخط العربي في زخرفة وشاح يرتديه أحد السياسيين في لوحته الشهيرة تبجيل المجوس، وأيضًا الفنان فرالبيوتي الذي ظهر استعمال الحروف العربية بوصفه عنصرًا زخرفيًا، كما في لوحته التي تمثل تتويج العذراء شريطًا زخرفيًا تحليه حروف عربية، وذلك في الوشاح الذي تحمله الملائكة" [9] كما استوحى بعض الرسامين الأوروبيين في العصر الحديث الخط العربي في رسم لوحاتهم، ومن أشهر هؤلاء الألماني "باول كليه" الذي ظهر تأثره بالخط العربي في الصور والرسوم التي أطلق عليها اسم الصور الرمزية، أو الصور بالكتابة النباتية، التي يظهر فيها تأثره الكبير بالخط العربي، وباتجاهه من اليمين إلى الشمال، واستدارة حروفه، مع أنه لم يكن يستطيع قراءتها، أو فهمها، وأثنا بحيازة عدد من التصاوير المجردة المركبة من أحرف تثبت لنا علاقة كلية بالخط العربي" [10]. وأيضًا الرسام كارل جورج هوخر، والذي ولد سنة 1914 م، في ولاية سيليسيا، وشغل منصب رئيس شعبة الخط في مكتب الصنعة في أوفنباخ، حيث تأثر هوفر بقوة الحركة الجميلة في الخط العربي عمومًا، وخط النسخ خصوصًا، حيث يظهر في رسوماته تأثره الواضح بصنعة الخط العربي" [11]. وكذلك الفنان المجري فازاريللي، الذي حاول الاستفادة من أساليب الخط العربي في لوحاته التي تنتمي إلى الفن البصري" [12].

5 - التحف:

لعبت التحف دورًا مهمًا في نقل الخط العربي إلى أوروبا، وذلك لما يتميز به الخط العربي على هذه التحف من طابع زخرفي وجمالي، يلفت الأنظار، حيث استخدم الأوربيون مختلف التحف الإسلامية من نسيج وعاج وزجاج ومعادن وبلور صخري وأحجار ورخام وأخشاب وغيرها، حيث كانت الحروف العربية تمثل إحدى الزخارف الرئيسية لهذه التحف، وحيث عثر على زخارف مستمدة من الخط العربي، من أشهرها" مطرقة باب من البرونز في كاتيدائية بوهيموند الجنائزية في كانوسا" [13] ولم تتوقف الزخرفة المستمدة من الخط العربي عند ذلك، بل أننا نجد أيضًا على بعض الصلبان، فنون من الزخرفة العربية بالخط العربي، كما هو الحال في صليب من

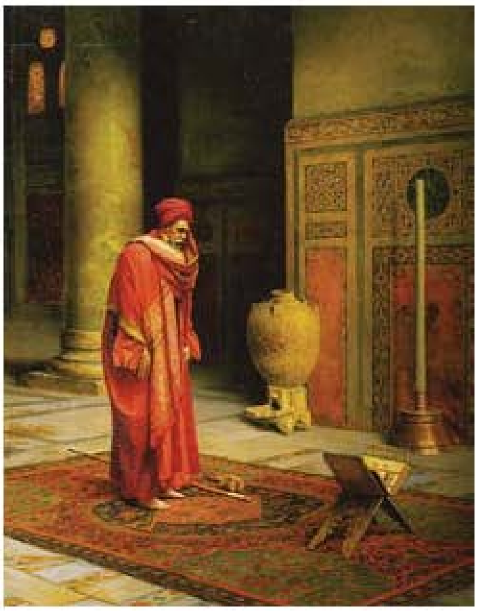




عملة سكت في القرن الثامن للملك الأنجلو ساكسوني أوفا من مرسيا، شبيهة بالدينار الذهبي للخليفة العباسي المنصور



إناء محفور على جانبه بالخط العربي



لوحة للفنان الألماني لودفيغ يظهر جمال الزخرفة الإسلامية والحرف العربي

أيرلندا محفوظ بالمتحف البريطاني "تزخرف وسطه عبارة مكتوبة على الزجاج بالخط الكوفي تقرأ "باسم الله" وفي تورني صلب آخر تزخرفه حروف كوفية محفورة، ومن المرجح أن هذا الخط كان يقصد به مجرد الزينة الزخرفية"[14]

6. العملات:

كما ظهر التأثر بالخط العربي واضحًا على العملات الأوروبية، حيث يوجد في المتحف البريطاني بلندن دينار ذهبي، يحمل على أحد وجهيه، كتابة بالخط الكوفي نصها "لا اله إلا الله، محمد رسول الله، وعلى الوجه الآخر كتابة لاتينية باسم الملك أوفا ملك مرسيه (766،757)"[15] كما وجد الخط العربي على عملات مسيحية أخرى، ترجع إلى النورمانديين في صقلية، ومن أشهر أمثلة ذلك ربع دينار باسم الملك (غليائم) ملك صقلية، جاء على نصها كتابة بالخط الكوفي نصها "الملك غليائم المستعين بالله"[16] كما كان من أثر الخط العربي في أوروبا أن سك البنادقة نقودًا ذهبية تشتمل على كتابات وآيات قرآنية بالخط العربي، بالإضافة إلى التاريخ الهجري، وقد أطلق على هذه النقود اسم العملة البيزنطية العربية.



عملة سكت في صقلية في عهد الملك روجر الثاني استخدم فيها الخط العربي



درهم صادر من كييف نقش عليه بالخط العربي، أعيد استخدامه كقلادة وجدت في إستونيا

الهوامش:

(1) البعد الصوفي لجمالية الخط العربي د/ أنور أبي خزام مجلة الفكر العربي، العدد السابع والسبعون ص 83
(2) عبقرية الخط العربي، علي محمد لبيب، مجلة الوحدة عدد مارس عام 1992، 91
(3) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة، أكرم زعيتر، ص 521
(4) مكانة الفن الإسلامي بين الفنون محمد عبدالعزيز مرزوق مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 19، سنة 1957، ص 128
(5) الخط العربي في الفن الأوروبي عبدالجبار محمود السامرائي، مجلة المورد العدد رقم (4)، اكتوبر عام 1986م
(6) المصدر السابق
(7) المصدر السابق
(8) المصدر السابق
(9) المصدر السابق
(10) الحروف الهجائية في الزخرفة الحديثة الإيطالية ألبرت تايلا، مجلة فكر وفن عدد يناير عام 1964م
(11) المصدر السابق
(12) عبقرية الخط العربي مصدر سابق
(13) أثر الخط العربي على الفنون الأوروبية حسن باشا، مجلة المجلة، العدد 121، القاهرة عام 1968م
(14) المصدر السابق
(15) مكانة الفن الإسلامي بين الفنون مصدر سابق
(16) مجلة المورد مصدر سابق



التعليم العربي..
التطوير وضرورة مواجهة أزماته



د. إدريس سلطان صالح
أستاذ مشارك بجامعة المنيا – مصر

نعيش اليوم ثورة معرفية وتكنولوجية لها تأثيرات غير محدودة على حياة الناس، ونمط حياتهم، وبالتبعية على تعليمهم واكتسابهم للمعارف والمهارات التي تجعلهم قادرين على مواكبة هذا التطور.

فقد تطورت العلوم المختلفة، في محتواها، وأدواتها، وتطبيقاتها، وهو الأمر الذي استجابت له علوم التربية بفروعها المتنوعة، من خلال الدراسات والبحوث التي اهتمت بدراسة متطلبات العصر الجديد، والمهارات الأساسية للتعلم، ومطالب النمو وخصائصه لدى المتعلمين، وأنماط التعلم ونظرياته، والتطبيق الفعال لأدوات وتكنولوجيا العصر. ولذلك فلابد أن ينعكس ذلك على ممارساتنا التربوية داخل المدرسة تبعًا لتلك التطورات.

تقليدية تعليمنا وتبعاتها:

تتنوع مظاهر أزمة التقليدية في مدارسنا اليوم، سواء في نظرتنا إلى المتعلمين أنفسهم، وما يجب أن يكتسبوه من معارف ومهارات ووجدانيات، أو النظرة التقليدية لعمليات التدريس، التي تقتصر على ما يقوم به المعلم من أنشطة؛ لنقل المعارف إلى عقول المتعلمين داخل الفصل الدراسي، بمعنى أن المعلم ينقل ما لديه من معارف إلى المتعلمين الذين يستقبلون هذه المعارف؛ لحفظها واسترجاعها وقت الحاجة إليها.

ولذلك كان الدور الأساسي في المدرسة يقع على المعلم، والذي يعد دوره إيجابيًّا في العملية التعليمية، لما يقوم به من نقل للمعارف، ومن ثم أصبح هذا المعلم مصدرًا أساسيًّا للمعرفة التي ينقلها من كتاب المدرسة، بينما المتعلم دوره سلبي، لأنه مجرد متلقي للمعارف التي ينقلها إليه المعلم، ومن ثم لا يشارك في أي عملية للحصول على المعرفة كالبحث أو الاستقصاء أو غيرها من طرق الحصول على المعرفة.

ونتيجة لتلك النظرة التقليدية أنه تم التركيز على جانب واحد من جوانب نمو المتعلمين، وهو الجانب المعرفي، وأصبح تعلمهم يقاس بمقدار ما يحفظونه من معلومات ومعارف، وأهملت بقية جوانب النمو، مثل المهارات والجوانب الوجدانية اللازمة لمواجهة تحديات العصر، والتعامل معها، وأصبح كتاب المدرسة المصدر الأساسي للمعرفة دون بقية مصادر عصر التكنولوجيا، واستخدمت الاختبارات التحصيلية كأداة وحيدة للتقويم، دون غيرها من أدوات التقويم، مثل الملاحظة واختبارات الأداء والمقاييس النفسية...إلخ.

تطوير التعليم والاستجابة لمتغيرات العصر وتحدياته:

لابد أن تتغير كثير من المفاهيم التربوية في المدرسة، فالعالم الآن يبحث عن مهارات جديدة للقرن الحادي والعشرين، ويطور من أدوات وتكنولوجيا؛ لتنمية تلك المهارات لدى المتعلمين، وما يرتبط بها من قيم واتجاهات، من أجل تهيئة الأجيال الجديدة لعالم مختلف عن عالم اليوم.

فقد تطورت الأهداف المرجوة من التعليم، وتبعها المحتوى ومصادره، وطرق الحصول عليه، وعمليات التعليم والتعلم، والتقويم كذلك، فالعالم اليوم يبحث عن وظيفية التعليم، وفاعليته في تنمية المتعلمين ومجتمعاتهم معًا، مستفيدًا من نظريات التعلم الجديدة، وتكنولوجيا العصر وما وفرته من معارف ومصادر الحصول عليها.

ولعل كل هذه التطورات والتغيرات في عمليات التعليم والتعلم في العالم من حولنا، تفرض علينا الاستجابة والعمل على تطوير التعليم في مدارسنا؛ ليكون تعليمًا قويًّا قادرًا على إعداد الأجيال الجديدة لعالم المستقبل، وتفعيل أدوارهم في نهضة مجتمعاتنا وتطورها.

وبحثًا عن قوة التعليم، وقدرته على إعداد أجيال لعصر جديد، ومواكبته لكل تحدياته ومتغيراته، حدد المجلس القومي الأمريكي للدراسات الاجتماعية مجموعة من المبادئ الأساسية تزيد من قوة التعليم والتعلم، والتي تنعكس آثارها على المتعلمين، ومعارفهم، ومهاراتهم، واتجاهاتهم، وقيمهم، وهي:

> "ولعل كل هذه التطورات والتغيرات في عمليات التعليم والتعلم في العالم من حولنا، تفرض علينا الاستجابة والعمل على تطوير التعليم في مدارسنا؛ ليكون تعليمًا قويًّا قادرًا على إعداد الأجيال الجديدة لعالم المستقبل، وتفعيل أدوارهم في نهضة مجتمعاتنا وتطورها"

- **التعليم ذو المعنى:**

بمعنى التعليم الذي يعتمد على شبكات المعرفة، والمهارات، والاتجاهات التي تتمحور حول الفهم الاجتماعي، والأسئلة الأساسية، والأفكار المهمة، والأهداف المرتبطة بالفاعلية المدنية، حيث يركز التعليم على كل ما يهم الفرد والمجتمع، ويجد له المتعلم نفعًا في حياته الشخصية والعملية، وتطبيقًا واقعيًّا له صدى في تطوره وتطور مجتمعه.

فالتعليم القوي هو الذي يتم فيه تطوير المفاهيم الرئيسية، والموضوعات الدراسية بعمق يتناسب مع التطور المعرفي والتكنولوجي في هذا العصر؛ ليكتسب المتعلمين المعرفة والفهم المناسب لتلك المفاهيم والموضوعات، وما يرتبط بها من قضايا، وكذلك الاهتمام بالمهارات لمساعدة المتعلمين على النمو والنجاح في عالم متغير ومتسارع، وهذا يشمل المهارات الأساسية للقراءة والكتابة، والوعي متعدد التخصصات والمجالات، وجمع وتحليل المعلومات، الاستقصاء والتفكير الناقد، والاتصال، والاستخدام الواعي لوسائل إعلام وتكنولوجيا القرن الحادي والعشرين.

- **التعليم المتكامل:**

وهو التعليم الذي يحقق التكامل من خلال التواصل مع الماضي، والارتباط بالحاضر، والتطلع إلى المستقبل، ومن ثم التركيز على التخصصات الأساسية التي تشمل المواد المستخلصة من الآداب والعلوم والإنسانيات، ومن الأحداث الجارية، ومن الأمثلة المحلية، ومن حياة المتعلمين أنفسهم. فالمعرفة متكاملة وليست أجزاء منفصلة، ومن ثم فالتكامل في العملية التعليمية يقدم للمتعلمين فرص القيام بعمليات الاستقصاء، وجمع البيانات والمعلومات وتطويرها وعرضها، واستخلاص النتائج منها، وإصدار الأحكام والقرارات المناسبة تجاهها.

- **التعليم المستند إلى القيم:**

يدرك المعلمون أن الطلاب لن يصبحوا مواطنين مسئولين ومشاركين بطريقة آلية، ولكن يجب أن تنعكس القيم المجتمعية مثل: الديموقراطية، والعدالة، والمساواة، والحرية في الممارسات الصفية في أثناء عمليات التعليم والتعلم. ولذلك يجب على المعلمين تطوير وعيهم بالقيم، وتأثيرها على التعليم والتعلم، مما يساعدهم على تقييم أدائهم من ضوء التزامهم بها، وانعكاسها على عمليات التدريس، وعلى طلابهم.

حيث ينمي التعليم المستند إلى القيم وعي المتعلمين بالسياسات الحالية في المجتمع، والآثار المترتبة عليها، والتفكير بشكل ناقد، واتخاذ قرارات حول القضايا المجتمعية، والقيام بطرح نماذج لاختياراتهم التي يشكلونها كمواطنين بالغين.

ولذلك يحتاج المتعلمون إلى تعلم تقييم مزايا كل الحجج المتاحة، واتخاذ قرارات منطقية حول القيم الاجتماعية المتاحة، وتوظيف المناقشات والمناظرات، واستخدام المصادر والمحاكاة والبحوث من أجل تنمية التفكير الناقد والقدرة على اتخاذ القرار، والتدريب على تطبيق القيم عند معالجة القضايا والمشكلات المجتمعية، والمشاركة في خبرات تعليمية تنمي العقلية العادلة fair mindedness، وتشجع على الاعتراف بوجهات نظر الآخرين واحترامها، واحترام التشابهات والاختلافات الثقافية، والالتزام بالمسئولية الفردية والاجتماعية.

- **التعليم المتحدي:**

يجب أن يعكس عمل المتعلمين توازنًا بين استرجاعهم للمحتوى وسرده، وبين الدراسة العميقة للمفاهيم؛ من أجل توفير فرص تحدي فكري لهم، ولذلك يجب على المعلم تفسير المعايير الفكرية المتوقعة من المتعلمين، مثل: الوضوح، والدقة، والاكتمال، والعمق، والصلة بالموضوع، والإنصاف وعدم التحيز.

يؤدي التحدي في التعليم والتعلم إلى استخدام الكتابة المنظمة، وتحليل أنواع مختلفة من الوثائق، مثل: المصادر الأولية والثانوية، الرسوم البيانية والرسوم التوضيحية، وبنوك المعلومات، بحيث تشمل مصادر من الفنون، والعلوم الإنسانية، والعلوم، والمحادثات الحقيقية، والعمليات الاستقصائية.

- **التعليم والتعلم النشط:**

تحتاج عمليات التعليم والتعلم النشطة من المتعلمين أن يفكروا فيما يتعلمونه، فهناك فرق بين التعلم عن إجراءات ونتائج الآخرين، والتفكير في تلك الاستنتاجات، فالتعلم النشط ليس مجرد تدريب عملي.

فالتعلم النشط يساعد المتعلمون على العمل بشكل فردي وجماعي، واستخدام مصادر غنية ومتنوعة؛ للتوصل إلى الفهم، واتخاذ القرارات، ومناقشة القضايا وحل المشكلات. كما يساعد التعلم النشط في عمليات بناء المعنى من خلال التفسيرات الواضحة، والنمذجة، والتفاعل، وطرح الأسئلة، والإجابة عنها، والمناقشة، والمشاركة في المشروعات، مما ينمي التفكير الناقد لدى الطلاب.



الأدب وقضايا المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين

نسمة سيف الإسلام سعد

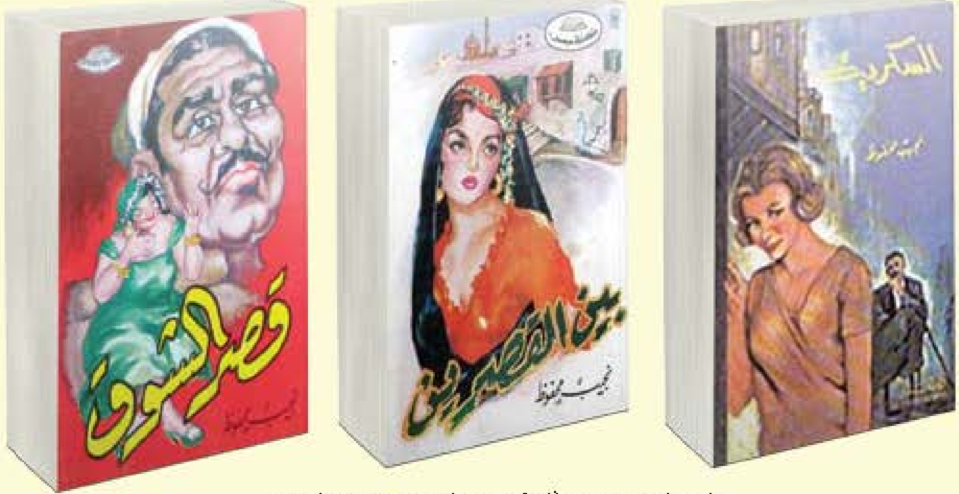
باحثة كلية الآداب-جامعة القاهرة

شهدت مناهج البحث التاريخي تطورًا كبيرًا منذ أواخر القرن العشرين فأمكن استخدام الأدب بصفته مصدرًا تاريخيًا، فيمكن بذلك تفسير تاريخ مصر من خلال مضامين القصص الروايات عن طريق استخدام منهج حديث لقراءة التاريخ من خلال الأعمال الأدبية بوصفه تفسيرًا أدبيًا للتاريخ.

تعد الحالة الاجتماعية لكل أمة نتاج أسباب متعاقبة وظروف متنوعة، أوصلتها إلى ما هي عليه. وهي في الغالب نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية وتعليمية، تلك الأسباب مجتمعة تكون ما عليه الأمة من بيئة اجتماعية، والأعمال الأدبية سواء الروائية منها أو التي تم تحويلها إلى أفلام سينمائية، تعد محاكاة للتطورات التي يمر بها المجتمع فهي تناقش وتحلل الظروف التي يمر بها المجتمع من خلال طرح مشكلات التي يمر بها المجتمع في الأعمال الأدبية المتنوعة، بالإضافة إلى إنها تمكن الإنسان من ربط ظلال الماضي بالحاضر، باعتبار أن السلوك الإنساني متشابه، وكأنما التاريخ بمثابة عملية تتكرر، ونجد أن خلال النصف الأول من القرن العشرين قد ظهرت العديد من الروايات الواقعية التي ناقشت مشكلات المجتمع المصري في تلك المدة.



نجيب محفوظ



ثلاثية نجيب محفوظ (السكرية، بين القصرين، وقصر الشوق

وستناقش هذه الدراسة معالجة الأعمال الأدبية وعلى رأسها الروائية لمشكلات المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين، وعلى رأسها الاحتلال البريطاني والأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

تُعد السنوات التي أعقبت الثورة المصرية عام 1919 فترة تقدم وتطور، فقد استطاعت الروح المصرية تحقيق تطورات في مختلف المجالات السياسية، وعلى رأسها الحراك السياسي عقب الثورة وصدور الدستور المصري عام 1923 والحراك الاقتصادي وبداية الدعوة لإنشاء بنك مصر، ولم يقتصر التطور عند هذا الجانب فحسب، فقد شهدت مصر تطورات كبيرة في مجال الفكر والثقافة فقد امتد صداها إلى مجال الأدب، فعلى سبيل المثال نجد أن المنفلوطي قد قام بإهداء رواية "في سبيل التاج" الصادرة في أول يونيو 1920 التي تدور أحداثها عن الثورة في البلقان إلى سعد زغلول باشا.

الأدب ومجتمع المدينة:

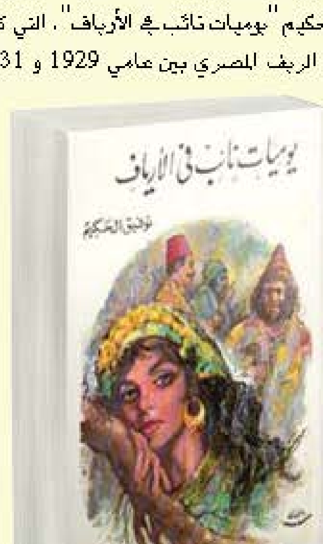
وتأتي روايات نجيب محفوظ على رأس الأعمال الأدبية التي اهتمت بمناقشة أوضاع المجتمع المصري في مراحل تاريخية مختلفة فقد بدأ نجيب محفوظ أعماله الروائية من الحقبة الفرعونية برواية "عبث الأقدار" عام 1934 و"رادوبيس" عام 1943 ثم "كفاح طيبة" عام 1944. وكان لهذه البداية أكثر من تفسير منها إنه أراد تذكير المصريين بماضيهم المجيد، وفي رواية "كفاح طيبة" نجد أنه يجعل ظروف المجتمع المصري من حيث الاحتلال البريطاني وفساد السلطة السياسية من خلال حقبة احتلال الهكسوس لمصر وفساد السلطة في ذلك الوقت، فإحالة أسئلة الحاضر السياسية إلى زمن قديم منهج ثابت في كتابات نجيب محفوظ استعمله في الفترة الناصرية حين كتب رواية "أولاد حارتنا" في مدة حكم الرئيس جمال عبد الناصر وعاد إليه في رواية "الحرافيش" التي ألفها في مدة الرئيس السادات. ثم نجد بعد ذلك الأعمال الاجتماعية التي ناقشت أوضاع المجتمع المصري قبل الثورة المصرية عام 1952 والتي بدأها برواية "القاهرة الجديدة" التي صدرت عام 1945 وحللت أنماط مختلفة من المجتمع المصري في حقبة مطلع ثلاثينيات القرن العشرين.

تُعد رواية "الثلاثية" التي تتألف كما يوحي عنوانها من ثلاثة أجزاء هي "بين القصرين"، "قصر الشوق"، "السكرية" بمثابة دراسة روائية لأحوال المجتمع المصري منذ الثورة المصرية عام 1919 فهي قراءة لأحوال مصر بين حربين عالميتين ورصد لتطور المجتمع والمدينة المصرية من خلال الأسرة انطلاقًا لأوضاع المجتمع المصري وآثار الاحتلال البريطاني، في تتابع شبه وثائقي يربط بين الواقعة ويعطف عليها وقائع لاحقة، مما جعلها تتحول إلى عمل تاريخي، فقد قام نجيب محفوظ بعرض الحدث والآثار المترتبة عليه، فضلاً عن قيامه بالربط بين الأوضاع الشعبية والرسمية والسياسية والثقافية للمجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين.

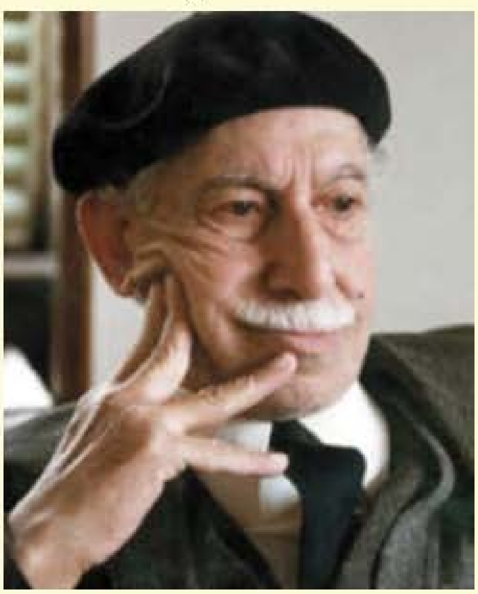
الأدب ومجتمع الريف:

وعلى صعيد آخر نجد إن كانت أعمال نجيب محفوظ قامت بتحليل أوضاع المدينة المصرية من كافة جوانبها، فإننا نجد أن هناك أعمالاً أدبية أخرى قامت برصد وتحليل أوضاع الريف المصري في تلك الحقبة من بينها رواية توفيق الحكيم "يوميات نائب في الأرياف"، التي كانت تعبر عن واقع الريف المصري بين عامي 1929 و 1931 إبان الأزمة الاقتصادية التي سادت العالم آنذاك و آثار سياسات الحكومات المصرية على المجتمع المصري عامة والريف بصفة خاصة، ومن خلال الرواية يمكننا التعرف على صورة الجريمة في الريف فهي تطلعنا على المهمة الرئيسية لمعاون النيابة الذي من خلال التقارير التي يقوم بكتابتها حول الجرائم نتعرف على وصف الملابس للضحايا والمجرمين والمستوى الاجتماعي لكليهما، فضلاً عن دوافع الجرائم، وفي المقابل من خلال يوميات النائب نتعرف على أنواع القضاة، الذين يحكمون في القضايا سواء القاضي المقيم في القرية مع الوصف لأحوال حياته أو القاضي المقيم في المدينة ويستعرض رحلته من المدينة إلى القرية.

وعلى الرغم من بعض النقاد اعتبروا أن توفيق الحكيم في الرواية ينظر إلى القرية المصرية بعين السائح الذي يشعر بالإشفاق لما يصادف، ويرى إلا أن البعض رأى أنها كانت من الأمور التي لفتت نظر المسئولين في مصر لإنشاء وزارة الشئون الاجتماعية في مطلع الأربعينيات من القرن



رواية يوميات نائب في الأرياف

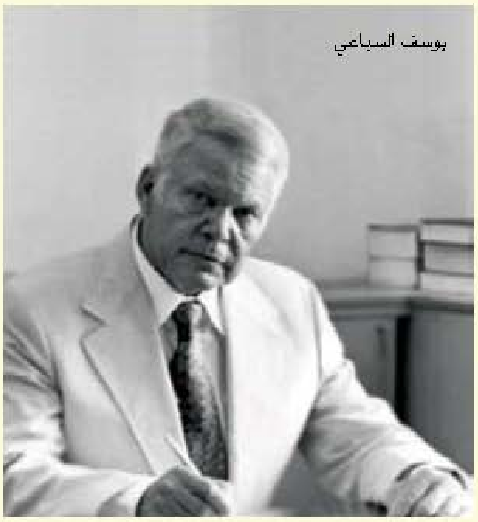


توفيق الحكيم



رواية الأرض


عبد الرحمن الشرقاوي


يوسف السباعي

العشرين.

وأما رواية "الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوي فتأتي قيمتها الأهم إنها خرجت من إطار الموضوعات التاريخية القديمة، وارتبطت بهموم الطبقات الأدنى، فصورت صراع الفلاحين ضد طبقة كبار الملاك والاقطاعيين في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، فرواية "الأرض" تتحدث عن أثر الأزمة السياسية عام 1930 التي حدثت نتيجة قيام حكومة إسماعيل صدقي بإسقاط دستور 1923 الذي جاء كأحد ثمار الثورة المصرية عام 1919 وإقرار دستور جديد عام 1930 يعطي الملك سلطات وصلاحيات كبرى ونتائج ذلك على الريف المصري في ظل الأزمة الاقتصادية الطاحنة، وتطلعنا الرواية على أنه كان يهدد الأرض خطران: الأول تقسيط مياه الري، وهو ما كان يعني جفاف الأرض، فموتها، والخطر الثاني شق السكة الزراعية، وهو ما يعني القضاء على الكثير من الزراعات، فالأرض هي البطل الرئيسي في رواية عبد الرحمن الشرقاوي، هي المحور الذي تدور حوله مشكلات الشخصيات وتصرفاتهم وطموحاتهم، والركيزة الأساسية في الرواية هي الصراع بين طبقة كبار ملاك الأراضي الزراعية، وطبقة صغار الملاك، فالحكومة تنصر طبقة كبار الملاك في مواعيد ري الأرض، وفي مد السكة الزراعية بينما يعاني صغار الملاك من فقد كل شيء، مما جعل الرواية صورة عن حياة الريف المصري وآثار الأوضاع الاقتصادية والسياسية علي أوضاعه في تلك الحقبة.

والجدير بالذكر أن رواية "يوميات نائب في الأرياف" ورواية "الأرض" قد تم تحويلهما إلى أفلام سينمائية.

السينما والمجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين:

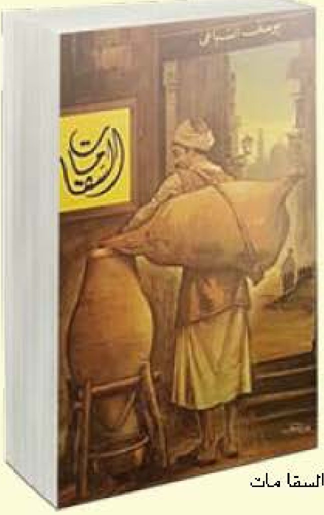
التاريخ في أبسط معانيه، دراسة ماضي البشرية فالمؤرخون يدرسون وثائق أحداث الماضي، ويعدون سجلات جديدة لهذه الأحداث قائمة على جهودهم في البحث، ويطلق عليها وثائق وسجلات، وباعتبار السينما صورة للمجتمع، فهي تحاول في الكثير من أحوالها، استجلاب المجتمعات الإنسانية القديمة، من خلال قصص جذابة، ليس الهدف منها فقط، التعرف على كيفية أساليب الحياة في الماضي، بل أيضًا للتأكيد على ما كان يحدث في أي زمن، إنما هو يتكرر الآن، فالسمات البشرية ملتصقة بالإنسان منذ بدء الخليقة، ومن هنا تأتي أهمية فن السينما فهي فن قصصي مصور.

تعد السينما أهم عناصر الحركة الفنية التي تناقش قضايا المجتمع وتساهم في وضع حلول من خلال قصص واقعية يضاف لها عنصر الجذب للفت أنظار المشاهدين وصناع القرارات للمشكلات الموجودة في المجتمع، ومن أهم الأفلام التي أعطت صورة عن المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين فيلم "اليوم السادس" وفيلم "السقا مات".

فقد ناقشت السينما في بعض أفلامها أحوال المجتمع في أثناء انتشار الأوبئة والأمراض ومن هذه الأفلام فيلم "اليوم السادس" المأخوذ عن رواية مكتوبة باللغة الفرنسية للكاتبة المصرية "أندريه شديد" وإخراج يوسف شاهين وبطولة "داليدا"، وتم عرضه في دور العرض عام 1986، ويعد الفيلم تأريخ لفترة انتشار الكوليرا عام 1947م وتبدو فيه البلاد كمدينة مغلفة بالمرض والضباب في الحارات الشعبية.

ويدور الفيلم حول سيدة كبيرة في السن تعيش مع زوجها القعيد وحفيدها الصغير في بدروم صغير، وعندما ضرب الوباء البلاد رصدت البلاد سبعة جنيهات لكل من يبلغ عن مريض لكي تسحبه بعيدًا في الصحراء إن أمكن وتحرق جثته في حال الوفاة لذا فعلى أهل المريض أن ينتظروا ستة أيام وفي اليوم السادس يفقدون الأمل ويتأكدون من وفاته، وفي تلك الظروف تعيش بطلة الفيلم إلى أن يصاب مدرس حفيدها بالمرض ويتم القبض عليه فتحدث أزمة نفسية للطفل ثم يصاب بالمرض، فلم تجد الجدة في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها فضلاً عن ما هو موروث من عدم الثقة في الطب الحكومي إلا أن تهرب مع حفيدها فوق مركب صغير إلى الدلتا لاعتقادها أن وصول الصغير إلى البحر وتعرضه للهواء النقي سيسهم في شفائه.

ويعد فيلم "السقا مات" المأخوذ عن رواية للأديب يوسف السباعي وإخراج صلاح أبو سيف وبطولة فريد شوقي



رواية السقا مات

وعزت العلايلي وتم عرضه في دور السينما عام 1977 تجسيدًا لأحوال الحارة المصرية في أعقاب الثورة المصرية عام 1919 وبالتحديد عام 1921 وتدور أحداث الفيلم في قاع المجتمع، من خلال شخصيات صغيرة هامشية وعلى الرغم من أن الفيلم يناقش سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الحارة المصرية في أثناء تلك الحقبة إلا أنه يعطينا صورة عن أثر الأوضاع السياسية في تلك المدة والكفاح ضد الاحتلال البريطاني بأبسط الوسائل ومنها كتابة عبارات معادية للاحتلال البريطاني على جدران الحارة مثل "الانجليز أعداء الأمة" "يعيش سعد زغلول زعيم الأمة"، وذلك من خلال فكرة فلسفية إلى حد ما وهي أثر الموت في حياة الإنسان من خلال العلاقة بين سقا الحارة الذي فقد زوجته وفقد معها الأمل في الحياة وعامل الجنازات ومنها نرى صورة كاملة للحارة المصرية في تلك الحقبة.

ومما سبق يتضح أن العلاقة بين الأدب والمجتمع والتاريخ علاقة تكاملية وثيقة فالأدب يعكس أوضاع المجتمع والتاريخ بصفته سجل حياة الإنسان اليومية فإن المؤرخين يستعينوا بالأدب لتحليل أوضاع المجتمع من خلاله بصفته إحدى السجلات التاريخية التي تعطي صورة كاملة عن المجتمع.

القص في التاريخ بين المرجعي والتخييلي



فالح حجي العنزي

السعودية

إن استعادة الماضي للعيش تاريخيًا، وإعادة تسجيله داخل الزمنية (زمان العالم) ينفي عن الكتابة التاريخية أن تكون مجرد تتابع وتعاقب وتسلسل لعدد من الوقائع والأحداث البسيطة والمتفرقة والمتفصلة. فالأحداث والوقائع لا تكتسب تاريخيتها بمجرد حدوثها أو وقوعها في الزمان، بل بقابليتها للقص والسرد، ومن ثم تكون قابلة للفهم والمتابعة والتصديق بواقعيتها ومعقوليتها. وهنا يأتي دور الحبكة بوصفها توسطًا بين الأحداث والقصة المروية، بين المعيش الزمني والفعل السردي، فالحبكة هي التي تمنح الأحداث والوقائع سرديتها التخييلية والمرجعية[1].

والتاريخ بما هو سرد وبناء حبكات، وتصوير للفعل الإنساني في الزمن بعد انقضائه، لا يغدو بمقدوره تفادي، أو تجنب العناصر التخييلية أو الأدبية، لا على أنها آثار أو مظاهر ثانوية، بل هي مما تشكل سماته النوعية الخاصة، هي جزء من محتواه إلى جانب ما هو واقعي، كما أنها محدد أساسي لما يأخذه من صيغ وأشكال[2]. ويمكن أن نستدل على ذلك بمقولة بليغة لبول ريكور، يقول فيها: «كتابة التاريخ ليست شيئًا يضاف من الخارج إلى المعرفة التاريخية، بل هي شيء من داخلها، فلا شيء يمنعنا من الإقرار أيضًا أن التاريخ يحاكي في كتابته الخاصة أنماط الحبك التي يتداولها تراثنا الأدبي»[3]. ويؤكد جيروم برونير أن جميع أنواع السرود بما فيها السرد التخييلي تعد بمثابة إطار لعرض ما يتضمنه العالم الحقيقي، ويمنحه من ثم قدرًا من الواقعية[4].

تتمثل المرجعية المشتركة بين التاريخ والتخييل في العمق الزمني للتجربة الإنسانية، فإذا كان القص التخييلي يملك مرجعًا، فإن المرجع الخاص بالنص التاريخي يملك صلة وثيقة بالمرجع المتنح للمحكي التخييلي، وهذا لا يعود إلى كون الماضي شيئًا غير واقعي؛ بل لأن الواقع الماضي غير قابل للتأكد منه؛ لأنه، باختصار، لم يعد موجودًا الآن، ولهذا فإن الخطاب التاريخي لا يستهدفه إلا على نحو غير مباشر، وهنا تفرض القرابة بين التاريخ والتخييل نفسها[5]. «فإعادة تشييد الماضي، كما أكد على ذلك كولنكوود، هو من عمل المخيلة. والمؤرخ أيضًا، بحكم العلائق المشار إليها آنفًا بين التاريخ والحكي، يشخص حبكات تسمح لها بالوثائق أو تمنعها، إلا أنها لا تشتمل عليها قط، بهذا المعنى، فإن التاريخ يلائم بين التماسك السردي والتطابق مع الوثائق. وهذه الصلة المعقدة تطبع الوضع الاعتباري للتاريخ بوصفه تأويلاً»[6].

فالقصص التخييلية والقصص التاريخية متشابهة، ومهما كانت الفروق بين مضامينها المباشرة، يظل مضمونهما الأخير واحد، وهو بنية الزمن الإنساني، فصيغتهما المشتركة، أي السرد، هو وظيفة هذا المضمون المشترك[7]. «فالأحداث التاريخية تمتلك البنية نفسها التي يمتلكها الخطاب السردي، وطبيعتها السردية هي التي تميز الأحداث التاريخية عن الأحداث الطبيعية، ولأن الأحداث التاريخية تمتلك بنية سردية، فللمؤرخين الحق في اعتبار القصص تمثيلات صادقة على هذه الأحداث بوصفها تفسيرات لها»[8].

والسرد التاريخي بإحالته إلى الماضي الواقعي الذي لم يعد موجودًا، ولا يمكن – من ثم –معاينته والتثبت منه، إنه يقصده بطريقة غير مباشرة، رمزية أو مجازية، منتجًا صورة له أو عنه، هي جزء من مرجعيته، تمنحه حضورًا وتحققًا من نوع ما، يجعله مرئيًا أمام القارئ، فيتمثل له الماضي الواقعي كما لو كان حاضرًا، الأمر الذي يعني أن السرد التاريخي لا يتجه حصريًا إلى مطابقة الماضي الواقعي بل إلى احتمال المطابقة، مما يدفع به إلى الانفتاح على آفاق المحتمل والممكن، على ما كان يمكن أن يحدث في الماضي، أي على إمكانيات الماضي واحتمالاته، التي لم تتحقق بالفعل. وهذا ليس ببعيد عما يصنعه السرد التخييلي الذي يقدم الأحداث المتخيلة غير الواقعية بوصفها وقائع ماضية[9].

الهوامش:

1 – ينظر: ريكور (بول)، من النص إلى الفعل: أبحاث في التأويل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص ص9، 10.

2 – ينظر: الطوانسي (شكري)، شعرية السرد التاريخي من خلال "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، ص 120. وفاتزي (توفيق)، التصديق والتخييل في القول التاريخي، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المغرب، العدد الثالث، شتاء، 2014م، ص 118.

3 – ريكور (بول)، الزمان والسرد، الزمن المروي، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2006م، ج 3، ص 279.

4 – ريفاز (فرانسواز)، كتابة التاريخ بين فن السرد والعلوم الدقيقة، ترجمة ياسمين جمال الدين، مجلة فصول، القاهرة، العدد 67، صيف – خريف، 2005م، ص197.

5 – ينظر: ريكور (بول)، من النص إلى الفعل، ص 13.

6 – م. ن، ص 13.

7 – وايت (هيدن)، ميتافيزيقا السردية، ضمن: الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1999م، ص203.

8 – م. ن، ص189.

9 – م.ن، ج3، ص 288

من عرفان البيان في "كتاب الحيوان"

د. سرور الحشيشة

كلّيّة الآداب بصفاقس- تونس

تدبّر الجاحظ في كلّ ما كتب الكون تدبّرًا عقليًّا أدرك منه حكمة من أيقن في تدبيره غاية الإتقان وتمام اللّطف. فلم يخل أدبه جميعًا من أن يكون فنًّا من الاستدلال على حكمة البارئ في ما برأ من الخلق وهيّأ لذلك من الأسباب والأحوال. والكثير من المفاهيم الّتي عرّفها الجاحظ ما زال لها اليوم من تعريفاتها حظّ تبرّره طبيعيّة الوصف. والطّبيعيّة naturalness مفهوم تنشده النّظريّة العلميّة لا سيّما في اللّسانيّات. وهو أن تكون معطيات الظّاهرة منطلقًا للدّراسة، فتُتناول من حيث خصائصها وانتظامها الطبيعيّ في واقع الأشياء، فيضارع الوصف حقيقة الظاهرة الموصوفة في الواقع، وتوافق النّظريّة طبيعة موضوعها.

ولئن كان المنطق هو المدخل إلى المنزع العقليّ في نظريّة البيان خصوصًا ونظريّة الأدب عمومًا فإنّ المدخل إلى طبيعيّة النّظريّة لا يكون إلاّ مدخلاً نفسيًّا تصوّريًّا عرفانيًّا cognitive يرتبط باشتغال الذّهن والنّظام التّصوّريّ الذي ينتظم نشاطه ودور التّجربة الجسديّة الحسّيّة في ذلك النّشاط وما له من تجلّيات نفسيّة ولغويّة وثقافيّة. فلا مناص من أن ينظر إلى المنطق على أنّه آلة من آلات العقل لا تخلو من أن تكون جزءًا من ذلك الشّيء المشترك بين بني البشر الذي به يفكّرون ويفهمون ويفعلون. ولا ريب في أنّ المنطق أو ما كان يسمّى بقوانين الفكر إن هو إلاّ بعض من ذلك العرفان استحوذ على تفكيرنا ومعارفنا حينًا من الدّهر كنّا نظنّ معه أنّه العلم الكلّيّ المطلق الذي يمكن أن نمثّل به أيّ معرفة يدركها العقل البشريّ أو ينتجها.

وحسبنا أن نعرض على قدر ما يتّسع له المجال مثالاً بسيطًا من أمر العرفان في فهم معنى البيان وتدبّر لطف المعجم المسخّر له. ومن ذلك ما يدخل عند الجاحظ في حدّ البيان. وأوّله تصوّر للخلق الكثير من الحيوان يقوم على تقسيمه باعتبار البيان إلى فصيح وأعجم. يقول الجاحظ في باب "تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم": «ثمّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم». (كتاب الحيوان، حقّقه فوزي عطوي وقدّم له، مكتبة محمّد حسين النّوري، دمشق، سوريا، مكتبة الطلّاب وشركة الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1968، ج1، ص29)

فأمّا الفصيح فهو الإنسان نفسه. يقول: «والفصيح هو الإنسان». (نفسه،ج1، ص29) وأمّا الأعجم فهو غير الإنسان من الخلق الذي يكون موصوفًا بالبيان من غير أن يقتضي وصفه ذاك كونه فصيحًا. فأمّا وصفه بالبيان فلكونه بتأليف الأصوات المقطّعة يفهم عنه مثيلوه في الجنس. يقول الجاحظ: «والأعجم كلُّ ذي صوت لا يفهَمُ إرادته إلاّ ما كان من جنسه». (نفسه، ج1، ص29) وهو الأصل في معنى البيان المرتبط بحاجات المُبين. وأمّا العُجْمَة فخلوّه من الفصاحة التي هي صفة بيان الإنسان دون غيره من الحيوان.

والفصاحة صفة الإنسان في بيان الإنسان. وهو أنّه لمّا كان الكائن المخصوص بالتّعيين وكان غيره من الحيوان ما به يتعيّن لم يخصّ في وصف بيانه بالفصاحة غيره ممّا يكون قسيمه في البيان ليس قسيمه في الفصاحة. والعجمة في البيان وصف الحيوان إذا قوبل بالإنسان. وإنّما هو وصف الإنسان للحيوان به يعرّف على الخلاف الفصاحة من حيث هي خاصّة للإنسان تتعدّى مجرّد الحسن في منطقه والقدرة

على الإبانة عن الحاجات على كثرتها واختلافها وتباعدها إلى ما به يتنبّه إلى الفرق بين ما يخرج من الإنسان من الأصوات المقطّعة المؤلّفة ويفهم عنه الإنسان وما يخرج من الحيوان من الأصوات المؤلّفة ولا يفهم عنه الإنسان نفسه. والإنسان يفرّق بين صوتين صوت به يتفاهم حاجاته ومنه يكون بيانه يسمّيه فصاحة وصوت لا فهم له عنه ولا تفاهم له به، وإنّما هو صوت يفهمه الواحد من أجناس غيره من الحيوان عن جنسه وبه تتفاهم تلك الأجناس حاجاتها المعلومة ولها فيه نهاية بيانها، ويسمّيه الإنسان عجمة.

إنّ هذا التّقسيم الذي يدخل تحته حدّ البيان لا يخرج من كونه تقسيمًا تصوّريًّا دلّت عليه في مستوى التّصوير فوارق معجميّة توسّل إليها الجاحظ بما يعيّن درجات البيان من فصاحة الإنسان وعجمة الحيوان. وهذا التّقسيم التّصوّريّ- التّصويريّ تحكمه مبادئ ذهنيّة تنبع من تصوّر كلّيّ يعتمد الجشطلت Gestalt ويستند إلى رؤية واقعيّة تجريبيّة Experientialism للفكر وطريقة اشتغاله. (انظر Wertheimer , Gestalt Theory, 1924, in Ellis W.D. (eds.), A Source Book of Gestalt Psychology, 1938, ص-ص8-9).

إنّ تقسيم الجاحظ الحيوان إلى فصيح وأعجم تقسيم في اللّغة أريد به تقسيم في التّصوّر. ولمقابلة الجاحظ الفصيح بالأعجم وتقسيمه الحيوان على أساس من تلك المقابلة أصل في المعجم العربيّ ومواضعات متكلميه. ولذلك الأصل اللغويّ المعجميّ مبادئ تصوّريّة ترتبط بنشاط الذّهن، وله في المعجم آية تهدي إليه وعلامة تدلّ عليه. ويمكن على سبيل التّقريب أن تفترض مبدأ الإغلاق واحدًا من المبادئ الّتي تحكّمت في تلك القسمة التي استوى منها البيان مقولة تصوّريّة معجميّة كان لها أثر ثقافيّ عميق سيطر قرونا طويلة على فكر العربيّ وتمثّله للكون وموقعه فيه. ذلك بأنّ إدراك مقولة الحيوان فمقولة البيان اقتضى جمع الأعجم إلى الفصيح كما اقتضى جمع الحيوان إلى الإنسان. فحصلت من ذلك الجمع بنية دلاليّة مغلقة عليها يقوم تمثّل المقولة تصوّريًّا وتمثيلها معجميًّا.

على أنّ إغلاق هذه البنية المفهوميّة: "الفصاحة"، "العجمة"، "الإنسان"، "الحيوان" أوجبه تقارب المتصوّرات الّذي أوجبته الحاجة إلى الخلف في حدّها. ومن ذلك ما توجبه معرفة الفصيح من معرفة الأعجميّ، وما يوجبه إدراك البيان من تقارب بين الفصاحة والعجمة يأتي على جهة ما يقتضيه المتصوّر من الخلاف وما يوجبه إدراك مقولة الحيوان من قرب مقولة البيان.

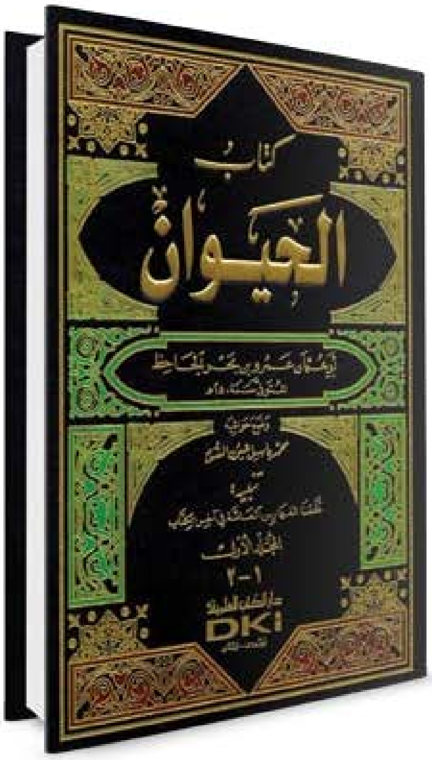
ومن القرب طبيعيّة أن يكون الإنسان المحور الذي بنى عليه الجاحظ تصوّره لمقولة الحيوان ثمّ تكون الفصاحة للمحور الذي بنى عليه مقولة البيان، إذ الإنسان، وهو نفسه الفصيح، أقرب إلى المتمثّل المدرك، فكان مركز التّصوّر وقياس المقولة، ولذلك فضّله على من هو دونه في البيان. وعُرف من مفهوم العجمة أنّ كلّ ذي بيان لا يخلو من أن يكون أحد أمرين. فإمّا هو حيوان ذو فصاحة في بيانه، وهو الإنسان، وإمّا هو حيوان لا فصاحة له في بيانه، وهو الحيوان، مع ما يحمل من عجمة الإنسان على عجمة الحيوان.

ولمّا كان مثل ذلك الاستواء في البيان بين الحيوان والإنسان وكان الإنسان لقرب من المدرك الطّراز في تصوّر مقولة البيان، لم تخل أصوات الطّير مثلاً، وهي مقطّعة مصوّرة ومؤلّفة منظّمة، وبها تفاهموا الحاجات، وخرجت من فم ولسان، (الجاحظ، المصدر نفسه، ج2، ص603) من أن تكون منطقًا وبيانًا. ولم تخل الطّير المتّصفة أصواتها بما في أصوات الإنسان ممّا تكون منه بيانًا ومنطقًا من أن تكون لمماثلتها أصوات الإنسان في الوصف قسيمة الإنسان في صفة البيان. ولا يخرجها من البيان قلّة فهم الإنسان عنها ولا قلّة فهمها عنه. غير أنّ الإنسان لمّا كان عن الإنسان أفهم وبيانه إليه أسرع سمّى بيانه فصاحة، وسمّى بيان ما خالفه من الخلق عجمة مع كونه قد يفهم عن الحيوان أصواته ويفقه منه بيانه.

ويجرّد الجاحظ من أحوال الموجودات في الطّبيعة وما يكون للعقل من القوانين في إدراك تلك الأحوال وما يقع للنّفس من الأمزجة الفطريّة في ذلك مبدأ يفسّر ما يكون في الاجتماع من ضرورة البيان بما يكون في البيان من ضرورة المشاكلة، وما يكون في المشاكلة من دواعي المؤالفة وأسباب السّكنى وعوامل المؤانسة. والمشاكلة من مبادئ الفكر الكلّيّ. وتوافق ما يعرف في نظريّة الجشطلت بمبدأ المماثلة similarity principle. فلا يدرك المشاكل في الفصاحة والمشاكل في العجمة كلاهما إلاّ من حيث هما مجموعتان. ويكون لقرب الأولى ولمخالفة الثّانية أثر في القيمة الإدراكيّة دلّ عليه لطف الزّوج: "فصاحة" - "عجمة" أو "فصيح" - "أعجم".

وممّا دلّ على أنّ هذا التّقسيم عنده تصوّريّ دلّ عليه بتعيين لغويّ معجميّ تقسيم آخر قويل به هو ما يكون من مقابلة العرب بالعَجَم. يقول الجاحظ: «فإذا قالوا: فصيح وأعجَم، فهذا هو التّأويل في قولهم أعجم، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم، فليس هذا المعنى يريدون. إنّما يعنُون أنّه لا يتكلّم بالعربيّة، وأنّ العربَ لا تفهم عنه». (نفسه، ج1، ص 29). ولا يخرج من أن يكون تصنيفًا في اللّغة، يبرّره تصنيف في التّصوّر سابق له في الذّهن. والمعنى فيه أنّ صفة من بلسانه عجمة تقابلها في لسان العرب صفة العربيّ من أنّه يتكلّم العربيّة، فيفهم عنه قومه من أهل هذا اللّسان. وصفة الفرس والتّرك وغيرهم من الأقوام من كونهم أعاجم، هي ما به يدلّ العربيّ على ما في ألسنة أولئك من العجمة، وهو ليس لقلّة ما يراه في ألسنتهم من البيان، ولكن لجهله بمواضعاتها وما يجرّه عليه ذلك من قلّة فهمه عنهم، وتعرّفه حاجاتهم ومقادير تلك الحاجات.

لقد جعل الجاحظ للأعجم مدلولين. الأوّل ما يكون بإزاء فصاحة البيان عند الإنسان من عجمة الحيوان، والثّاني ما يكون بإزاء بيان اللّسان العربيّ من عجمة الأقوام وألسنتها. والتّقسيمان "فصيح- أعجم" و"عرب-عجم" تقسيمان معجميّان لا يخلوان من أن يكونا تقسيمين تصوّريّين ذهنيّين من جهتين. الأولى هي ما يراه الإنسان في نفسه إذا قويل بالحيوان من فصاحة البيان لما يتمّ له به من الإفهام، ويحصل منه عنده من الفهم، والثّانية هي ما يراه العربيّ في لسانه إذا هو قابله بألسنة غيره من الأقوام والأمم الّتي لا يحصل له بها إبانة ولا يتمّ له منها، فهم، من حسن البيان الذي يكون مع تفاهم الحاجات وبلوغ المقاصد والغايات. فلمّا كان الإنسان عن بني جنسه أفهم وعلى سجاياهم وطبائعهم وأمزجتهم أجرى وبهم أقيس صار ذلك البيان منهم عنده فصاحة معها يكون بيان الحيوان عجمة. ولمّا كان العربيّ بلسان العرب أبين وبمواضعات متكلمي ذلك اللّسان أفقه، وعلى سننهم فيه أجرى، صار ذلك اللسان عنده أفصح، وسمّى لسان غيره من تلك الأقوام أعجم، يريد أنّ العرب لا تفهم عنه مع علمها بكونه بيانًا.



"إنّ تقسيم الجاحظ الحيوان إلى فصيح وأعجم تقسيم في اللغة أريد به تقسيم في التصوّر"

وإنّما اللغة ملكة ذهنيّة تحكمها مبادئ نفسيّة تصوّريّة كلّيّة، تكون منها العبارة اللسانيّة انعكاسًا لعمل الذّهن في تصوّر المعنى، وطريقته في إدراك الموجودات والأوضاع. ولمّا كان المتماثل آلف عند الإنسان لكونه الأصل في إدراك الذّهن، وما يكون فيه من ميل في التّصوّر إلى حمل الشّيء على الشّيء، ممّا يكون له نظيرًا أو مشابهًا كان في اللغة، الّتي هي بيان الإنسان ما يعكس ذلك الميل الذّهنيّ إلى تجميع المتماثلات وإجراء الأقيسة التّصوّريّة عليها في إدراك ماهيات الأشياء وتعريفها.



الإلحاد والملحدون



أحمد حسن ياسو

مصر

الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية، أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى. فيدعى الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهى الخالق في الوقت نفسه ومما لا شك فيه أن أكثر دول العالم تعاني من نزعة إلحادية عارمة، جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.

الإلحاد بدعة لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد. ويعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن بين هؤلاء أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية.

وبدأت الحركة الصهيونية في نشر الإلحاد في الأرض بشكل ممنهج ومنظم، ولم يكن عملاً فرديًّا قط، ولكن تم التأثير به على الأفراد. فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد، والمادية المفرطة، والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية، لكي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وانساقت جموعًا وأفرادًا خلف نظريات ماركس وفرويد ونظريات دارون ودور كايم، وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد، وأصبحت مذهب يعتنق، وله تأثير كبير في عقول المجتمعات.

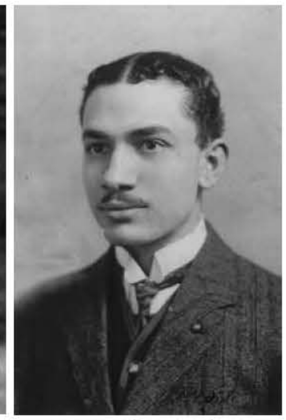
وصنفت الأفراد نفسها بكل مذهب وأخذوا كل منهج وكل نظرية لهؤلاء منبرًا لهم. ثم تحول الإلحاد بعد ذلك لمجرد فكرة تضيئ في العقل، وبنى الملحد من خلالها أسس إلحاده سواء عن علم، أو لمجرد فكرة التحرر، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقًا.

تفشي الإلحاد في أوروبا مع العقلانية الحديثة مستغلين الأخطاء التي وقعت فيها الكنيسة بمحاربتها للعلم، فقامت ثورة العلم ضد الكنيسة وبالثورة الفرنسية والداروينية والفرويدية. وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق تفشى الإلحاد في الغرب، وكان وراء الهدف الشرير لليهودية العالمية هو إزالة كل دين ليبقى اليهود وحدهم أصحاب الدين.

انتشر الالحاد في أوروبا وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا وبقاع العالم، وعندما آل الحكم للشيوعية في مكان يعرف بالاتحاد السوفيتى قبل انهياره وتفككه فرضت الإلحاد على شعوبه وأنشأ له مدارس وجمعيات وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم عن طريق أحزابها.

المنظمات السرية

المتنورون تنظيم سرى تأسس في بافاريا في 1 مايو 1776 في الحقبة التي تسمى آنذاك بعصر التنوير، وعلى الرغم من عدم قانونيته في تلك الحقبة، إلا أن معظم أعضائه من المشاهير والسياسيين. وكان الهدف الرئيسي إقامة مجتمع عقلاني من خلال التنوير ويعد عدم الإيمان بالله شرطًا للانضمام لعضوية هذا التنظيم، وهذا وراء جاذبيته لكثير من الملحدين. ولهذا يعد الإطاحة بالأديان السماوية من أبرز أهدافه، ويعتقد الكثيرون بأن تنظيم التنورين لايزال يعمل بالخفاء إلى هذا الوقت، وربما تحت مسمى آخر أو من خلال



د. أحمد زكى أبو شادي



د. إسماعيل أدهم



إسماعيل مظهر



جميل صدقي الزهاوي



د. مصطفى محمود

انشاء جمعيات أخرى ويتدخل التنظيم في العمل السياسي حيث يتحكم بقرارات معظم الحكومات والدول حول العالم لما له من نفوذ من قبل أعضائه في كافة المجالات؛ حيث يتم التأثير من خلالهم على الإعلام والإنتاج السينمائي وألعاب الأطفال، مما يبين لنا الحرب الشرسة التي تدار في الخفاء.

انتشار الحركات الإلحادية في مصر

البداية عندما ألقى الدكتور أحمد زكى أبو شادي محاضرة بعنوان (عقيدة الألوهية) التي ألقاها في ندوة للثقافة بالإسكندرية مساء الثلاثاء 3 نوفمبر 1936 التي نشرت ملحقة في مجلة (أدبي) في العام نفسه، ونحى فيها منحًا أدبيًا وصوفيًا وجمع بين العقل والقلب والفطرة في اثبات الألوهية.

وعلى الجانب الآخر الدكتور إسماعيل أدهم الذى رد على محاضرة د. أبو شادي بمقال (لماذا أنا ملحد) وهو المقال الذى رفض فيه قيام الكون الطبيعي البشري على قانون السببية وعلاقته بالأسباب والمسببات واضعًا بدلاً من ذلك قانون الاحتمالات، رافضًا وجود سبب أولي لما في الوجود من أسباب.

تحدث أدهم في رسالته (لماذا أنا ملحد) عن خطته التي تعمل في التوفيق بين الدين وحقائق العلم، حين قال: فإنى بروحي المتصوفة المتدينة التي تتغذى في الوقت ذاته على العلم أميل إلى الإدماج، وكما تشرب الإسلام العلم وهذه هي طبيعته الأصلية ازداد نفعًا وعظمة وتألقًا وقوة على مسايرة القرون.

وكانت لنشأة د. أدهم أثر كبير في إلحاده، حيث نشأ بين أبوين من ديانتين مختلفتين من أب تركي مسلم وأم ألمانية مسيحية بروتستانتية، فحمل على عاتقه المقارنة بينهما ومدى قسوة تعاليم الإسلام بالنسبة لطفل في مثل سنه، ومدى الحرية التي تتمتع بها أمه وشقيقتاه مما أثر في إلحاده دراسته في الاتحاد السوفيتي وانخراطه بالمجتمع الغربي الشيوعي.

وقد ذكر في مستهل رسالته (لماذا أنا ملحد) أن الأسباب التي دعتني للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة، منها ما هو علمي بحت، ومنها ما هو فلسفي صرف، ومنها ما هو بين بين، ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي، ومنها ما يرجع لأسباب سيكلوجية.

وانتهى به المطاف منتحراً في مياه البحر المتوسط على شواطئ الإسكندرية، ولم يكن أسماعيل أدهم غارقًا في نزعته الالحادية بمفرده.

فقد أصدر اسماعيل مظهر سنة 1928 جماعة نشر الإلحاد تحت شعار رابطة الأدب الجديد. يدعو فيها إلى الإلحاد، وكان أمين سرها في ذلك الوقت كامل الكيلاني. وفى عام 1930 ألف إسماعيل مظهر حزب الفلاح، ليكون منبرًا للشيوعية والاشتراكية، وقد تاب بعد أن تعدى مرحلة الشباب، وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا ينشرون في «مجلة العصور» الشاعر عبداللطيف ثابت الذى كان يشك في الأديان بشعره.

وأيضًا من الشعراء والمفكرين الشاعر الزهاوي، الذى يعد عميد الشعراء المشككين في عصره في الفترة من أواخر القرن الثامن عشر وحتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

ومن الكتّاب الدكتور مصطفى محمود الذى عانى من نزعة إلحادية، حيث ذكر في كتابه «رحلتي من الشك إلى الإيمان» بدايته مع الإلحاد بقوله: لقد رفضت عبادة الله لأنى استغرقت في عبادة نفسي، وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة منذ مهد الطفولة.

وسنتوقف عند الدكتور مصطفى محمود، لأن في رحلته الالحادية ردًا على كثير من التساؤلات، التي تدور في ذهن من يتحسس خطاه في طريق الإلحاد، وأخرج لنا كتابًا تخطى فيه حدود العقل بحوار مع صديقه الملحد، الذى اختلق فيه شخصية وهمية تناول فيها كل الأسئلة التي تدور في ذهن الملحدين والإجابات المقنعة من شخص ألحد نتاج علم جم، والعودة منه إلى إيمان أكثر ثباتًا ورسوخًا. وقال في مقدمة كتابه «حوار مع صديقي الملحد»: لأن الله غيب، ولأن المستقبل غيب، ولأن الآخرة غيب، ولأن من يذهب إلى القبر لا يعود. راجت بضاعة الإلحاد وسادت الأفكار المادية.

وإذا بدأنا الحديث عن الدكتور مصطفى محمود سنملأ صفحات من الكتب والمقالات.

وإنما هنا تجتزئ من كتبه لنصل لهدف معين ما بين رحلته ورحلة الملحدين في الوقت الراهن، وإن كان الدكتور مصطفى محمود بنى أساس إلحاده على العلم متناسيًا

> "الدكتور مصطفى محمود الذى عانى من نزعة إلحادية حيث ذكر في كتابه «رحلتي من الشك إلى الإيمان» بدايته مع الإلحاد بقوله: لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة منذ مهد الطفولة"

قواعد الدين وكل الثوابت الإيمانية، التي نشأ عليها مصاحبًا عقله في رحلة إلحادية، ثم العودة منها مدافعًا عن الدين بكل ما أوتي من قوة، ونظم حملة ممنهجة، ليواجه بها الفكر الإلحادي.

وأظهر لنا هذا في كتابه «حوار مع صديقي الملحد» الذى عرض علينا إشكالية من النوع المعقد.

الملحد يريد أن يقفز بعقله بعيداً عن النورانية الإلهية وفكرة الوجود الإلهي، ووجود الجنة والنار، وكل ما ذكر الله وتكذيبه لكل الكتب السماوية.

وليست الإشكالية هنا الدين، ولكن الثورة قامت في ذهن الملحد على الله.

إذن ليس الدين محور اهتمام الملحد، وذلك لن يثنيه عن إلحاده، غير أنه قرر عدم الاعتراف بالذات الإلهية.

الملحد لا يقوى على التفكير ولم يكن له دليل مقنع ولا حجة واحدة يستطيع أن يبنى عليها حجته، ولو شاء الله لفعل ذلك، ولو كان هناك حجة دامغة لبقى الدكتور مصطفى محمود على إلحاده. إنما الملحد يريد التحرر من كل ما هو مرتبط باسم الله وفكرة الوجودية هو يرى أنه مخلوق بذاته ولذاته، وإنه سيد قراره ورغباته. فأخذ في اعتباره وحمل على عاتقه مشقة الكشف عن الله، ومن البديهي أن يفشل العقل في اكتشاف الخالق، فكانت تلك هي البوابة الرئيسية التي فتحت له الطريق إلى الإلحاد.



منتزهات قرطبة الإسلامية حصيلة أشغال بعثة أثرية في منتزه منية الرمانية



د. عبدالرحيم الرحوتي

أستاذ الألسن وعلم الترجمة بالمعهد العالي الدولي للسياحة طنجة المغرب

فن المتنزهات الذي كان منتشرًا في إسبانيا الإسلامية تم استيراده، بحسب الباحثين، من المشرق ومن إفريقيا الشمالية. كانت المتنزهات والحدائق غالبًا ما توجد على مقربة من القصور ومن بيوتات الأعيان ودارات الأغنياء التي تقع في معظم الأحيان بأطراف المدن. مثل جميع المتنزهات المشرقية، فإن متنزهات إسبانيا الإسلامية كانت تتشكل من شبكة مغلقة من الوحدات مربعة الشكل على العموم. أما هندسة المدرجات التي توجد بها، فهو إسهام إسباني تم ابتكاره لتوفير مجال للرؤية عن بعد[1].

لم يسأم الشعراء والأدباء وحتى المؤرخين العرب من ذكر منتزهات قرطبة وجمالها الرائع: أنهار متدفقة، مياه عذبة رقراقة، نافورات، أحواض عظيمة صممت بأشكال هندسية راقية، أسقف وجدران زخرفت بماء الذهب واللازورد، أشجار باسقة صفت على شكل سطور متناظرة، أزهار من مختلف الأشكال والألوان رتبت بطريقة تجعل الناظر يراها وكأنها تبتسم لبعضها البعض...[2]. يبدو أن مثل هذه الأوصاف كانت مألوفة ومتداولة بشكل واسع إلا أنها لا تشكل، بأي حال من الأحوال، حجة لإثبات الظاهرة، خاصة وأن متنزهات قرطبة التي تعود إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي اندثرت ولم يعد لها وجود[3]. أما المتنزهات التي لازالت موجودة، مثل متنزه قصر الحمراء في غرناطة، فقد شيدت في وقت متأخر[4]. من كل المتنزهات التي كانت تتوفر عليها قرطبة، وحده متنزه حاضرة الخلافة المسمى مدينة الزهراء، الذي يبعد بثمانية كيلومترات عن المدينة بقيت بعض معالمه صامدة في وجه الزمن، ولكن يتعلق الأمر بفضاء في حالة خراب. مع ذلك، استطاع علماء الآثار تحديد من خلال الآثار المتبقية منه هيكله العام الذي يمكن إجماله على الشكل التالي: وسط مساحة على شكل مربع تقريبًا يبلغ قياس أضلعه 150 مترًا، كان يوجد بناء تحيط به أربعة أحواض، ومنها كانت تنطلق في الاتجاهات الأربعة الرئيسية أربع ممرات تمتد على جوانبها قنوات مياه[5].

من لديهم معرفة بالمتنزهات المشرقية يرون في هذا الرسم شكل صليب مجهار باغ»، أي أن الأمر يتعلق بمتنزه مقسم إلى أربعة أجزاء بحسب ما تدل عليه العبارة الفارسية. مع الأسف، لم يعد في الإمكان العثور على آثار صفوف محتملة تتشكل من أشجار مرتبة على هيئة سطور متناظرة. لقد خضع المتنزه بالفعل، لأعمال تنقيب في أربعينيات القرن الماضي، وهي حقبة لم تكن فيها إمكانية دراسة بقايا النباتات بمنهجية علم الآثار الأحيائي متوفرة لدى علماء الآثار الإسبان. الأسوأ في كل ذلك، يسجل فيليكس أرنولد، أن المتنزه أعيد تشجيره، بحيث صارت حتى الدراسات الجزئية مستحيلة، على اعتبار أنه لم يعد في الإمكان التمييز بين ما هو قديم وما هو حديث[6].

المتنزه الموريسكي المشهور باسم «ألكزار» (القصر) في



صور لبقايا الجدار الذي كان يحيط بمنية الرمانية ويعود تاريخ بنائه إلى نحو ألف سنة. شيد هذا الجدار تبعا لمبدأ يذكر بطرق البناء بالتفريغ: الفجوات الفاصلة بين سلسلة من الأعمدة المشكلة من كتل من الكلس ملأت بالطين المدكوك.



بقايا متنزه منية الرمانية ويظهر في مقدمة الصورة جانب من الحوض المائي الضخم (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي).

مدينة إشبيليا، لا يساعد، لا قليلاً ولا كثيرًا هو الآخر، في الإجابة عن أسئلة من قبيل: هل كانت مجاري المياه في المتنزه على شكل جداول أو قنوات؟ ما هي أنواع المغروسات التي كانت توجد به؟ وما هي طبيعة أريجها؟ إلخ. من المؤكد أن تاريخ هذا المتنزه يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، ولكن تهيئته أعيدت من جديد انطلاقًا من القرن الثالث عشر إلى حد أن البنايات الجديدة غيرت من شكله الأصلي. أما فيما يخص حدائق قصر الحمراء في غرناطة، فإنها تعكس اليوم فكر حقبة أخرى من تاريخ إسبانيا الإسلامية، حتى وإن كان أصلها يعود إلى عصر الخلافة بقرطبة [7].

بأي طريقة يمكن ضبط هندسة الهيكلة الحقيقية للمتنزهات الأندلسية بقرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتوثيقها؟ للإجابة عن هذا السؤال تشكل، في خريف 2006، فريق علمي إسباني ألماني خصص مهمته لدراسة متنزه قصر ريفي أندلسي قديم يوجد على بعد عشرة كيلومترات غرب قرطبة (يعرف باسم منية الرمانية). جزء كبير من مساحة هذا المتنزه لم يتعرض للنبش، كما أن أسس البناية بقيت على حالتها الأصلية ولم يلحقها أي تغيير أو هدم [8].

تشكل فريق البعثة من كل من فاليخو تْريانو محافظ مدينة الزهراء وألبيرتو كانتو غارسيا أستاذ علم آثار القرون الوسطى في جامعة مدريد المستقلة وفيليكس أرنولد من معهد علم الآثار الألماني بالقاهرة. عملت البعثة على مواصلة الأبحاث التي سبق وأن قام بها ركاردو فيلاسكيز بوسكو مؤرخ الهندسة المعمارية الإسبانية الذي أنجز، في 1910، دراسة لبنايات القصر التي تعود لعصر الخلافة الأموية بالأندلس، قبل أن يقرر أحد الأرستقراطيين الإسبان بناء إقامة صيفية له بعين المكان. من جملة الأشياء التي اكتشفها ريكاردو فيلاسكيز بوسكو بقايا زخارف من الرخام، التي يمكن مشاهدتها اليوم في متحف علم الآثار بقرطبة [9].

يقع القصر شمال نهر الوادي الكبير على السفح الجنوبي لجبال سييرا مورينا في الجنوب الإسباني. ينعت في المصادر العربية القديمة باسم مُنية الرمانية، أي قصر وادي الرمان [10]. يتوفر القصر على عدد من المدرجات يبلغ طول كل واحد منها 150 مترًا وعرضه 50 مترًا، ثلاثة منها كانت مُهيأة على شكل منتزهات تتدرج على ارتفاع يصل إلى حوالي ثلاثة أمتار. فوق المدرج الأكثر ارتفاعًا كانت توجد مباني للسكن والاستقبال وكذلك حوض كبير أعد لتجميع مياه الأمطار [11].

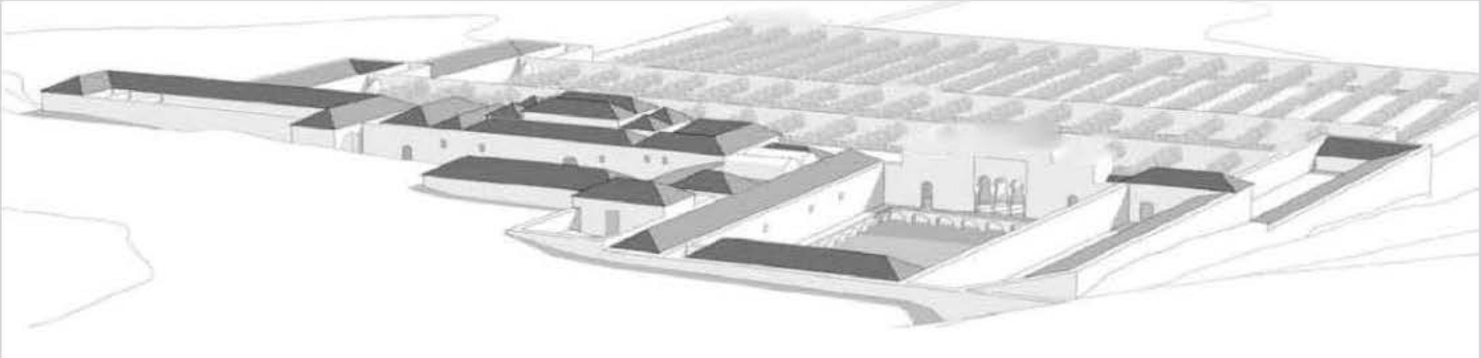
مالك القصر الأول كان يشغل منصب وزير المالية (خازن) لدى الخليفة الحكم الثاني، ينعت بالدُّرِّي (303 – 366 هـ/915 – 976م)، أي «الصبي» وهو سليل عائلة ذات نفوذ مما جعله يتحمل مسؤوليات كبرى في سن مبكر. قد يكون الدُّرِّي شرع، انطلاقًا من سنة 355 هـ/965م، في بناء قصر مُنية الرمانية مخصصًا لذلك مجموع ثروته. لكنه لم يتمكن، للأسف، من التمتع به لمدة طويلة، إذ اتهم باختلاس أموال عمومية وتحويلها لفائدة مشاريعه، فغضب عليه الخليفة وعزله في أبريل 363 هـ/973م. في سياق تسوية قضيته سيتنازل الدُّرِّي لفائدة الخليفة عن قصره بعد أن نظم به حفل استقبال كبير على شرف هذا الأخير. بعد وفاة الخليفة، تعرض الوزير المذكور لمؤامرة داخل البلاط ولقي حتفه في أثناء هربه [12].

خصص علماء البعثة الجزء الأول من أعمال البحث لدراسة فضاءات السكن والاستقبال، وأفردوا الجزء الثاني لدراسة نظام التزود بالمياه. بعد توثيق الآثار التي لا زالت موجودة إلى اليوم، انصب الاهتمام على الجدار المحيط بالقصر الذي لا زالت بعض أجزائه في حالة جيدة. تشبه بنيته الغريبة بنية جدار مُفَرَّغ، إذ هو عبارة عن تسلسل لأعمدة من كتل الكلس ملأت الفجوات الفاصلة بينها بالطين المدكوك [13].

لا شك أن حوض الماء كان يشكل مفخرة معمارية، إذ تبين خلال البحث أن طوله كان يبلغ 50 مترًا وعرضه 30 مترًا وعمقه أربعة أمتار، وهو بذلك يعد أحد أكبر الأحواض المائية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت. عمل الفنيون على إحداث حفرة في الأرض أحاطوها بجدار من حجارة جعلوه مسيكا لمنع تسرب المياه مستعملين في ذلك طلاء خاصًا وأنهوا عملهم بصقل الجدار، ثم أقاموا داخل الحوض أعمدة متوجة بأقواس وضعت فوقها صفائح من حجارة، بحيث يمكن السير فوق سطح الماء والتمتع بمشاهدة الأسماك في داخله [14]. كانت لهذه الهياكل، على رأي أعضاء الفريق العلمي، وظيفة أخرى، تتمثل في توفير الظل للأسماك في حوض لا وجود به لأي نباتات مناسبة.

نظام تجميع واستغلال المياه آثار إعجاب أعضاء البعثة العلمية. أغلب التقنيات المستعملة كانت موجودة، بعضها منذ العصر الروماني، ولكن التنفيذ يكشف عن وجود كفاءة عالية لدى الفنيين الذين أشرفوا على الإنجاز. تم تحويل صبيب مياه أحد جداول الجبل وهو ما تحقق عن طريق إنشاء سد لتجميع المياه، ومنه كانت تنطلق قناة نحو الحوض المذكور [15]. سجل العلماء كذلك، وجود عدد من العيون في الأرض المحيطة بالقصر بنيت جنباتها بالحجارة، لتسهيل عملية استغلال مياهها، كما لاحظوا وجود سرداب كان يستعمل لتجميع المياه، وقناة تحت الأرض استغلت لجلب المياه الجوفية من الجبل المحاذي، وعاينوا كذلك وجود خزان أنشئ لتوفير مياه الشرب، أما مياه الحوض فكانت تستغل في سقي المغروسات وتلطيف الجو صيفًا في قاعة الاستقبال [16].

في 2008، خصصت البعثة العلمية مهمتها لدراسة النباتات التي كانت توجد في محيط المتنزه باستعمال تقنية علم الآثار الأحيائي. بدأ العمل بتجميع عينات من تربة استخرجت من خنادق حفرت خلال أعمال التنقيب، ثم أرسلت إلى مختبرات جامعة خَايِن (جَيَّان) بالأندلس بهدف إخضاعها للتحليل وتجميع كل بقايا النباتات العالقة بها. الغريب في الأمر، هو أن الأراضي الواقعة بجوار البناية مباشرة هي التي ستكشف عن أكبر قدر من المعلومات. وهذا شيء يساعد تاريخ منية الرمانية على تفسيره بسهولة، بحسب العلماء، ذلك أن حريقًا كان قد التهم البناية، في 399هـ/1009م، خلال إحدى الفتن، وهو الحريق الذي نتج عنه انتشار رماد كثيف فوق الأرض المجاورة للبناية



رسم تقريبي لمنية الرمانية كما كان يمكن أن تبدو في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. في المقدمة الجزء المخصص للسكن (على اليسار). حوض المياه الكبير وأقواس قاعة الاستقبال (على اليمين). ثم المدرجات المعدة على شكل منتزهات والتي كان يوجد بها بدون شك أشجار الزيتون واللوز والبرقوق والكرز وأشجار مثمرة أخرى.

والتحامه بالتربة مشكلاً ما يشبه طبقة عازلة ساهمت في الحفاظ على ما كان عالقًا بها [17].

تعجب العلماء بعد تمكنهم من نتائج التحليلات المخبرية، ذلك أنهم لم يجدوا بالعينات المدروسة لتربة منية الرمانية أي أثر للزنبق والورد والأقحوان والبنفسج والنسرين ... باختصار، كل الأزهار التي يسهب الأدباء العرب في ذكرها عندما يصفون المنتزهات المشرقية لا أثر لها في عينات التربة التي أخضعت للتحليل. هذا الجزء من المنتزه الذي كان يتصور أنه يتعين أن يكون عبارة عن فضاء للزينة، اتضح في نهاية الأمر أنه حقل زيتون [18]. بالإضافة إلى ذلك، اكتشف الباحثون في جامعة خاين (جَيّان) خلال تحليلهم للعينات المنتقاة من التربة وجود آثار لأشجار اللوز والبرقوق والكرز، ولكن، وهو أمر يتعين تسجيله، لم يجدوا، في مكان يحمل اسم وادي الرمان، أي أثر لهذا النوع من الأشجار [19]. يظهر، عند هذا الحد من البحث، أن بساتين منية الرمانية كانت تتكون من مغروسات هي عبارة عن أشجار مثمرة وليست أزهارًا للزينة. كون أن أعضاء الفريق العلمي لم يقعوا بالمكان على أي أثر لممرات مرصفة قوى لديهم هذا الانطباع [20].

الأوصاف المتوفرة عن منية الرمانية في الكتابات القديمة تؤكد هي الأخرى هذا الانطباع، لأنه لم يرد فيها ذكر لوجود أزهار أو مغروسات من النوع الذي يستعمل للزينة. يحرج مثل هذا الوضع المؤرخين المتخصصين في فن المنتزهات الذين تأثروا بالإشارات الأدبية العديدة التي توحي بوجود جنات فوق الأرض، إلا أنها تنكشف في النهاية، كما يقول فيليكس أرنولد، عبارة عن فضاءات لا تختلف كثيرًا عما هو موجود في الواقع [21].

قصور قرطبة الريفية أنشأت في سياق ظاهرة مشابهة، حيث توصف في الكتابات التاريخية، باعتبارها أمكنة للترويح يقصدها أصحابها في الصيف هربًا من حرارة المدن، ولكن أيضًا للراحة بعد الحرب، كما كانت تشكل فضاء لأحداث اجتماعية مهمة مثل الأعراس وحفلات العقيقة أو الختان [22]. في مثل هذه الفضاءات التي أعيد فيها إنتاج طبيعة متحكم فيها، حيث يتم التفكير والاشتغال في السياسة وهو ما يفسر وجود قاعات الاستقبال [23].

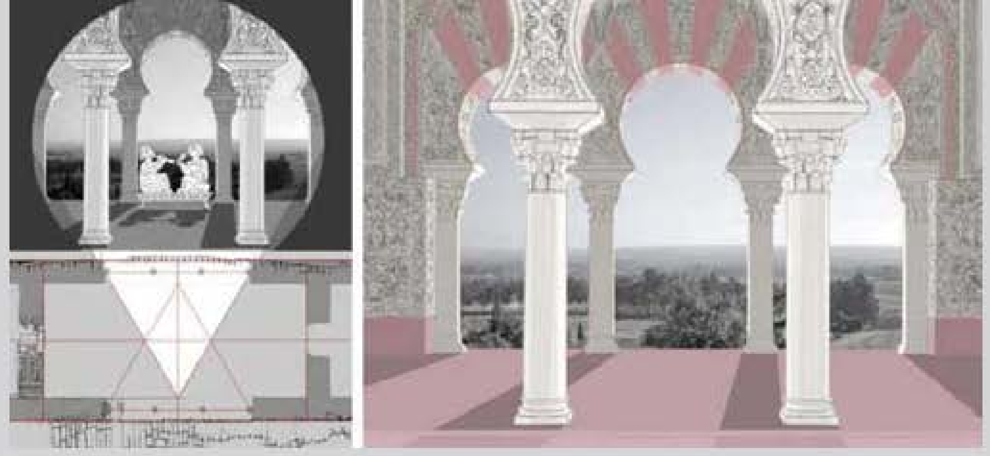
كما ينص على ذلك فيليكس أرنولد، فقد تمكن أعضاء البعثة العلمية، في 2006، من الحصول على مؤشرات أفضت إلى استنتاج أن القاعة المجاورة للحوض المائي الكبير في منية الرمانية كانت قاعة استقبال، وأن حفريات 2008 و2009 ساعدتهم في الكشف عن شكلها وبعض قطع سقفها وزخارفه المصنوعة من الرخام ليتضح من خلال فحص القطع المذكورة أن الأقواس كانت تحمل نقوشًا ورسوم نباتات مثل أوراق الأقنثة والكرم والرمان، وكذلك رسوم حيوانات مثل الطيور والأسد أو الغزلان، وهي كلها، كما يقول، كانت تشكل موضوعات مميزة لفنون الرسم الإسلامي، كما أنها تجسيد لأعمال فنية توجد دائمًا عند منتصف الطريق بين ما هو معماري وما هو طبيعي [24].

لاحظ أعضاء البعثة العلمية الألمانية الإسبانية خلال أعمال التنقيب أن الأقواس التي تتصل عبرها قاعة الاستقبال الكبرى بالخارج تكشف عن بعض جوانب فكر النخبة في حاضرة قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. كانت هذه الأقواس تفتح مجال الرؤية على الحوض المائي الكبير من جهة الشمال، وتفتحه من جهة الجنوب في اتجاه مدرجات المنتزه ونهر الوادي الكبير في البعيد. الحفريات التي سمحت بالكشف عن أسس بناء القاعة أوحت بتطبيق مبدأ هندسي عند وضع هذه الأقواس، بحيث أن عرضها يطابق بالضبط قاعدة مثلث متساوي الأضلاع تلامس قمته الأقواس المقابلة، تلك التي توجد في الجهة الأخرى من القاعة. كما نعلم، فإن زوايا مثلث متساوي الأضلاع تتساوى مع بعضها في ستين درجة، وهو معطى يطابق زاوية النظر القصوى لشخص ثابت في مكانه. بناء على ذلك، يلزم أن يكون المهندس أو الرسام أو المصور قد أخذ في الحسبان مسبقًا هذا المعطى عند قيامه بتهيئة مجال الرؤية [25].

هل كان الفنيون الذين أشرفوا على بناء قصر منية الرمانية على علم بهذه المسألة؟ في بلاط القاهرة، حيث كان يشتغل، عمل الرياضي والفلكي أبو علي الحسن بن الحسن ابن الهيثم (354 – 430 هـ / 965 – 1040 م) على صياغة هذا المبدأ البصري في كتابه الذائع الصيت «كتاب المناظر». ما قام به هذا العالم العربي الذي يعد رائد الدراسات العلمية للرؤية، من قطع مع المفهوم القديم للبصريات، لازال ينظر إليه إلى اليوم بصفته إنجازًا ضخمًا، بل وثورة علمية حقيقية. مع ذلك، فإن «كتاب المناظر» الذي انتشر بشكل واسع في أرجاء العالم الإسلامي وترجم إلى اللاتينية وعليه استند العلماء الأوربيون في أبحاثهم، وهو الذي هيئ لهم الظروف المناسبة لابتكار مبدأ «المنظور» في عصر النهضة، تم تأليفه عشرات السنين بعد ابتكار المنتزهات التي نتحدث عنها [26].



تشكل النافورات وأحواض المياه أحد ثوابت المنتزهات المشرقية، كما يتجلى ذلك في حدائق الترويح، وفي داخل المنازل. يبدو أن حوض منية الرمانية كان أحد أكبر الأحواض المائية، التي لم يوجد مثلها في العالم الإسلامي إلى ذلك الوقت. كان في الإمكان السير فوق سطح المياه، وذلك بفضل وجود أعمدة تمتد داخل الحوض تتصل ببعضها بأقواس فوقها صفائح من حجارة تؤدي إلى مدخل قاعة الاستقبال.



كون أن أقواس قاعة الاستقبال في منية الرمانية تسمح بالتمتع بزاوية الرؤية القصوى 60 درجة (على اليسار) عندما يكون المرء بالجانب الآخر لقاعة الاستقبال يوحي بأن قوانين الرؤية التي هي من اكتشافات الحضارة العربية الإسلامية، طبقت في المعمار الإسلامي، أو على الأقل عمل مهندسو قصر الرمانية على تطبيقها.

لا يستبعد أن يكون ابن الهيثم قد استفاد من الأفكار التي كانت رائجة عند العلماء المسلمين في عصره، مثل العالم الرياضي القرطبي أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (338-398 هـ/ 950 – 1007 م) وهو عالم كبير عرف بباعه الطويل في علمي المساحة والتثليث. حتى ولو لم يكن الأمر يتعلق إلا بتخمين، فإن الملاحظات التي تم تسجيلها في منية الرمانية أوحت للفريق العلمي بأن ابن الهيثم قد لا يكون هو أول من تعرف على قانون انحصار النظر عند الإنسان: أقواس القاعة تعطي للعين نطاقًا ثابتًا لمشاهدة المنظر[27]. ومن ثم فإن هذا التنظيم لا يمكن أن يكون عرضيًا، بل إن في الأمر ما يوحي بأنه اختيار واعي من قبل المهندس المعماري الذي أشرف على تشييد قصر منية الرمانية[28].

في كتابه فلورانسا وبغداد، قصة البصر بين الغرب والشرق، يطرح مؤرخ الفنون الألماني هانز بيلتينغ فكرة مفادها أن العالم الإسلامي وضع مبادئ البصريات بشكل سليم، ولكنه لم يطبقها في مجال الفن، لأن مثل ذلك كان يقتضي، على رأيه، افتراض وجود مشاهد في تصور الفضاء، وهو تصور ذهني يعتبره مؤرخ الفن الألماني سمة مميزة لعصر النهضة الأوروبية مرتبطة بالمفهوم الجديد للإنسان الذي بدأ في الانتشار آنذاك[29]. من دون وجود مشاهد مفترض في قاعة الاستقبال يكون بصره موجهًا نحو الخارج، يقول فيليكس أرنولد، فإن تناسب أقواس قاعة الاستقبال في قصر منية الرمانية لا يمكن تفسيره، بالنظر إلى أنه لا يمكن الإحاطة بمجال الرؤية بشكل دقيق إلا انطلاقًا من نقطة واحدة[30].

يميل فيليكس أرنولد إلى الاعتقاد بأن متنزه منية الرمانية قد يكون تجسيدًا لواحدة من القيم التي أصبغت على الفرد في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وانطلاقًا من هذه الفرضية يتساءل بهدف معرفة ما إذا كان في الإمكان القول إن نوعًا من النهضة الإسلامية، قد يكون وجد نقطة انطلاقه في قرطبة؟ لا يستبعد عالم الآثار الألماني مثل هذا الاستنتاج، خاصة وأن المبادئ الهندسية التي طبقت في قرطبة، كما يقول، ستطبق من جديد، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، في قصر الجعفرية بسرقسطة وفي قصبة ألميرية، حيث تستقطب الأقواس النظر من الداخل في اتجاه المتنزهات[31].

الظروف السياسية، بشكل خاص تلك التي نشأت مع أجواء الحروب المتوالية، قد تكون أعاقت، كما يقول، تطور هذه النهضة الإسلامية الوليدة، خاصة وأنه في 399 هـ/ 1009 م، ستزداد حدة الصراعات العرقية بين السكان الأصليين والمهاجرين الذين جاؤوا من إفريقيا الشمالية والرقيق الذين استقدموا من أوروبا، وانتهى ذلك باندلاع فتنة كبيرة في حاضرة قرطبة ترتب عنها خراب أجزاء واسعة من المدينة وهجرها عدد كبير من سكانها بسبب هذه الأحداث. قصر منية الرمانية، لم يسلم بدوره من آثار هذه الفتنة، بحيث التهمته النيران عن آخره وحولته إلى رماد. إثر ذلك، سيهاجر العلماء والفنانون ويغادرون قرطبة بحثًا عن أماكن آمنة وجدوها في بلاطات ممالك استقلت بذاتها عن الحكم المركزي.

الهوامش:

1. Felix Arnold : Des jardins mauresques à la renaissance, Pour la science, N° 426, avril 2013.
2. أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج 1، ص466-479. ينظر كذلك كتاب الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان جمع وترتيب وشرح الدكتور محمد رضوان الداية، نادي التراث، أبوظبي، 2003.
3. Felix Arnold, Des jardins mauresques à la renaissance, op. cit. pp. 28-34.
4. D. Fairchild Ruggles, Gardens, Landscape, and Vision in the Palaces of Islamic Spain, Pennsylvania State University Press, 2000, pp. 46.
5. Felix Arnold, Alberto Canto García, Antonio Vallejo Triano , Madinat al-Zahra, in Revista de difusión científica del Conjunto Arqueológico N° 6, 2008, pp. 181-204.
6. Felix Arnold, Alberto Canto García, Antonio Vallejo Triano , Madinat al-Zahra, op. cit. pp. 181-204.
7. Felix Arnold, Alberto Canto García, A. Vallejo Triano, Das islamische Landgut ar-Rumaniya bei Córdoba, op. cit. pp. 503-523.
8. Felix Arnold, Alberto Canto García, Antonio Vallejo , La Almunia de al-Rummaniyya. Resultados de una documentación arquitectónica, op. cit. pp. 181-204.
9. Felix Arnold, Alberto Canto García, A. Vallejo Triano , Das islamische Landgut ar-Rumaniya bei Córdoba, op. cit. pp. 503-523.
10. خصص ابن حيان في كتاب المقتبس في أخبار بلاد الأندلس تحقيق عبد الرحمن حجي بيروت 1963، ص106 – 107، وصفًا دقيقًا لهذه المنية نورده فيما يلي للفائدة: وفي النصف من شعبان منها (أي سنة 362 هـ / 972 م) اقترب الفتى الكبير دري الأصغر الخازن الصقلبي إلى الخليفة مولاه بإهدائه إليه منيته الغراء بوادي الرمان للصقها به، وكانت لفتى له وعروس جنته ومستفرغ نفقته حتى أبلغ منها الغاية التي ناغاها أكثر من حمى مولاه، وقصت له مقصًا من هواه صبر ريثما أيام نزهه ويقسم لها من زمانه، تجري لها هدايا الفتى مصرته فزفها عند استوائها واكتمالها هدية إليه بجميع ما كان له فيها داخلها وخارجها من البساتين المغلة والأرضين المزدرعة، وما كان له بها من عبيد وأمة وثور ودابة، اشتمل ذلك على أعداد متوالية وأموال وافرة ونعم مؤثلة تقبلها منه الخليفة مولاه وأبدى لها مسرة، وتقدم إليه بإقراره عليها وكيلًا ومسددًا إلى نظر منه فيها، كما لا يصرم شيء من عمر لها فصل بملكه، وسأل الخليفة إثر ذلك أن يشرفه بحضور دعوة يعدها له فيها، فنهض بها بالأمير هشام ولده وعياله، فأسعفه الخليفة بملكه، وركب إليه من قصر الزهراء إلى هذه المنية الرمانية المهداة له، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان منها، فأصحب الأمير هشام ولده والعيال، وقدموا للمبيت فيها ليلته فأقيم له داخلها بيوت الدثام وضربت حولها الفساطيط والأبنية لمن معها من الخدم والغلمان، فنزلها عامة يومه ذلك عاكفًا على نعيم لا يمادى ولهو لا يطهر ممن عز لم يطويه، وأفاض رب الدعوة على جميع من حضره ... من صنوف الأطعمة العربية وأنواع الفواكه ... فأجمعوا أنهم لم يشاهدوا في المتنزهات السلطانية أكمل ولا أعجب ولا أعم من صنيع دري هذا.
11. Felix Arnold, Alberto Canto García, A. Vallejo Triano , Das islamische Landgut ar-Rumaniya bei Córdoba, op. cit. pp. 503-523.
12. ينظر بهذا الخصوص بحث «النبات بالأندلس»، الدكتور محمد حمام، مجلة التاريخ العربي، عدد 17، 2001، ص 7-40.
13. Felix Arnold, Alberto Canto García, A. Vallejo Triano , Das islamische Landgut ar-Rumaniya bei Córdoba, op. cit. pp. 503-523.
14. نفسه، ص 503-532.
15. Felix Arnold, Des jardins mauresques à la renaissance, op. cit. pp. 28-34.
16. نفسه، ص 28-34.
17. نفسه، ص 28 – 34.
18. Felix Arnold, Al-Rummaniya, Ein islamischer Landsitz bei Córdoba, op. cit. pp. 215-239.
19. نفسه ص 215-239.
20. نفسه ص 215-239.
21. Felix Arnaud : Des jardins mauresques à la renaissance, op. cit. pp. 28-34.
22. الدكتور محمد حمام، النبات بالأندلس سبق ذكره، ص 7-40.
23. نفسه، ص 7-40.
24. Felix Arnold : Des jardins mauresques à la renaissance, op. cit. pp. 28-34.
25. Felix Arnold : Al-Rummaniya, Ein islamischer Landsitz bei Córdoba, op. cit. pp. 215-239.
26. نفسه، ص 215-239.
27. نفسه، ص 215-239.
28. نفسه، ص 215-239.
29. Hans Belting , Florence et Bagdad. Une histoire du regard entre Occident et Orient, op. cit. p. 115.
30. Felix Arnold, Al-Rummaniya, Ein islamischer Landsitz bei Córdoba, op. cit. pp. 28-34.
31. نفسه، ص 2015-239.

المراجع:

1. Felix Arnold, Al-Rummaniya. Ein islamischer Landsitz bei Córdoba, in Madrider Beiträge, vol. 34, 2014, pp. 215-239.
2. Felix Arnold , Des jardins mauresques à la renaissance, in Pour la science, N° 426, avril 2013, pp. 28-34.
3. Hans Belting , Florence et Bagdad. Une histoire du regard entre Occident et Orient, Paris, Gallimard 2012.
4. D. Fairchild Ruggles, Gardens, Landscape, and Vision in the Palaces of Islamic Spain, Pennsylvania State University Press, 2000.
5. M. Barrucand et A. Bednorz , Architecture maure en Andalousie, Paris, Taschen Editeur, 2007.
6. Felix Arnold, Alberto Canto García, A. Vallejo Triano , Das islamische Landgut ar-Rumaniya bei Córdoba, in Madrider Mitteilungen vol. 50, 2009, 503-523.
7. Felix Arnold, Alberto Canto García, Antonio Vallejo Triano , Madinat al-Zahra, in Revista de difusión científica del Conjunto Arqueológico N° 6, 2008, pp. 181-204.
8. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968.
9. محمد رضوان الداية، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، جمع وترتيب وشرح، نادي التراث، أبوظبي، 2003.
10. محمد حمام (الدكتور)، النبات بالأندلس، مجلة التاريخ العربي، عدد 17، 2001، ص 7 – 40.
11. إقبال محسن أحمد الدراوي (الدكتور)، جنبات (جنى) الأندلس، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الرابع 2011 ص 133 – 159.

من أعلام الفكر الإسلامي

الشيخ عبدالرحمن الدوسري
رحمه الله
قاهر الماسونية

1332 - 1399 هـ



صبري بن سلامة شاهين

الرياض

هو الشيخ الجليل عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر، من قبيلة الدواسر، ولد الشيخ عبد الرحمن في مدينة البحرين، ثم انتقل مع والده عند رجوعه إلى الكويت .وعاش بها معظم وقته، وتلقى فيها تعليمه الأولي، ثم انتقلوا إلى الرياض وبقي فيها بقية حياته.

تلقى الشيخ تعليمه في المدرسة المباركية الأهلية القائمة على مناهج العلماء وعلى طريقة المتقدمين من أهل العلم، فحفظ بها كثيرًا من المتون العلمية، وكثيرًا من قصائد الشعر.

وكان الشيخ حريصًا على طلب العلم، مما جعله واسع الاطلاع ملمًّا بكثير من العلوم الشرعية، وعلى دراية بمؤامرات الأعداء، وكان أكثر ما يلفت نظره وجود الاختلافات والنزاعات التي أنشأها الاستعمار في ذلك الوقت، فقاده ذلك الى التوسع في أصول المسائل التي كثر فيها النزاع، فحصل له علم غزير ومعرفة شاملة، بدت في كثير من مقالاته ومحاضراته ومؤلفاته.

ولقد نشأ الشيخ نشأة علمية رصينة على منهج السلف الصحيح والصريح، مما جعله على قواعد راسخة وأصول سليمة في منهجه الفكري، وجمع بين علوم الشريعة والثقافة المعاصرة باطلاعه وصلته المباشرة بأحداث عصره.

كان كأنما يغرف من بحر، فقد وهبه الله ذاكرة عجيبة، فلا يكاد ينتهي من قراءة بحث، حتى يحفظه عن ظهر قلب، وعلومه لم تكن قاصرة على جانب من الجوانب، فهو مفسر، وفقيه، ومحدث، وعنده اطلاع واسع على مخططات أعداء الإسلام، فتراه يحدثك عن دعاة العلمانية، وتاريخهم وأفكارهم، ويرد عليهم، ثم ينتقل بك إلى الماسونية واليهودية، وعن أوكارها في العالم الإسلامي وأهدافها، ثم يحدثك عن الشيوعية والشيوعيين، وكتبهم وأباطيلهم وفضائحهم، ويكشف زيف الفلاسفة الوجوديين كـ (جان بول سارتر) وأمثاله.

تمتع الشيخ بصفات شخصية فريدة:

❋ منها: سرعة الحفظ:

فقد كان ذا حافظة سريعة وذهن وقّاد، ساعده على سرعة حفظ القرآن لم يجمع معه غيره، فأتم حفظه في شهرين فقط، ولا ريب أن ذلك موهبة إلهية وأثر الإخلاص والتقوى لله تعالى فيما نحسبه.

❋ ومنها: الفراسة الصادقة:

فقد كان الشيخ من أثر علمه وتقواه وغيرته على دين الله، وحماسته لنصرة الشريعة، ذا فراسة صادقة صائبة في كثير من آرائه وتطلعاته، فكان يحذر من كثير من الأمور قبل وقوعها، وكان مما قاله في بعض محاضراته: أنه لما حصل ما حصل من احتلال اليهود لفلسطين، ووجود دعاة القومية، الذين كانوا يعتقدون: إنهم سوف يلغون إسرائيل من الخارطة، وأنهم سوف يلقون اليهود في البحر، وسوف



الشيخ عبد الرحمن الدوسري

يحـررون العـالم العربي، وأنهـم، وأنهم. كما كـان زعيمهم الأكبر الذي كـان الشيخ الدوسري يسميـه: العبد الخاسر.

كـان الشيخ يقول عـن ذلـك: إن حصلت الحـرب فسيهزم القوم، وتضيع الجـولان وسيناء والضفة الغربية، وتكون بعد ذلك مفاوضات تسبق إليها مصر.

وكان الأمـر كما قال الشيخ في ذلك الوقت المتقدم، وكانت لـه الكثير من المقالات التي ينبّه فيهـا على أخطار الماسونية والعلمانيـة، في الوقت الذي لم يكن أحد يتنبـه لذلك، ولا يدركه، ولا يتصور عواقبه، وما قد يترتب عليه.

* ومنها: الشجاعة في الدفاع عن الحق:

فقـد اشتهر بالجرأة والصراحة، فكانت لا تأخذه في الحق لومـة لائـم، ولا يخشـى أن ينكر منكرًا رآه أو سمع عنه، ولا يسكت عن ظلم علم به، فقد كان قلبـه جريئًا قويًّا، ولسانه صارمًـا، لا يقـول إلا حقًّا وصدقًـا، فمن مواقفـه الشجاعة التـي تسطر بمـداد من الذهب: أنه صلـى في الجامع الكبير بالرياض، وبعـد الصـلاة قام ليعظ المصلين، فتكلم عن خطورة المحافل الماسونية، وتلاعبهـا بالمسلمين، وخطورتها على العالم الإسلامي، ثم ركّز على واضعي المناهج التعليمية وتلاعبهـم فيها، وحـذر من أخطار ما يضعـه العلمانيون في مناهـج التعليم، وحـذر من تسلل ذلك ونبـه عليه، وكان من بـين الحضور الملك الصالـح، الملك فيصـل آل سعود رحمه الله، وكان الشيخ يعلم بوجوده، فتكلم بهذا الكلام بين يديه، والذي جعله يتكلم بذلك أمام الملك لما يعلمه عن جلالة الملك فيصـل من حبه لدينه وحرصه على نقاء الشريعة وسلامتها من الشوائب والدسائس، وعلى سلامة المملكة من المفسدين، فمـا كان أن انتهى الشيخ من كلمته هـذه إلا والملك رضي به وعنـه، وتمنى لـه التوفيق، وفي إثـر ذلك أمـر الملك فيصل رحمـه الله وزيـر المعـارف: أن يكـوّن لجنة لبحث المناهج، وحـذف ما يتعارض مع الإسلام، فغُيّرت المناهج التربوية في أنحـاء السعودية بفضل الله، ثم بفضـل الملك فيصل، أخذًا بنصيحـة الشيخ الدوسـري، مع العلم أن المناهج التعليمية كان يُؤتَى بها من مصر مطبوعة جاهزة، وكان فيها ما فيها، حتى يسر الله تغييرها.

وكـان الشيخ عبد الله العقيل وقـد عايش الشيخ في الكويت يقول عـن الشيـخ الدوسـري: "كـان فيـه من قـوة الحجة والصراحـة في الحـق مـا يُسْقِط دعـاوى المجادلين، ويرهب المبطلين، حيث كان الكثيرون يشفقون عليه من هذه الجرأة، ولكنه لا يزداد إلا صدعًا بالحق، إعلاء لكلمة الدين، وتعرية لسَوْءات الباطل، وكشفًـا لعورات الفساد وتعرية للمفسدين والهدّامين.

ولا أنسـى مواقفـه الصريحـة الصلبـة أمام دعـاة الأخذ بالقوانـين الوضعيـة والأنظمـة الجاهلية، فقد كـان الشيخ كالسيـف البـاتر، هو الوحيد في وقته الذي كان منبّهًا أعظم التنبُّـه وأكبره، لدسائـس الماسونيـة والعلمانيـة، ولقضية القوانين الوضعية والأحوال الشخصية".

وقـد كان له موقف قوي في نقد دستور الكويت، فنقده وبين مخالفتـه للشريعـة، وألّف في ذلك مـع الشيخ محمد النوري كتابًـا في سبعة أجزاء (الحـق أحق أن يتبع)، فنّدوا فيه هذا القانون، وبيّنوا فيه المواد المخالفة لشريعة الله، وكان هو من أشـد الناس على دعـاة القومية العربية، التـي كانت النغمة السائـدة في ذلك الوقت، فقد كان ينقدها، وينقد زعماءها، بل يصفهم بأقذع الأوصاف في غير ما ضعف ولا مواربة.

* ومنها: العزة والاستعلاء:

فقد كـان الشيخ متميزًا متفردًا في هذا الجانب، لا يرضى بالـذل مطلقًا، ولا يمكـن أن يُداهن أو يجامـل في دين الله، مهمـا كانت الأمـور والأحوال والظـروف، ولذلـك قال عن هذا الخلـق المهم في تفسيره: "وما أحرى المسلمين لا سيّما علماؤهـم أن يقفوا متدبّرين متّعظـين، ليعلموا أن العزة بيد الله وحـده، فلا يطلبون من غـيره من البشر ممـا يضطرهم إلى تقليـده ومحاكاتـه وتعظيمـه تعظيمًـا يصـل إلى حـد القداسـة، يتلقون منـه المناهج والقوانين، وحـذر العلماء أن يكونـوا عبيدًا للساسـة، فإن العزة والملك بيـد الله وحده، لا بيـد أحد من البشـر، فإن رامه أحد من غـير هذا الطريق، فلن يجني إلا الذل والخـزي، فليحذر العلمـاء من التزلف والنفاق والأكل بدينهم".

* ومنها: سعة اطلاعه بالمذاهب المخالفة للإسلام:

قال الشيـخ العقيل: كنا نجتمع في بعض المجالس مع بعض أهـل الاقتصاد وأهل السياسة، فـإذا خاضوا في مواضيعها، فتكلـم الشيخ، انبهروا من علمه بعلومهـم، لظنهم كونه من علمـاء الشريعـة والفقه فحسب، فكان يطلـع على كل شيء، وكان يطلع على التوراة والإنجيل لينقض كلامهم.

وتميز الشيخ بملامـح منهجية فكرية صافية، ففي مسائل

> "كان الشيخ يهتم بعلاج أوضاع المسلمين ومجابهة أعدائهم ويركز على حقيقة العقيدة ومفهومها الصحيح، ويهتم بشمول العقيدة لسائر جوانب الحياة، وخاض في دحض الشبهات ونبذ الخرافات ومحاربة البدع والشركيات معارك ضارية مع العلمانيين والماسونيين والمنافقين الذين يسيرون في ركاب الطغاة"

العقيدة.

فقد كان الشيخ يهتم بصلاح أوضاع المسلمين ومجابهة أعدائهم، ويركّز على حقيقة العقيدة ومفهومها الصحيح، ويهتم بشمول العقيدة لسائر جوانب الحياة، وخاض في دحض الشبهات ونبذ الخرافات ومحاربة البدع والشركيات معارك ضارية مع العلمانيين والماسونيين والمنافقين الذين يسيرون في ركاب الطغاة، فكتب في ذلك كتابات نفيسة، كان لها في وقتها وما زال أثر كبير، فقد كانت أكثر البلاد العربية واقعة تحت سلطان الاحتلال الأجنبي، وكان هناك دعاة القومية العربية والاشتراكية الذين كانوا يبيعون قضايا الأمة بثمن بخس دراهم معدودة أو مناصب وهمية، وكانت سيطرة الماسونية التي تنظّر لهذه المذاهب الوضعية، وتضع لها القواعد والأصول، وكانت هناك بدايات العلمانية التي كانت تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وكانت قضية العقيدة هي أن يكون الحكم بشرع الله في كل مناحي الحياة كانت لدى جموع غفيرة قضية مستهجنة غريبة، وكانت قضية خطيرة، ومع ذلك حملها الشيخ حملاً قويًا جريئًا.

فكان يتعامل مع قضية العقيدة، لأنها ليست قضية ساكنة جامدة، وليست قضية علمية نظرية، أو جزئية فرعية، بل هي عقيدة حركية عملية شاملة لجميع مناحي الحياة، ولذلك تكلم في هذه المجالات بكلام نفيس رائع، فألف كتابه (الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة)، و(الحق أحق أن يتبع)؛ وبيّن أن القوانين الوضعية والقبول بها وتحكيمها ولو في جزء يسير، هو ضرب من هدم العقيدة، وخلل في التوحيد، بل هو نوع من الكفر والشرك، وكان هذا هو ديدن العلماء الكبار في وقته وعصره، كما صنع الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة سابقًا، عندما ألّف رسالته (عن الحكم بالقوانين الوضعية)، وبين فيها أن الحكم بالقوانين الوضعية والرضى بها وتقديمها على حكم الله عز وجل، هو لون من ألوان الكفر والشرك بالله، ويقول الشيخ الدوسري في قضية القرآن وما تضمنه من المنهج العقدي:

"إن الله جعله المنهج المتين لعباده في الأرض، ليكون منهاجًا لسيرهم في جميع ميادين الحياة، ومرجعًا وحيدًا لهم في سائر ما ينوبهم من ذلك، لا ليبقى رمزًا في الخيال مجمّدًا في الذهن، أو محجورًا في مكان، أو مقصورًا في شيء دون شيء، والذين يريدون حصره في شيء من ذلك من المثقفين ثقافة عصرية مادية حسب مخطط أعداء الإسلام قد سلكوا أقبح مسالك الشرك في تنقيص الله، وبخسهم حقه، وانتزاعهم سلطانه، وتأليه أنفسهم من دونه، بجعل الحاكمية لغيره من البشر، الذين يريدون أن تكون لهم الخيرة من أمرهم".

هذا موقف الشيخ الذي كان ضليعًا في التفسير، بارعًا في الفقه، نابغة في الحديث، بحرًا واسعًا في الثقافة المعاصرة، ويقول في شمول العقيدة: "يجب أن تسيطر عبودية الله على العابد الصادق في سائر أنحاء سلوكه، في تصرفه بمائه، وفي تربيته لعياله، وفي معاملته مع الناس في الشارع والمتجر والمؤسسة والدائرة، وفي جميع واقعيات الحياة من شؤونه الاجتماعية، ونظرته السياسية، ومعاملاته الاقتصادية،

> وكان الشيخ يبين أن العقيدة أساس الولاء والبراء وأساس الوحدة والترابط وأساس الانفصام والانقطاع

وسلوكه في الحكم: إن كان حاكمًا أو منتظمًا في دواوين الحكم".

هذه هي عباراته تجد فيها قوة وجلاء في قضية الحكم بما أنزل الله، وأنه ركن ركين من أركان التوحيد، ومتعلق أكبر تعلق بالألوهية، فيقول: "عبودية الله تقتضي ألوهيته في الأرض كألوهيته في السماء، فتخضع القلوب لسلطانه، وتنقاد الجوارح لطاعته، وتمتلئ القلوب من محبته وتعظيمه، وتندفع جميع القوى والطاقات في نصرة دينه، وجعل الحاكمية له وحده، وتكريس كل الجهود لانتزاعها من كل ظالم وطاغوت، يريد الاستبداد بها وفق أهوائه".

ومما كان يوضّحه: أن العقيدة ليس لها تدرج وليس فيها تمييع، لذلك قال في تفسيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "لم يكن من سيرته وطريقته التدرّج في العقيدة، بل عكس ذلك طريقته الصرامة التامة فيها، وحادثة هدم صنم اللات مشهورة، حيث طلبوا منه إمهالهم شهرًا، فلم يمهلهم ولا ساعة، وكان قد ربّى أمته على ذلك، بحيث كان الرجل إذا أسلم خلع على عتبة إسلامه جميع أحوال الجاهلية، وصرامة النبي صلى الله عليه وسلم معروفة، وقد هدم مسجد الضرار وأحرقه بكل سرعة ودون مبالاة بملابسات القضية، لأن رسالته العظمى توجب عليه أن يكون مسيرًا لا مسايرًا صريحًا لا مداهنًا، قويًا صارمًا، لا خائنًا محابيًا".

كما يقول بعض الناس: أن نساير العصر، وأن نتكيّف مع الواقع.

وكان الشيخ يبين أن العقيدة أساس الولاء والبراء، وأساس الوحدة والترابط، وأساس الانفصام والانقطاع، فقال: "وهذه الآية صريحة في قطع جميع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والإيمان، فهي تقطع جميع وسائل القربى إذا انقطعت وشيجة العقيدة، وتسقط جميع الاعتبارات المادية والأرضية، إن وشيجة العقيدة تفصل بين الوالد وولده وبين الزوج وزوجته، وتفصل بين جيل من الأمة الواحدة وجيل آخر إذا خالف أحدهما الآخر في العقيدة، فحزب الشرك شيء وحزب الإسلام شيء آخر، ولا صلة بينهما أبدًا، ولا قربى ولا وشيجة مع اختلال وشيجة العقيدة، إن الأسرة الإسلامية ليست مجرد آباء وأبناء وإخوان وأعمام إذا اختلفوا في العقيدة، وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين، وإنما هي مجموعة من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأوطانهم، وهذا هو التصور الإيماني المنبثق من وحي الله الكريم".

وبين الشيخ معنى الجاهلية المذكورة في القرآن ردًّا على من يقصرونها على الحقبة الزمنية التي سبقت الرسالة المحمدية، فقال: "إن المسلم الحق لا بد أن يعرف أن الجاهلية ليست صورة معينة لفترة تاريخية قد مضت وانتهت بلا رجعة، وليست مقابل ما يسمى بالعلم والمعارف والرقي والحضارة وقال في آخر كلامه: وبهذا التعريف الظاهر المنضبط الصحيح يتضح لعبيد الله أن لكل قوم في زمان جاهلية".

فالجملة من أهم نقاطه المنهجية الفكرية تركيزه الصحيح والواعي على قضية العقيدة، لتتحول إلى أمر مهيمن على حياة المسلمين كلها، ولتتحول إلى صورة حية متحركة في واقعهم، وليكونوا بها مواجهين لأعداء الإسلام، وعارفين لجاهليتهم وشركياتهم، وما عليه بعض المسلمين مما وافقوا فيه أهل الكفر في بعض جوانب حياتهم.

وكان رحمه الله شديد التأثر بمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وبدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

والوعي بفقه الواقع المعاصر، كان من أبرز السمات المنهجية الواضحة في سيرة الشيخ؛ فإنه على الرغم من عنايته بالوحيين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واهتماماته بقضايا العقيدة والتوحيد واعتنائه على النصوص الشرعية في استنباط الأحكام الفقهية، كان يضم إلى ذلك معرفة بالواقع وربط نصوص القرآن والسنة بالوقائع المعاصرة، وكان من الذين تفردوا وتميزوا، فتقدم تقدمًا بيّنًا على كثير من علماء عصره، فكشف خطورة الماسونية والعلمانية قبل أن يكون لهما ذلك الوضوح وتلك الخطورة عند كثير من الناس، بل كان كثير من المسلمين مغترّين بها، وغير مدركين لخطرها.

وكان يربط التفسير بالواقع المعاصر، وينزّل الآيات على ما يجدّ في حياة المسلمين.

وألف في الوعي المعاصر ما يبين الانحرافات المعاصرة، ومن ذلك كتابه الذي ألفه عن المنافقين، بيّن فيه صفات المنافقين وربطها بنفاق العلمانيين والاشتراكيين والقوميين، الذين يأخذون جزءًا من الدين ويتركون جزءًا، ويريدون أن يجعلوا في الإسلام اشتراكية، وينادون بوحدة الأديان، وكان يرد على مقالاتهم وما ينشرونه في صحفهم ومجلاتهم، وألف كتبًا في الرد عليهم، وقد فصل في ذلك تفصيلاً واسعًا وبين مخططات اليهودية، وما أنشأته من المذاهب الوضعية، فكان في هذا الباب نجمًا ساطعًا وعلمًا بارزًا.

وكان ذا أمانة علمية، يعتني بالأدلة الصحيحة، فإذا تكلم تكلم بأمانة ومتانة وجزالة، وكان يعرف في المسألة كل ما قيل فيها، وما يعترض على قوله فيها، وما قاله المخالفون وحججهم فيرد عليهم بحجج قوية وبراهين ساطعة كل ذلك مكنه من مجادلة ومناظرة المخالفين، فكان يخشاه العلمانيون والقوميون والإشتراكيون؛ لأنه كان ينقدهم بأصول مذاهبهم، وينقد نظرياتهم ويهدمها بعزوها إلى الأصول والواقع والبحوث التاريخية، فيكشف زيف باطلهم.

وكان شديد التركيز على توضيح المفاهيم

لأن كثيرًا من المفاهيم والمصطلحات كان حولها الكثير من الغلط والتبديل والتزوير، والاختلافات كثيرة، وإشكالات غامضة غابت على الكثير، فكان ينقد الباطل ويكشف زيفه.

وما وقع فيه المسلمون إلا بسبب الهجمة الاستعمارية، وضعف المسلمين وانهزامهم الروحي والفكري، وتأثرهم وانبهارهم بالغرب الملحد، حتى بدأوا يغيرون المفاهيم، فطفقوا يدافعون عن أنفسهم بروح انهزامية، في ظل شيوع المذاهب الوضعية، كل ذلك وصل بالناس أن يقبل أفكارهم، فارتموا في أحضان العلمانية والماسونية ظانين أن دينهم سليم، طالما ما زالوا يقولون: لا إله إلا الله، ويؤدون الشعائر التعبدية، وإن كانت حياتهم كلها قائمة على مناهج أوروبا الكافرة.

فكان حريصًا على توضيح المفاهيم، سيما في الأمور الأساسية في هذا الدين، فألّف كتاب (إرشاد المسلمين إلى فهم الدين). وقال: "فالإسلام ليس مجرد عقيدة حتى يكتفي أهله بإبلاغها، بل إنما هو حركة تحرير عالمية شاملة".

ومن المفاهيم التي كان يركّز عليها: مفهوم الدعوة، ومفهوم الجهاد، ومفهوم الجاهلية، وكان مما قال في الدعوة كلامًا نفيسًا، يبين أن الدعوة نوع من أنواع الجهاد، فقال: "ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا من صبر على تكاليف الدعوة، وما يصيبه في سبيلها من أذى، قد يزيد الصبر عليها على الصبر في الحروب الدامية، فهناك صبر على الغزو الفكري المتنوع، وصبر على مطاردة الطواغيت والدجاجلة، وصبر على أراجيف الحساد والمنافقين، وصبر على الضعف الذي يعتري النفس، وصبر على الضغوط الجاهلية التي يصطدم بها، وصبر على أذى الجهلة والمتمردين، الذين يرمونهم بشتى أنواع التهم والألقاب، وصبر على طول الطريق ومشقته، وصبر على الفترات التي يجول فيها الباطل، ويتسلط على أهل الحق، إلى غير ذلك من أنواع الصبر، الذي يجب أن يتحمله الداعية في سبيل تمكين الدين وكلمة الله في الأرض".

ولم يغفل الشيخ الجانب الروحي، فقد كان يرى أن التربية الروحية من أعظم أسس النهضة الإسلامية، فوضع منهجًا في التفسير تكلم فيه كلامًا مفيدًا جدًّا، عن تصفية ما يرد على الإنسان من الهمسات والخواطر والآراء والنظريات وفساد المقاصد والتعلق بغير الله"، وبيّن "أن من أعظم أسباب الهزيمة ضعف التربية الروحية".

وكان ينهج بنظرية تحليلية، فكان يدرس أصول الإسلام وأركانه وغاياته بنظرة تحليلية، يبين فيها الحكم والمقاصد والغايات، ويبين أنها كلها تشتمل على كل خير، وتدفع كل شر، ويسطر في ذلك كلامًا جميلاً يحتاج إليه المسلمون في هذا العصر.

> من أهم نقاطه المنهجية الفكرية تركيزه الصحيح والواعي على قضية العقيدة، لتتحول إلى أمر مهيمن على حياة المسلمين كلها، ولتتحول إلى صورة حية متحركة في واقعهم، وليكونوا بها مواجهين لأعداء الإسلام، وعارفين لجاهليتهم وشركياتهم، وما عليه بعض المسلمين مما وافقوا فيه أهل الكفر في بعض جوانب حياتهم.

وكان أمامه قضيتان أساسيتان:

أ. استغلال جميع الطاقات: فقد كان ينادي جميع المسلمين بأن يستنفدوا كل طاقاتهم (أموالهم وجهودهم وأوقاتهم)، ويبين أن هذا مهم وضروري في مواجهة أعداء المسلمين.

ب. الدعوة إلى المجابهة الشاملة لأعداء الإسلام، وأنه لا بد أن نحارب أعداء الإسلام بكل ما حاربونا به، فإن الأعداء غزوا الأمة باسم العلم والفن، فلا بد من تكريس الجهود لمقاومة المذاهب الفكرية مقاومة علمية عميقة، حتى تُقدّ كل شيء في وقته.

وكان يعمل على نشر العلم والتوعية والتربية الروحية بإلقاء المحاضرات والندوات والدروس وطباعة الكتب ونشرها وتوزيعها، لما لها من عظيم الأثر والفوائد التي تبين للمسلمين حقيقة أعدائهم وخطورة هذه المناهج كلها.

إن حياة الشيخ ومواقفه وكلماته من أعظم ما يحرك الهمة، فقد كان عالمًا صادقًا عاملاً جريئًا غيورًا، أوصى بكل ما يملك للجمعيات الدعوية ولطباعة الكتب ونشر الإسلام، ولما مرض سافر إلى لندن للعلاج ونصحه الطبيب بالراحة، وكان كثيرًا في أوقات مرضه ما ينسى مواعيد الأطباء، ويتأخر عنها لانشغاله بالدعوة، وانهماكه بشؤون المسلمين.

وصرف جزءًا مهمًّا من وقته في سنينه الأخيرة في كتابة تفسيره للقرآن الذي أسماه: (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)، وأذيع معظمه على شكل حلقات في إذاعة المملكة العربية السعودية، فلقي إقبالاً ورواجًا بين أهل العلم، وفارق الحياة دون أن يتمه.

من أقواله:

"ما أكذب القوميين إذ يقولون: الدين لله والوطن للجميع، الدين لله: صلوا واركعوا وتدروشوا في المسجد، أما الوطن فللجميع: لليهودي والنصراني والدرزي والمجوسي ومن يحكم حكمًا علمانيًا بقوانين وضعية".

"الناصح لله المحب الصادق في محبته لله لا يحب أحدًا من الطواغيت الحاكمين بلا دهم حكمًا علمانيًا كافرًا، يبيحون فيه الخمور والفواحش والزنا حانة الرقص والمراقص والربا والبلاجات العارية والقمار، ويحلون كل ما حرم الله، ويحكمون بغير شريعة الله، هؤلاء لا يجوز للمسلم محبة أي رئيس من رؤسائهم ولا التبرع في سبيلهم حتى لو ادعوا حرب إسرائيل وهم لو حاربوها فهم كاذبون".

"وجعلت أدمغة الشباب منخورة بدعاوى الطواغيت سلاح العدو أقوى، العدو وراءه أمريكا. هذه الكلمات الملعونة تأثر بها العرب، حيث تكونت فيهم هزيمة نفسية واعتذارات للطواغيت المصطلحين مع إسرائيل، بحجة عدم وفرة السلاح".

وكان سماحة الشيخ ابن إبراهيم آل الشيخ، يثني على الشيخ الدوسري، ويطلب منه المشاركة في الحوار ومناقشة المسائل العلمية المطروحة على بساط البحث، وزكاه سماحة الشيخ ابن باز، ومعالي وزير المعارف حسن آل الشيخ، وبعض المشايخ الآخرين.

إن الشيخ الدوسري بحرٌ من العلم لا ساحل له، غيور على حرمات الدين، جسور على مقارعة الطغاة، فكان فريد عصره، ووحيد دهره، ولم يعرف الناس قدره إلا بعد وفاته، إذا وقف خطيبًا انطلق كالسيل المتدفق، يهدر بالعلم، وينثر الدر، ويلهب الحماس، ويستثير المشاعر، ويصدع بالحق.

مؤلفاته:

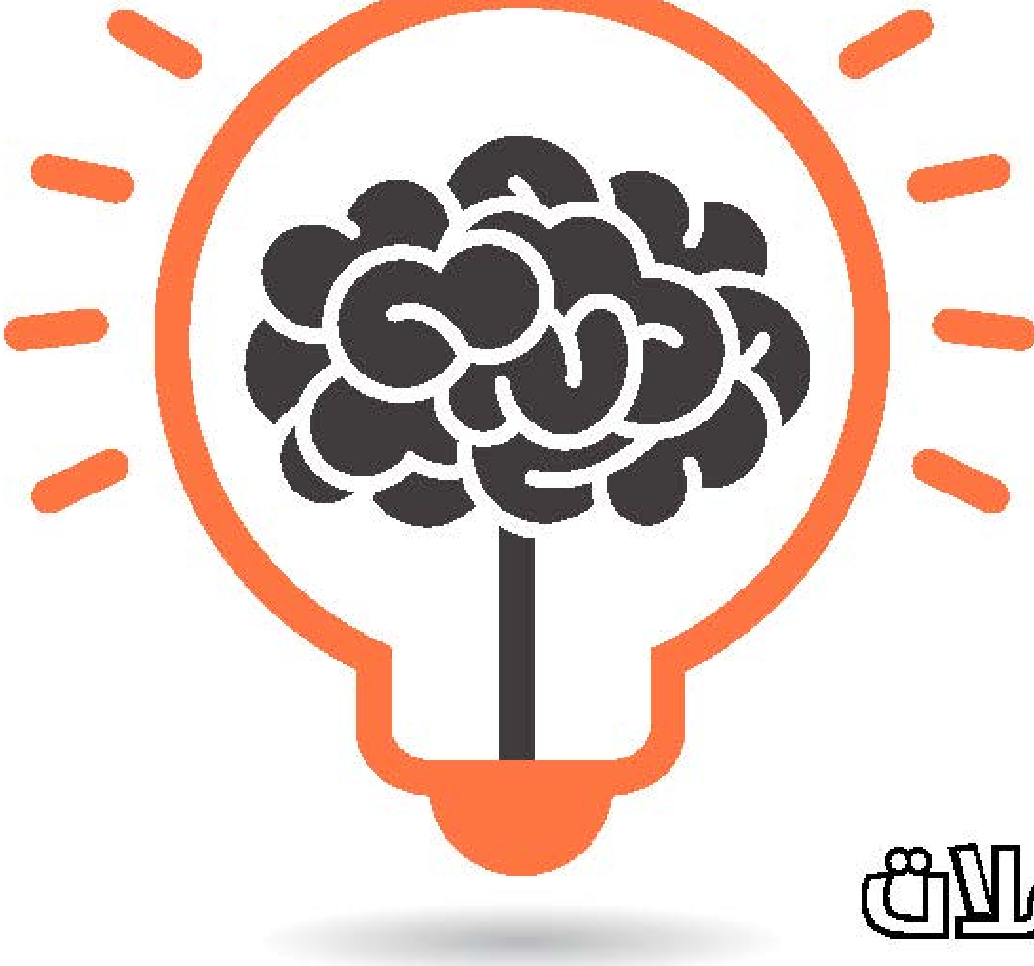
قد بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثين مؤلفًا، منها: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، والجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية (وهي اثنا عشر ألف بيت)، وإيضاح الغوامض من علم الفرائض، والجواب المفيد في الفرق بين الغناء والتجويد، وإرشاد المسلمين إلى فهم حقيقة الدين، ومعارج الوصول إلى علم الأصول، ومشكاة التنوير على شرح الكوكب المنير، وصفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، والإنسان العامل الشريف والحيوان الناطق المخيف، والحق أحق أن يتبع.. إلخ.

كما كانت له جولات ومحاضرات، وشارك في الندوات، فظل هذا شأنه وديدنه حتى بعد أن تكاثرت عليه الأمراض، فقد كان صابرًا، لا يتردد في الاستجابة لإلقاء درس أو محاضرة، بل كثيرًا ما يسعى بنفسه دونما حرج، ليقوم بمهمة الدعوة والتبليغ.

مرضه ووفاته:

مرض رحمه الله، وأثقلته الأمراض، ومع ذلك كان يسافر شمالاً وجنوبًا، ويكتب ويؤلف، ويناقش ويرد، ويناضل ويناظر، حتى خطب خطبة في لندن في المركز الإسلامي، ومات في ذي القعدة سنة 1399 هـ، ودفن في الرياض.

رحم الله الشيخ الفاضل والداعية الجليل فضيلة الشيخ عبدالرحمن الدوسري، وغفر لنا وله وأدخلنا وإياه في عباده الصالحين.



تأملات في التفكير التربوي



خالد بن عبدالعزيز البواردي

مستشار تربوي ومهتم بالفكر التربوي

الرياض

أثنى الله سبحانه وتعالى على التفكّر حينما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190).

وحث على التفكر حينما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الروم: 8).

وله سبحانه الفضل في تعليم البشر حيث قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

التفكُّر هو إعمال العقل إيمانيًا وهو الجانب الإيماني من الفكر، وسيأتي الحديث عنه في الأسطر التالية.

يقال: إن الناس ثلاثة أنواع:

1 - أناس يتحدثون في الأشخاص.

2 - أناس يتحدثون في الأخبار.

3 - أناس يتحدثون في الأفكار.

ماذا أعني بالفكر؟

أعني به التعمُّق في العلم حتى الوصول لدرجة الاستنتاجات 1 - الجديدة. 2 - والمفيدة. 3 - والعميقة في هذا العلم.

التربية العقلية: وهي ترويض عقولنا ثم عقول غيرنا على الحصول على المعرفة، إلى أن نصل إلى مرحلة السعادة في الحصول على هذه المعرفة، ونسعى أن تستمر هذه السعادة.

شرح التعريف/العقل يحتاج أن يُرَوَّض ابتداءً على حب الحصول المعرفي، ثم بعد ذلك نشعر بالسعادة المعرفية، ونسعى أن تستمر هذه السعادة باستمرار الترويض العقلي.

س/ ما علاقة التربية العقلية بالفكر؟

الفكر أرقى درجات التربية العقلية

س/هل للفكر أنواع؟

ج/نعم، فهناك فكر إسلامي وسياسي وتربوي، والفكر التربوي فيه الإيماني (ومنه عبادة التفكُّر)، والعقلي والسلوكي والاجتماعي والعاطفي والترويحي والجسمي.

ومن صور الفكر:

1 - الاستنباط في العلوم الشرعية.

2 - الاختراع في العلوم البحتة.

3 - النظريات الفكرية في العلوم الإنسانية ومن هذه العلوم (علم التربية).

الفكر التربوي: هو التعمق في علم التربية حتى الوصول لاستنتاجات جديدة وعميقة ومفيدة في هذا العلم.

في الفكر و المفكر التربوي

علم التربية يحتوي على:

1 - جانب نظري.

2 - جانب تطبيقي.

3 - جانب فكري: وهذا أهم جانب: لأنه إضافة للعلم وليس مجرد استهلاك له.

لذلك التربية كعلم هي سلوك ونظريات وفكر والفكر أرقاها.

س: من هو المفكِّر التربوي؟

- لا يصل إلى درجة المفكِّر التربوي إلا من تعمَّق في علم التربية، فوصل لدرجة التنظير أي صبح منظِّرًا، له إسهامات جديدة وعميقة ومفيدة في هذا العلم (ولذلك أعتقد أن كل مفكِّر عالم وليس كل عالم مفكِّرًا).

لذلك فالثقافة العامة مهما ارتفعت عند الشخص فهي غير كافية للوصول لفهم ما يقوله المفكِّرون التربويون، فما بالك بالإنتاج الفكري التربوي؟!

إن قراءة الفكر التربوي شيء وإنتاج الفكر التربوي شيء آخر، ولا يعتقد من قرأ عددًا من الكتب الفكرية التربوية أنه سيصبح مفكرًا تربويًا!! فالوصول للإنتاج الفكري التربوي له شروط، منها: أن يكون للشخص ابتداءً ملكة فكرية

> الفلسفة بمعناها الايجابي هي إعمال العقل للوصول لاستنتاجات عميقة وجديدة وهي أرقى من الفكر ولكن الفكر خدمة أصحابه بتوضيحه وتبسيطه لأكبر شريحة ممكنة من المتلقين

تربوية، وأن يبدأ في الفكر التربوي من الصغر وإن يكون يحب هذا النوع من الفكر.

أعتقد أن المفكرين التربويين في العالم الإسلامي نوادر بشكل مجمل: لأسباب منها:

1 - التعليم غير الجيد.

2 - ضعف احترام الفكر التربوي والعلم في العالم الإسلامي في الغالب

3 - النظرة للمفكر التربوي على أنه فيلسوف بالمعنى السلبي، وأنه بعيد عن التيار العام، وما ذاك إلا بسبب ضعف فهم المتلقي، علمًا الفلسفة بمعناها الإيجابي هي إعمال العقل للوصول لاستنتاجات عميقة وجديدة، وهي أرقى من الفكر ولكن الفكر خدمة أصحابه بتوضيحه وتبسيطه لأكبر شريحة ممكنة من المتلقين بينما أصحاب الفلسفة في أبراجهم لم يترجموا فلسفتهم فجعلوها نخبوية.

4 - عدم وجود محاضن للعناية بالمفكرين التربويين.

5 - الاهتمام بأمور دون الفكر والعلم.

من صفات المفكر التربوي:

1 - امتنانه لعلم التربية واحترامه له: لأنه هو من صدَّره بعد الله سبحانه.

2 - كما يقول أستاذي عبدالكريم بكار: إن المفكر لا يوجد لديه طريق يشقه إنما خُطاه هي التي تشق الطريق لمن بعده.

3 - ويقول كذلك: إن الشغف بمعرفة الحقائق من صفات المفكرين العظام.

4 - يُضيف لعلم التربية أطروحات جديدة.

5 - لديه ملكة فكرية تربوية.

6 - له شخصيته الاعتبارية الفكرية المستقلة.

7 - لا يُستلَب من الآخرين غالبًا، ولديه حصانة فكرية.

8 - قد يصل لدرجة راقية فكريًا، وذلك بإخضاع كل شيء في الحياة لتخصصه.

9 - لديه قوة حجة تجعل الآخرين غالبًا يقتنعون بأفكاره.

10 - يثق بعقله ويعتزُّ بإنتاجه الفكري.

11 - لا يأخذ فكرة من غيره دون إشارة لصاحبها.

21 - له القدرة على إيصال فكرته.

للفكر التربوي لغة خاصة تتميز بعمق المدلول والشكل، وهي العبارات الفكرية التربوية.

أذكر هنا بعض جماليات العبارات الفكرية التربوية:

1 - من جماليات العبارات الفكرية أمران نقيضان: الأول: أنها قد تؤخذ على عواهنها شكلاً للحفاظ على جمال صورتها وفهم معناها، والثانية: أنها قد تؤخذ على قوتها وعمقها مضمونًا وشكلاً حتى وإن أدى ذلك لضعف فهم المتلقي لها، وفي كلتا الحالتين لا يتم شرحها، فالعبارات الفكرية مثل المشهد التلفزيوني "هي تشرح نفسها ومن الفشل أن نشرحها"!

2 - قدرة هذه العبارات على الاستمرار لأطول مدة ممكنة والصلاحية لأجيال عديدة وحثها أيضًا على العزة والإباء، لذلك يقول أستاذي عبدالكريم بكار «نعلم أن عظمة الأفكار تكمن في قدرتها على الزخرفة والتحليق، وفي قدرتها على التعبير عن الكرامة الشخصية، والتعبير عن حرية الإدراك والقرار».

3 - عبارات عظيمة في جمل قصيرة.

4 - في الحكم الأولي على العبارات الفكرية التربوية فإنها قد تكون طرفي نقيض في قوتها وذلك بأن تضيف لعلم التربية إضافة عميقة وجديدة ومفيدة، وفي ضعفها وذلك بصعوبة إثباتها وإعضادها بمقولات سابقة لها، وهي هنا عرضة للمعارضة، وهذا طبيعي في العلوم الإنسانية فهي علوم معرَّضة للنقد وقابلة له.

من مزايا الفكر والمفكِّر التربوي:

1 - للمفكر التربوي نظرة استباقية في مجاله.

2 - الفكر التربوي يعطي صاحبه مناعة فكرية ضد التأثر السلبي.

3 - مقاومة الاستلاب السلبي.

4 - يرفع سقف العلم التربوي.

5 - الفكر التربوي يجعل صاحبه يدرك الاتجاهات الفائية في علم التربية.

6 - قد يصل المفكِّر التربوي لدرجة راقية فكريًا، وذلك بإخضاع كل شيء في الحياة لتخصصه.

7 - لدى المفكر التربوي قوة حجة تجعل الآخرين غالبًا يقتنعون بأفكاره.

من سلبيات الفكر والمفكِّر التربوي:

1 - ضعف بعض المفكرين في تقبُّل الخلاف.

2 - التحزب الفكري لدى المفكرين التربويين.

3 - التأثير السلبي لعاطفة المفكر التربوي على عقله.

4 - الغرور الفكري: ومن صوره الاعتداد بالرأي المبالغ فيه، وهذا من أسوأ أنواع الغرور، لأنه غرور في أمر نبيل ألا وهو الفكر والعلم.

قراءة في كتاب "نحو صياغة خطة شاملة لتنمية الشباب"



د. أشرف صالح محمد

جامعة ابن رشد – هولندا

إنّ الأحداث العالمية والإقليمية التي حصلت خلال العقدين الأخيرين شكلت ضغطًا عاليًا لدى فئة الشباب في مسيرته الطبيعية لتحديد هويته وانتمائه. فانتهاء الحرب الباردة واكتساح الليبرالية والعولمة الاقتصادية للعالم عوامل مكنت الولايات المتحدة الأمريكية من التفرّد بالقوة. كما أن أحداث سبتمبر 2001 التي أطلقت شعار "الحرب الاستباقية". كلّ هذه الأحداث أعادت من جديد قضية الهوية والانتماء والثقافة والمواطنة. كقضايا إستراتيجية مصيرية تحمل في طيّاتها تحديات وصعوبات ومخاطر.

ودفع هذا الوضع بالشباب المتميز برفضه للتسلط والإكراه، وبنزعته نحو التمرّد، إلى استبطان هموم الوطن، كما فهمها بقدراته الذاتية دون مصاحبة المثقف أو الفنان أو السياسي، بل بمصاحبة أبطال ونماذج من خارج الوطن وبمخيلة توسّعت لتشمل عالم افتراضي واسع فيه أجوبة صادفت هوى في رغبته الجامحة للتحرر وإثبات الذات.

يعيش الشباب هذه الأحداث العالمية المعقدة والخطيرة في تفاعل مع التحولات الاجتماعية الداخلية المتسمة بغياب فرص العمل وضعف منظومة الحماية الاجتماعية الموجهة إليه وعسر الحياة وتقلّص الحراك الاجتماعي الصاعد واتساع دائرة التهميش، ومرارة الفجوة التكنولوجية والرقمية والمعرفية، مما يشجّع على الهجرة ويضعف الانتماء. في ظل هذه العوامل المغذية للاحتقان، وفي غياب خيارات مفضلة (عمل، زواج، أبناء، نجاح،...) تبرز الخيارات الأسوأ خاصةً لدى المهمشين، فتخلق ردود أفعال سلبية (تأزم، قلق، اكتئاب، انتحار، هجرة، إجرام، انطواء،....إلخ).

ومع تزايد الضغوط الاقتصادية التي واجهتها دول المنطقة، وعدم التمكن من تلبية الاحتياجات الأساسية للشباب في مجالات التعليم والصحة والتكوين والتدريب والتشغيل والسكن والزواج، وبروز مظاهر من الانحراف القيمي والسلوكي لدى شرائح معينة منه، تحت تأثير الجوانب السلبية لثورة المعلومات والاتصالات وفي ظل العولمة وما يكتنفها من المتناقضات والتجاذبات والصراعات الحضارية، مع كل هذه العوامل وبسببها دخل الشباب في منطقتنا العربية في أزمة ذات أبعاد متعددة.

وفي غياب الحل الأمثل لمشكلات الشباب بات حلم الهجرة إلى أوروبا أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، وفي هذه السياقات قد يصبح العنف الذاتي أو الخارجي خيارًا لإثبات الذات وتحقيق الخلاص الفردي كردّة فعل تعيد

الاعتبار لمَن شعر بالإهانة نتيجة عنف نفسي مسلط عليه، أو نتيجة أوضاع مزرية قضت على بقية مكونات "محفظة الخيارات المفضلة اجتماعيًا" بدءًا بالانضباط ووصولاً إلى الصبر.

تأتي أهمية شريحة الشباب لأنهم المرتكز الأساسي لعملية التنمية، فهي تُعدّ الشريحة الأكبر من حيث العدد في المجتمعات العربية حيث توصف هذه المجتمعات بأنها مجتمعات فتية ذات هرم سكاني كبير القاعدة، فعلى الشباب يقع عاتق إنماء المجتمع وصناعة مستقبله. لذا لابد من التأكيد على مشاركتهم الفعالة في بناء المجتمع، فعندما تسود المشاركة المجتمعية، فإن الديمقراطية سوف تتعزز في المجتمع، لأن عملية المشاركة المجتمعية تعزز القدرة على تحمل المسؤولية لدى الشباب، وتدفع إلى ثقافة تقوم على الحوار والعقلانية والثقة بالشباب. لذا فإن التحدي الأكبر بالنسبة لجميع الدول هو كيفية الاستفادة من طاقة هذه الشريحة وإدماجها في مسارات الحياة الاجتماعية والإنتاجية. وعلى الرغم من أهمية هذه الفئة ووعي الحكومات بذلك، إلا أنها تعد من الفئات المجتمعية المهمشة حيث لا توجد إستراتيجيات وسياسات من أجل توظيف طاقات الشباب وتحقيق مشاركتهم في شؤون المجتمع.

إن قلة المراكز الشبابية والجمعيات والمنظمات غير الحكومية التي تسمح للشباب بالمشاركة فيها، وقلة المشروعات التي تدعم الشباب وارتفاع معدلات البطالة... إلخ تؤدي إلى هدر طاقات كبيرة، وتجعل الشباب يقومون بالبحث عن وسائل تعويض غير متكافئة أو الاستسلام إلى التبلد والسلبية. وإذا كان من غير الممكن تحقيق عملية التنمية دون الاستفادة من طاقات الفئات الشابة في المجتمع، والتأكيد على دعم هذه الفئات من أجل تحقيق مشاركتها في بناء المجتمع وتطوره، فإن الأمر يقتضي وضع تصور لتنمية الشباب يطرح ما يحتاجه المجتمع من الشباب، وما يحتاجه الشباب من المجتمع لقيادة التنمية. وهنا يبرز شكل المدينة الأمثل في زمن الحداثة المعرفية: فضاء سلطوي عمومي يضاهيه فضاء مواطني غير عمومي تربط بينهما شراكة قوامها الحرية والعدالة والاحتكام إلى القانون والمسؤولية والتضامن وإعلاء الصالح العام على أي صالح خاص. إلا أن هذا التوليف لن يكون موفقًا إذا لم يتسم بالمبادئ الديمقراطية وبالمواطنة والمساءلة والشفافية وبالعدالة إلى أعلى مرتبة في سلم القيم الحضارية للدولة الناجزة.

إن هذا التأليف هو الذي يحتاجه التغيير في زماننا الحداثي المعرفي الجديد ومن ثم يمثل في نظرنا بعدًا أساسيًا من أبعاد الرسالة المنوطة بالدولة في القرن الواحد والعشرين، فإذا لم تهتد الدولة إلى تأسيس الفضاء السلطوي والمواطني على جملة القواعد الحضارية تلك، فإنها لن تتمكن من قيادة التغيير الذي يتطلبه العصر الجديد.

وبما أن قضايا التشغيل والتكوين والدمج ومحاربة البطالة والتهميش والهجرة، تعد من أهم الإشكاليات التي تواجه شريحة الشباب، فإن الكتاب يتعرض لها بالدراسة ليصل في النهاية لخطة شاملة لتنمية الشباب، ويعالج الأبعاد الذي يعاني منها في محاولة لاحتواء الشباب وإدماجهم في البنية المجتمعية كأعضاء فاعلة خاصةً وإن المؤلفين ينطلقون في خطتهم من منظور نظرية أنتوني جيدنز (A. Giddens) تشكيل البنية (Structuration Theory). فهذه النظرية تحاول إيجاد مساحة للفاعل الاجتماعي في عملية تشكيل البناء الاجتماعي، ووفقًا لهذه النظرية فإن تنمية الشباب وتطويره يساهم في تطوير المجتمع وقيادته نحو مجتمع المعرفة، ويكون الفاعل (الإنسان) في مركز هذه العملية ونقطة انطلاق هذا التغيير.

لقد استحق هذا الكتاب الفوز في الدورة الأولى (2016 - 2017) للمسابقة العالمية لتأليف كتاب في مجال تنمية الشباب، فهو يعالج بشمول وعمق سبل الوصول إلى خطة شاملة لتنمية الشباب، ويقدم محتوى متكاملاً له، صاغه عدد من الباحثين المختصين، منطلقين من دراسة الشخصية الشابة وعلاقتها بالمجتمع، وفحص نظرة الشباب إلى نوعية الحياة التي يحياها، ليضعوا أيديهم على ثقافة المسئولية الاجتماعية لدى الشباب، وتأثير قضايا التحول الديمقراطي والمواطنة في شبابنا، وأزمة القيم التي يتعرضون لها، ثم كيفية التغلب على المصاعب التي تواجههم، وبناء علاقة إيجابية ومبدعة بين الشباب والمستقبل.

يحسب لهذا البحث أنه لم يترك أغلب ما يتعلق بالشباب من مشكلات إلا وأتى عليها، متبعًا في هذا منهجًا علميًا منضبطًا إلى حد كبير، ومستعملاً إحصاءات في مسار البرهنة على مقولاته الرئيسية، وأهدافه الأساسية، يخرج في النهاية بتوصيات عملية قابلة للتطبيق. وقد اهتم البحث بأبرز القضايا التي تخص الشباب العربي في الوقت الراهن، مثل قضية الانتماء، والتعصب، والتطرف الديني، والمواطنة، والمسؤولية الاجتماعية، والمشكلات المتعلقة بالتعليم والصحة والسكن والعمل والهجرة، ويعالجها جميعًا بعمق واتساع، فأوفى كل نقطة أو قضية حقها في العرض والتحليل، ورغم أن الكتاب قد حلل هذه القضايا من جوانبها النظرية، فإنه قدم إجراءات عملية ملموسة في كيفية التعامل مع هذه المشكلات، ليصنع من الرؤى النظرية والأساليب الإجرائية خطة أو تصورًا منسجمًا وواضحًا، بوسع أي سلطة سياسية أن تنظر فيه وتعمل على تطبيقه، بغية الارتقاء بأوضاع الشباب العربي.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: نحو صياغة خطة شاملة لتنمية الشباب
المؤلف: أ.د. سهير عبد المجيد وآخرون
تاريخ النشر: 2017
الناشر: مؤسسة الأمير محمد بن فهد للتنمية الإنسانية – السعودية
عدد الصفحات: 258 صفحة
الرقم المعياري الدولي للكتاب: 978 977 4732 126



المشرقي القادم من شريط حدودي محتل

قراءة في مجموعة قصصية بعنوان "غريتا" للروائي والقاص "إلياس المطروني"

ضحى عبدالرؤوف المل

لبنان

تبدأ القراءة في مجموعة العطروني القصصية، ولا تدرك النهاية حتى بوصولك الى الكلمة الأخيرة فيها، لأنها تشكل باستدارتها البداية والنهاية. ولأن في الجملة القصصية محاور عديدة من الذكريات وصولاً إلى انبلاج الحياة، وحتى السياحة تحت التراب بمزيج غرائبي متمسك بشرقيته، إلى أبعد حدود عالم "غريتا" السمراء التي سألت "والنساء؟ نقربهن بالزواج "، باختزال وتبسيط وبحنكة إنسانية واثقة من ميولها الشرقية التي تفخر بها، فما بين غريتا وغريتا حميمية قاص يشتاق لسرو قريته، وهو ذاك المشرقي القادم من شريط حدودي محتل. عادات وتقاليد يرفضها في بلاد الاغتراب، ويتقبلها في موطنه الذي يزداد له حنيناً، كلما جذبنا نحو عمق أفكاره القصصية الموحية بعهد الدم الملوث الذي أصابه بوباء مميت، فالإيحاءات في القصة ترتبط بالبعد التكويني لبلدين تختلف فيهما العادات والتقاليد، وحتى المفهوم الإنساني المرتبط بدلالات شريط حدودي محتل، وبدوي إسباني متحضر أحبه، لأنه يدرس تاريخ العالم في جامعات النهار، ويمسد جلود الثيران في حظائر المساء، فهل يحاول العطروني استحداث مكونات قصصية ترتبط بالتراث، وبتمسك ذي معنى يستنزف الشكل القصصي المستحدث، ويضعه ضمن مراحل التغيرات التي تطرأ على الإنسان في غربته الداخلية والخارجية.

وعي سردي في "قصة غريتا" ذات البناء الفني المحكم بعناصره القصصية، وطابعها التراثي والرمزي والاجتماعي. إن من حيث التماسك بقضية فروقات الأديان والالتزام العربي بمبادئه الدينية إلى أقصى الحدود، وإن من خلال الذكريات التي يجملها الإنسان في طيات مخزونه النفسي ليحيا اللحظة بقوة تضعه أمام محكمة ذاتية، تتشكل عند أول نائبة جعلته يشعر بأنه "في تفاهة بخار على زجاج"، وضمن هشاشة البخار وقدرته على تغطية نقاوة الزجاج، ليكون هو وغريتا بمثابة عنصرين مختلفين لا يلتقيان، إلا ضمن ظروف باردة وحارة تتعاكس من خلالها كينونة كل منهما، لأن غريتا إسبانية السمرة، حيث لم يكتمل حبها له، لأنه المدافع

الأول عن أيام أبيه ومن قبله. وفي هذه صورة العربي المتمسك بأصوله، وبمفاهيم الأجداد منذ الأزل "كنت فقط أدافع عن أيام أبي ومن قبله" وفي هذه خاصية عربية تفيض بالإحساس العربي الأصيل ونخوته، التي لم تنجو من عهد دم قضى على حياته.

يفاجىء الحدث القصصي القارىء في قصة "غربتا" الفنية بعناصر فنية بانورامية ترسم دهشتها على عز فرحهم واحتدام نشوتهم، حيث راحوا يبكون. وما بين التكثيف والاختزال ثمة قصة "ليس فيها روائح البيد، ولا هواء الواحات، ولا حنو الرواحل" فالتداخل والتفاعل الفني يتخذ من الإرهاصات القصصية وجودًا له، إذ يصعب تحديد النهاية ما لم تصل الى السطر الأخير، لتتسارع خطى القراءة ضمن التباطىء المبني على فهم الرموز في لعبة انتهت بغرز "السيف الرفيع في مقتل الثور المكتئب" الذي جعله يتذكر شعبه المحب الذي "لن يقف يومًا بمجمده ليشمت بمقتل ثور" فالتلميحات المبطنة في أعماقها تحمل صورًا أخرى عن العهود المتينة وأواصر الميثاق الغليظ الذي لا ينساه العربي مدى الحياة، ليصعب تحديد الزمن لأن الماضي هو الحاضر بقوة، والمستقبل يحمل سياحة جسد تحت التراب، فهل تمكن القاص والروائي "إلياس العطروني" من اختصار حكاية الشرق والغرب في عهد دم مزج بين اثنين مختلفين وبلدين لكل منهما خاصيته الاجتماعية؟

نعيش الطفولة والشباب في زمن الكهولة ونوائبه التي جعلته يرى بلاده وقد تخشبت سحنتها، ليفصل بين أيام صغره القريبة والبعيدة جدارًا فاصلاً من الندم على عهد دم أقامه كي يحافظ على مفاهيمه الشرقية، التي تمنعه من إقامة علاقات غير شرعية مع امرأة أجنبية، لا تنتمي إلى أصوله المشرقية أو الدينية، لكنه لم ينجو من شرور بلاد غزاها الفساد، وتسرب إلى دمه، لأنه استخدم دواء لعدم الفراق سمعه من والدته، التي سمعته من والدتها التي سمعته من... "أجرح إصبعي وتجرحين أصبعك، نلصق الجراحين، يتحد دمي ودمك، يصبحان دمًا واحدًا..وهذا في عهد الدم" عهد زاد في اضمحلاله مع الثواني والدقائق، ولم ندرك إنه السيدا الذي أصابه بمقتل، كما أصاب الثور السيف الذي انغرز في مقتل نبع منه خيط دم رفيع يشبه ذاك الخيط الذي صهر دمه مع دم غربتا.

قصة حملت مؤثراتها قوة نفسية على القارىء، إن بتناصها ورؤيتها وموضوعيتها الفنية ذات القدرة على ربط الصور الحركية، المترائية أمام القارىء، وكأنه الثور الذي أصاب الحضور بالنحيب المشابه لنحيبه. ونحيب "غربتا" وإن بالواقعية التي تخيم على الحدث ضمن المواقف الإنسانية المحاكية، لشعور ذاك المشرقي الذي حدد صفاته بالآتي من شريط حدودي محتل، ليستمد المكان وجوده الزمني ضمن فترة عمرية مضت حملت معها الذكرى بمرارتها مستعرضًا مشهدًا تلو المشهد حيث تتشابه الومضات في الذاكرة التي تتجلى أمامها التفاصيل الغائبة عن لحظة الماضي والتي انكشفت فيما بعد ولكن بعد فوات الأوان.

أيديولوجيا قصصية بدأ بها العطروني قصته عبر النص الصادق بتأثيراته الغير مباشرة على المعاناة التي تسبب بها عهد الدم، وهو الذي ترك غربتا لأنها ليست على دينه وتراثه وقيمه التي يحملها في دم أفسدته مشاكسة طفولية منحت القصة بعدًا آخر لمفهوم مرض السيدا لمن يصاب به ببساطة وتلقائية وبراءة، لأن في سؤالها له عن النساء الجواب الشافي "تقربهن بالزواج" وهذه نقطة فاصلة لا نقاش فيها تشير إلى المبادىء التي يحملها في جذوره الضاربة بعمق الحياة، وبالقضايا الأساسية التي نشأ عليها، فالقصة ذات تكتيك فني اجتماعي لعبت الحداثة القصصية دورًا فيها ضمن الاختزال والرمز والالتفاف وراء المعنى، والربط بين الصور ببراعة قاص لم ينجرف وراء عالمه السردي، إنما توقف بضراوة عند الإنسان المتمسك بأصوله وتربيته ونبل عواطفه ومشاعره فهو لم يصطنع شخوصه إنما استخرجهم من مخيلة الذاكرة وهو في طريقه للسياحة تحت التراب ضمن معنى محفوف برحلة حقيقية ينتظرها بعد مأساة تفوق مأساة الهجر، ليقول، "هذه البلاد ليست بلادي الآن، وبلادك ليست بلادي أيضًا، لا بلاد لي".

شخصية قصصية مثقلة بالمبادىء التي تميز بها المشرقي بكل عنفوانه وشهامته، وقدرته على تخطي المحرمات بأنواعها، ورغم كل هذا يصاب بمرض لا ناقة له فيه ولا جمل، إنما مفارقات في أحداث مجللة بالأسى تتصف بالموضوعية، وبفلسفة أخلاقية واعية في سلوكياتها لتؤدي دورها ضمن النسيج القصصي المحبوك بحنكة قلم يبحث عن لحظات إنسانية جمعت بتأويلاتها المخاوف اللاشعورية التي أظهرها عندما تمسك بياقة قميص الطبيب، إذ يعتمد على الرؤى السيكولوجية والواقع المأزوم والتهويمات ذات الجوهر المجازي المتسم بخصوصية السرد الداخلي المبطن بديناميه الحداثة القصصية.

معلومات عن الكتاب:

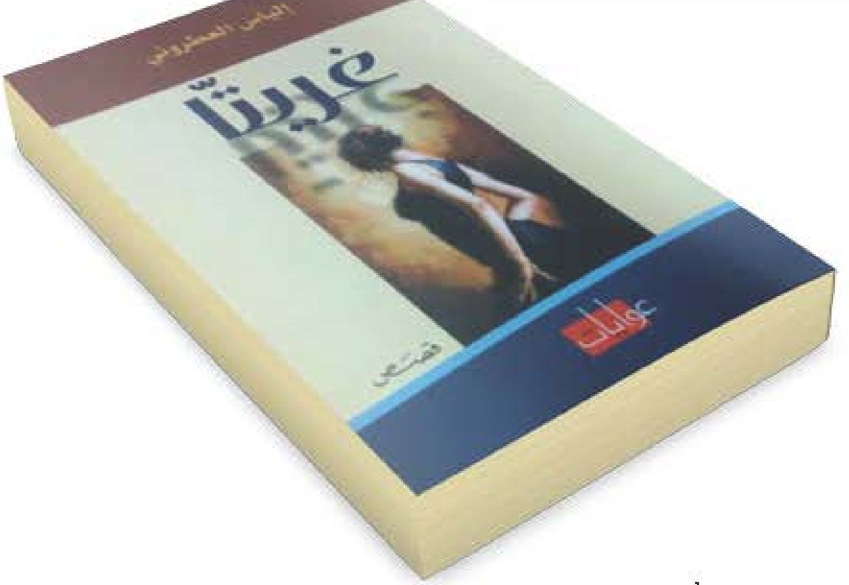
الكتاب: "غربتا"

المؤلف: إلياس العطروني

تاريخ النشر: كانون الثاني/يناير 2015

الناشر: دار غوايات

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 978-9953-571-10-2



التداخل الأجناسي والتغاير الأسلوبي في القصة القصيرة جدًّا

أ.د. نادية هناوي سعدون

ناقدة - كلية التربية - قسم اللغة العربية - الجامعة المستنصرية بغداد

النص القصصي القصير جدًّا نص مراوغ نظرًا لما يتمتع به من سمات نظرية لكنها مموهة تطبيقيًا بما يجعل كتابة القصة القصيرة جدًّا ليست يسيرة كما أنها ليست عسيرة..

ولا بد في بناء أي نص يوصف بأنه قصة قصيرة جدًّا من حمولات إبداعية على مستوى الشكل ومحمولات فكرية على مستوى الموضوع، وقد اختلف المنظرون والمبدعون في تلمس الحيثيات وتباينوا في توصيف طبيعة الآليات وإشكاليات العمل وتغايروا في مقارنة أجناسيتها ومكاشفة مساراتها ومسوغات اشتغالها.

ومن خلال تفحص عينة من مجموعات قصصية عراقية قصيرة جدًّا يتبين أن لهذا الفن معيارية بنائية صاعدة أو نازلة أو دائرية منعمة بلحظة التحول والإدهاش أما بالتواتر أو التتابع أو التناوب، وبما يجعل التبئير يتجه نحو التوهج بالمفاجأة مع توظيف إحدى التقانات كالمفارقة والعجيب والحلم والفانتازيا والمونولوج والمونتاج مع اعتماد الحذف والوصف والتضاد.. وغيره.

ولأن القصة القصيرة جدًّا هي فن اللحظة لذلك يكون التأزم عبارة عن توهج على شكل لفتة أو نكتة أو نبضة أو لمحة مفاجئة تخرق معتادية الحدث القصصي المسرود لتبلغ به العقدة التي سرعان ما تنفرج بذات السرعة المفاجئة التي حلت بها، وهذا ما يجعل فاعلية التوصيل صادمة بسبب خصوصية اللحظة في ملامسة ذاتية كاتبها عاكسة عمق الإحساس الذي استودعه فيها.

وتسهم حساسية تواتر الوعي والمناورة وديالكتيكية التساؤل، وتضامن الإنساني وغير الإنساني، واستحواذ الدرامي في تصعيد السرد القصير جدًّا تمامًا، كما هو الحال في الرواية والقصة القصيرة، ولكن بمحدودية أكبر واختصار أكثر. وكثيرًا ما تتشابه القصة القصيرة جدًّا مع قصيدة النثر، بوصفهما يقومان على الانزياح والاختزال، الذي به تتحقق الشاعرية، وهذا ما يجعل التضافرية الموضوعية والشكلية حاصلة لندرك ضآلة المسافة البينية بينهما بلا احتراز أو قصور أو مثلبة.. وهذا ما تؤكده نظرية التداخل الأجناسي، ومن موجبات هذا التلاقي ما بين القصة القصيرة جدًّا وقصيدة النثر أنهما يبغيان الدلالة لا الصوت، وإذ تراهن قصيدة النثر على السردية كعنصر تعضيدي للبناء الدلالي، فكذلك تراهن القصة القصيرة جدًّا على الشعرية انزياحًا بالكلمات واختزالاً في التعبير، تعضيدًا لسمة القصر والتلميح والإيحاء اللفظي، كما في قصة فيروز في مجموعة السلم لحنون مجيد (خدر الوردة تتبل على وهج صباح بكر والحقل ينتشي بعطره الزكي

السفح والجبل يتعانقان على مطر رهو والأذن ترنو إلى بغداد والتاريخ والنصور) ص33.

وإذا كانت هذه لمحات التلاقي بينهما ؛ فإن نقاط الافتراق بين القصة القصيرة جدًّا وقصيدة النثر تتضح أولى بوادرها في أن قصيدة النثر تتخذ من الانزياح البياني غاية في حين تتخذ القصة القصيرة جدًّا منه مجرد وسيلة لتحقيق الإبهار المعنوي والإدهاش الدلالي. ومن أمثلة ذلك قصة (ما كان حلمًا) في مجموعة التماهي لهيثم بهنام بردى، إذ تنزاح جملها برؤى شاعرية تسبح في المكان، فتصف كل جزئياته (الفضاء الموبوء بالعتمة والعطن والهواء الرطب والعناكب الساهرة، يجثم على المناضد والتخوت، ويتسلل إلى ثنايا الوجوه المصلوبة على الجدران والمرايا والذكريات العتيقة والقامات المتلفعة بالدمائر والعصايات والأحذية المعطنية ورائحة التبغ الردئ، تفد إلى الداخل مضيئة الأرجاء ببريق عيونهم وأسنانهم، يتصايب الليل في الخارج...) ص55

وقد تصبح القصة القصيرة جدًّا قريبة الشبه بالقصيدة الومضة، لكنها ليست مجرد بناء متشظ، كونها تميل إلى الالتحام والتكور ضمن بنائية انفضائية لا تلقائية، تنم عن تجريب أساسه الاختزال والقصر، فتغدو القصة أقرب إلى التوقيع كما في قصة الحيال من مجموعة حجر غزة لحنون مجيد (الحيال كثيرة أقصرها حبل الكذب) ص60 أو أقرب إلى الوعظ كما في قصة الحكمة من مجموعة الحيانة العظمى للكاتب نفسه (الحكمة في مخافة الله ومخافة الله في محبة الناس) ص46.

وإذا كان الشاعر في قصيدة النثر كاتبًا استعاريًّا يحول الألفاظ من بنيتها الأفقية إلى بنية شاقولية؛ فإن كاتب القصة القصيرة جدًّا كاتب معني بالوقائع وتفاصيله البسيطة والدقيقة ليعرضها بصورة إجمالية وجمالية معًا عبر التركيز على مستويات التغاير الأسلوبي، وهذا هو سر كتابتها الذي يجعلها سهلة تنحصر في مساحة كتابية ضيقة ومع ذلك هي ممتنعة والسبب صعوبة التقانات الموظفة فيها والأساليب التي ينبغي استعمالها والاشتغال عليها.

فقد تستثمر القصة القصيرة جدًّا التلغيز كما في قصة أحجية من مجموعة وردة لهذا التطور للكاتب حنون مجيد، والتي تدور بين المعلم وتلاميذه ليكون ختامها فكهًا وساخرًا (وقف أمامهم بكامل جبروت جسده، وألقى عليهم أحجيته كانت عن شيء كبير الحجم ذي خرطوم طويل. فقام وجيه المدمدم ورفع أصبعه مؤشرًا نحوه، وصاح بأعلى صوته: أستاذ أنت) ص126.

وقد تمنح الأسطرة القصة القصيرة جدًّا طابعًا سحريًّا كقصة مارس من مجموعة السلم، التي تستحضر الشخصية الأسطورية مارس وهو ينقذ امرأة من مخاض عسير، لتكون الخاتمة (انفتح باب الحصن الشاهق، وخرجت منه أم عارية .. وخلفها كان مارس يتوثب كالرهوان يحمل بيديه قوسًا ونشابًا، وعلى كتفه الأيسر الماري جراب سهامه)ص87

أو بتوظيف الفنتازيا التي تجعل النص مموهًا بواقعية إيهامية كقصة تقوض من مجموعة التماهي (.. إزاء كائن مسجى في زاوية مربعة بلا قدمين أو كفين وقد تدلت ذراعاه

وقد تصبح القصة القصيرة جدًّا قريبة الشبه بالقصيدة الومضة لكنها ليست مجرد بناء متشظ كونها تميل إلى الالتحام والتكور ضمن بنائية انفضائية لا تلقائية تنم عن تجريب أساسه الاختزال والقصر، فتغدو القصة أقرب إلى التوقيع

المبتورتان على جانبي الجسد .. وهو يصدر حشرجة عميقة من داخله المعرش بالحواء) ص71، وتسهم الفنتازيا في تصاعد التخييل في قصة (عزلة الكيدو) ليبزغ كائن هلامي على شكل جسد مموه وسرعان ما يتلاشى في الفراغ بدراماتيكية، وكل ذلك في لحظة أو قصة (أخطاء) التي تدور حول معطى معنوي هو الخطأ لكن الكاتب يمنحه بعدًا فنتازيا فيجعله كالمهملات أو النفايات التي لا يمكن التخلص منها إلا بحرقها.

ومن التغاير الأسلوبي استعمال الترميز في القصة القصيرة جدًّا فتتكثف المعاني، ويتم توصيل تأثيرها إلى القارئ بسرعة، وقد يرد الترميز استعارة تتجسد عبرها الأشياء الجامدة، لتبدو حية كما في قصة السلم (يفرح السلم حينما يحس وقع أقدام مترفة جديدة ترتقيه ويسمع مثل كل مرة تقدح لهفة عارمة تنتظر في أعلاه) ص16، وقد ترد الاستعارة تشخيصًا لغير العاقل من الأحياء الطبيعية كما في قصة (قاطع رؤوس) التي أسهم حذف كلمة الحمام في تعزيز مفارقة الترميز الاستعاري في القصة (قالت الوردة للوردة: ضمي رأسك فهناك قاطع رؤوس أجابتها وامنعي عنه عبيرك فإن شمنا فلن يغفل عنا، رب لو كان يشم لما كان..) ص55.

أو باستعمال التضاد المعنوي والتضاد اللفظي وقد تتعاقب في كتابة القصة القصيرة جدًّا صنوف من الترميز أما بالتكاملة الكاريكاتورية كتقنية تضحك تخترق الأعماق، وتحفز وتحرض، وتغير وهذه الغايات مختلفة عن الغايات، التي تهدف إلى التهريج والإضحاك المجاني، كما في قصة (لو أن لي) التي تكتنفها سخرية لاذعة (كان يغني لو أن لي ويسكت، ولكما سأله أحد وما الذي لو أنه ذلك سيجيب لو أن لي) مجموعة السلم 76 ، وأما بالتهكم أو بالمحاكاة أو بالنكتة كأسلوب فني يعزز الدلالة، ومن ذلك التساؤل عن تسمية البحر الميت بهذا الاسم في قصة (البحر الميت) من مجموعة مطر على رصيف الذاكرة لجابر محمد جابر وباستعمال الحوارية يأتي الجواب كنكتة "..البحر الميت مات بالسكتة القلبية" ص14.

وقد يتم اعتماد الصياغات اللفظية كالجناسات والتكرار والمقابلة من أجل معنى واحد لمعان عديدة وبتراتبية نحوية واحدة، يتم فيها التركيز على البناء الزماني للحدث، مع إغفال وجود الحبكة والمكان، فضلاً عن قصدية الكتابة السطرية الموحية بأنها نظم شعري، وهي ليست كذلك كما في قصة يموتون، ولا يموت لحنون مجيد:

(الملك الجبار يأكل ويشرب وينام ثم يموت

التاجر السعيد يأكل ويشرب وينام ثم يموت

العامل الشقي يأكل ويشرب وينام ثم يموت

الخادم الوفي يأكل ويشرب وينام ثم يموت

الحائك المحتال يأكل ويشرب وينام ثم يموت

الكاتب يقرأ ويكتب وينام ثم يصحو ولا يموت) ص33.

ويشكل التكرار سمة مهمة وأساسية في قصة (صورته الآن) من مجموعة الخيانة العظمى التي كانت الكلمات فيها محسوبة ابتدأت بالفعل نظر وانتهت بالفعل كاد يجن، ولعل الغرابة هنا تتجلى بين أن يكون النص محدود الكلمات وبين أن يتعهد التكرار، وعمومًا فإن التكرار هنا ليس إلا لعبة تتيح للكاتب أن يصل إلى لحظة التوهج، التي فيها انحلال التأزم والتقارب الكتابي باستعمال ألفاظ بحروف متقاربة بعينها، ثم المداورة بينها يحمل القارئ على التفاعل مع ضمائر التكلم والغياب والفعلية الماضية والأمرية والمضارعة، وقد تستدعي القصة القصيرة جدًّا . بسبب نزعتها إلى القصر والتكثيف . الأسلوب الإنشائي بالتقديم والتأخير أو بالوصل أو الفصل أو بالحذف، كما في قصة (لو الناس في بلدي) من مجموعة حجر غزة التي يترك فيها القاص حنون مجيد النهاية على شكل نقاط تتصدى للمسرود، ليكون فاعلاً في متنها (ذرة من الطعام سهوت عن رفعها من الأرض فسعى إليها النمل سعي الجنود إلى الحرب لو الناس في بلدي....) ص13.

ويوظف التناص كتقانة قصصية قصيرة جدًّا بأشكاله المتعددة الدينية والأسطورية والشعرية والتاريخية وغيرها مثل قصة (شهادة) من مجموعة حجر غزة التي تتناص مع المثل القائل وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة (كل النساء تشهد إنك عظيم إلا زوجتك التي كانت وراء ذلك) 23 ص

وهذا وغيره إنما يتم باستعمال اللغة استعمالاً دلاليًّا يوصل الفكرة بأسرع الطرق وأنجزها وصفًا أو تكثيفًا عبر أشكال وبناءات أسلوبية وهيكلية خاصة.

مراجعة كتاب:

البلد المحترق .. السوريون في الثورة والحرب

Burning Country: Syrians in Revolution and War

وسيم العادل Wassim Al-Adel
ترجمها إلى اللغة العربية: عمر عثمان جبق



ترجمة: عمر عثمان جبق
محاضر في كلية المجتمع بالرياض

عندما يتعلق الموضوع بسوريا، فإن المثل القديم القائل "لا يوجد وقت كالوقت الحاضر" ينطبق عليها للأسف: إذ وبينما تخيم الهدنة الهشة على بقايا هذه البلد الممزقة، فإن كلاً من روبين ياسين كساب وليلى الشامي يقدمان لنا سردًا مؤثًا جاء في حينه للناس، الذين شكلوا أحداث السنوات القليلة الماضية، ولم تكن هذه مهمة سهلة على الإطلاق: إذ ليس هناك بلد عربي آخر تأثر بالربيع العربي الذي انطلق عام 2011، وشبب في جدل مرير جدًا وانقسام حاد جدًا في كل أرجاء المعمورة كما فعلت سوريا: فقد انحاز المقاتلون وعمّال الإغاثة والصحفيون وسواح الحروب امتدادًا من الحوض الكاريبي إلى اليابان، ومن لوس أنجلوس إلى موسكو إلى طرف ما في هذا الصراع، إن كان على علم منهم أو خلاف ذلك، والتقوا في هذا البلد الصغير المجهول نسبيًا، ليشاركوا في صراع يعدّه الكثيرون "عصبيًا" جدًا أو مأساويًا جدًا على الاستيعاب والفهم، ومع ذلك فإن ياسين كساب وليلى الشامي قاما بعمل رائع، حيث قدّما سردًا إنسانيًا عميقًا يمكن قراءته وفهمه فهمًا يسيرًا، يروي كيف يرى السوريون أنفسهم الثورة وتبعاتها.

يتألف الكتاب من اثني عشر فصلاً وخاتمة، ولا يفترض الكتاب وجود أي معرفة مسبقة عن سوريا أو الثورة السورية، وكما هي حال العديد من الكتب عن هذا البلد، يبدأ الكتاب بسرد مقتطفات عن ماضي هذا البلد، ويتابع باتجاه الحاضر المؤلم، حيث تتوالى الأحداث، وتتجلى رويدًا رويدًا، وكأنك أمام حادث سيارة بالحركة البطيئة.

مع أن سوريا أرض قديمة، إلا أنها بلد حديث بمقاييس عديدة، فكاهل سكانها الشباب مثقل بعبء تاريخ، يكافحون من أجل فهمه، مع أنه يتوجب عليهم التصالح معه، ما لا يشرحه الكتاب هو تحليل الشبكة الغامضة للأحزاب والتحالفات العسكرية العاملة في البلد، وعندما يتم ذكرها يكون الغرض توضيح علاقتها بالثورة من وجهة نظر مدنية فقط: فهو كتاب عن شعب في وقت الثورة.

القول إن الثورة السورية هي نتاج حكم نظام الأسد

هو تقليل للواقع: وهنا يقوم المؤلفان بعمل رائع من خلال مسح العقد الرئيسي المفضي لثورة 2011 حيث كان نظام بشار الأسد خلال هذا العقد يحرر اقتصاد البلد، ويقتطع أجزاء كبيرة من هذا الاقتصاد لعائلته وشركائه. لم يكن أحد يتوقع اندلاع ثورة في سوريا عام 2011 بمن في ذلك السوريون أنفسهم. في الواقع كان الأسد واثقًا جدًا من تجنبه الاضطرابات التي كانت تواجه الدكتاتوريين العرب الآخرين، حيث إنه أخبر صحافيًا ألمانيًا قبل عدة أسابيع من أول احتجاجات بأن حكمه سليم بفضل مواقف سياسته الخارجية المزعومة المعادية للإمبريالية.

وخلال أسابيع تحولت الاحتجاجات البطيئة في ربيع عام 2011 إلى طوفان عارم، لم يتوقع أحد انفجار الروح الجماعية والنشاط الجماعي اللذان اندلعا والذي كان الشباب العنصر البارز والمهيمن فيهما، واكتشف السوريون، كبيرهم وصغيرهم، أنّ لهم صوتًا، وبدأوا بتنظيمون فيما أصبح يُعرف لاحقًا باسم "التنسيقيات المحلية".

واليوم من السهل أن تكون ساخرًا بين آلاف الجماعات المتقاتلة، وتتظاهر بعدم وجود خيار سياسي بديل لنظام الأسد، ولكن هنا يقوم كل من ياسين كساب وليلى الشامي بتذكيرنا بالشباب والشابات الذين حطّموا كل الحواجز الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وحواجز الجنسين في سبيل إيجاد سوريا الجديدة، ويخبرنا المؤلفان عن أناس ملهمين أمثال ياسين حاج صالح ورزان زيتونة وعمر عزيز ذاك الرجل البارز واسع الاطلاع الذي لعب دورًا مؤثرًا في تشكيل التنسيقيات المحلية قبل أن يقضي في سجون نظام الأسد.

لربما كان الناس الذين ألهبت الاحتجاجات ضد حكم الأسد الوحشي مخيلتهم واستياءهم سذّجًا قليلاً ومقدرًا عليهم الفشل، إلا أنهم دقّوا إسفينًا مهمًا جدًا جعل حكم النظام لسوريا مستحيلاً بالطريقة التي حكم بها سوريا منذ عام 1970.

إن الصورة التي يقدمها لنا المؤلفان عن هؤلاء الناس هي صورة مثالية لشباب خذلهم وتجاهلهم العالم: شباب ضعفاء لكنهم شجعان، قادرون على إظهار الإيثار المذهل بالرغم من كل الظروف القاهرة، يقدم لنا المؤلفان نشطاء شبان أحبوا المثل والقيم التي كان العالم يوليها اهتمامًا قليلاً فقط، وعاشوا تلك المثل ودافعوا عنها. فسوريا التي يظهرها لنا المؤلفان ليست جنة الجهاديين الكاريكاتورية التي تحاصرها الجماعات المسلحة، والتي يريدنا معظم المحللين السياسيين أن نصدقها (مع أن هذا مهم!).

إن الفصل الذي يتطرق إلى ظهور الحركات الإسلامية فصل يفطر القلب ويخبرنا كيف يرى السوريون العاديون هذه الظاهرة بشيء من التفصيل؛ إذ يقدم لنا هذا الفصل فرصة لمعرفة الحوارات التي كان النشطاء والثوريون السوريون يقيمونها، تلك الحوارات التي يتواصل طرحها ضمن الأركان العديدة للمعارضة السورية حول دور الدين في الثورة والدولة والجنس ومعاملة السجناء وقواعد الحرب وحتى حول ما إذا كان قد ينبغي تحول الثورة إلى ثورة مسلحة أم لا.

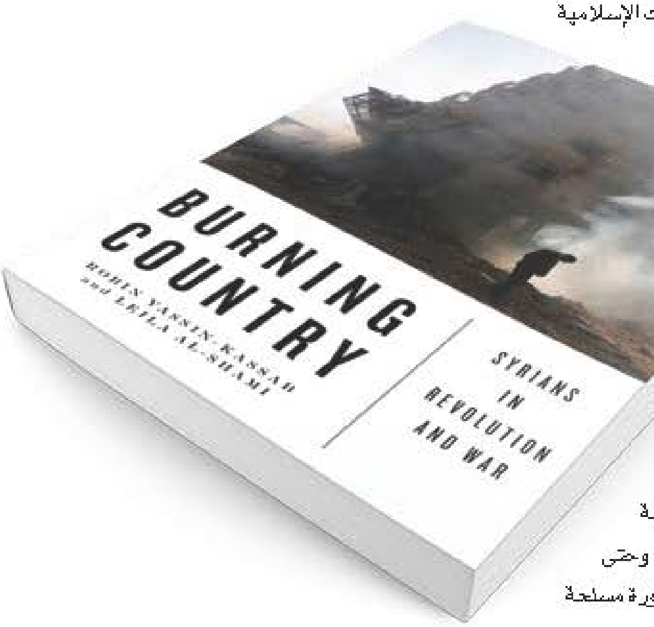
يتم رسم المعارضة "الرسمية"، في تعدد أحزابها وتوجهاتها، رسمًا مستحقًا في لون غير محدّد نوعًا ما، وقصتها قصة غباء وتفاهة وتخطيط ضيق الأفق في وجه نظام متيقظ بلا رحمة.

ومن الملاحظ أن الكتاب يعالج قضية الطائفية بكل صراحة وشفافية، فبالنسبة لبلد كسوريا حيث الطائفية كانت تتعاظم وتنمو تحت السطح، ويتم تجاهلها بصمت، فربما كان حتميًا أن أي ثورة كانت لتدفع بهذه التوترات إلى السطح، وهنا فإن المؤلفين ياسين الكساب وليلى الشامي يعانيان في إظهار أن العلويين كأقلية لربما أيدوا نظام الأسد – في الغالب بدافع الخوف منه – إلا أن أقلية مهمة جدًا من هذه الأقلية (العلوية) خرجت عن صمتها، وتكلمت لصالح الثورة منذ أيامها الأولى، فقد كانت الممثلة فدوى سليمان ونشطاء آخرون في المدن السورية كاللاذقية مؤثرين وفاعلين في بناء العلاقات بين المجتمعات لتخفيف المخاوف في وجه استفزاز "الشبيحة".

يظهر المؤلفان أن الثورة السورية لديها ألف أمّ تمامًا كالبلد التي أنجبتها بالإضافة إلى تنوع نسيجها من كل الأطياف والظلال: فهي القلب الحقيقي النابض لسوريا التي كانت خاملة لفترة طويلة في ظل حكم نظام الأسد.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "البلد المحترق السوريون في الثورة والحرب"
المؤلف: روبن ياسين كسّاب وليلى الشامي
تاريخ النشر: يونيو 2016
الناشر: Pluto Press
عدد الصفحات: 280 صفحة
الرقم المعياري الدولي للكتاب: 9780745336220



وتعرّضت إلى العالم في كل تناقضاته المعهودة، إن تجاهل الثورة كليًا ودفنها ومن ثم نسيانها وسط تنافر وسائل الإعلام على حساب الحركات الإسلامية المتطرفة والحرب الأهلية هو دليل على افتقار العالم للمخيلة والفهم أكثر من افتقار الشعب السوري نفسه للإبداع.

لقد تم التضحية بزهرة الشباب السوري، مع أن الخطأ ليس خطأهم، إن كان على مذبح الثورة أو غرقًا في البحر الأبيض المتوسط في أثناء محاولتهم اليائسة للهرب من منطقة القتل التي تحول إليها بلدهم، بينما يقبع الآخرون في المنفى بعد أن فقدوا كل أمل في العودة في الوقت الذي يعصر المجتمع الدولي يديه، ويتردد في وجه الدعم الهائل الذي يتلقاه الأسد من حلفائه الروس والإيرانيين.

إن كتاب البلد المحترق ليس مجرد قصة عن الثورة السورية كما رآها السوريين، بل هو شهادة لجهود جيل من السوريين وأحلامه في فترة فريدة من تاريخ هذه المنطقة.

إقطاعية تبنين "تورون" وقلعتها في عصر الحروب الصليبية

دراسة في دورها الاقتصادي السياسي والعسكري (1105-1266م)



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

صدر عن دار جرين Grin للنشر والتوزيع بميونخ بألمانيا، كتاب "إقطاعية تبنين "تورون" وقلعتها في عصر الحروب الصليبية، دراسة في دورها الاقتصادي والسياسي والعسكري 1105-1266م" باللغة الإنجليزية لباحث الدكتوراه في تاريخ العصور الوسطى بجامعتي دمنهور بمصر وجوتنجن بألمانيا، والمدرس المساعد بآداب دمنهور، أحمد محمد عبدالقوي شعير. ويقع الكتاب في 130 صفحة، وهو في الأصل رسالة علمية حصل بها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز من جامعة جوتنجن بألمانيا، بإشراف الأستاذ الدكتور فرانك ريكثيروت أستاذ العصور الوسطى بقسم العصور الوسطى والحديثة المبكرة بجامعة جوتنجن بألمانيا، والأستاذ الدكتور علي السيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة دمنهور بمصر.

يشير الباحث إلى سبب اختياره لإقطاعية تبنين أو تورون وقلعتها لكونها أحد الإقطاعيات الاثنى عشر الصغرى لمملكة بيت المقدس، ويأتي دورها وتنبع أهميتها من أنها قرية ريفية صغيرة أو إقطاعية صغيرة إلا أنها كانت تقع على الطريق التجاري بين مدينتي صور ودمشق، ومن موقع قلعتها الإستراتيجي في الجليل الأعلى، وهو الأمر الذي استغله الصليبيون في بناء إستراتيجية الاستيطان الريفي في هذه المنطقة، ومن ثم تبرز الدراسة دور أحد أهم القلاع والقرى الريفية الصغيرة بالمفهوم الحديث، في بناء الاستيطان الصليبي في الشرق مما يلفت الانتباه إلى سياسة الاستيطان الصهيوني في الوقت الحالي لاتباع عدة إستراتيجيات بعضها يشبه نفس النهج القديم الذي تبناه وسار عليه الصليبيون في الاستيطان الريفي في بلاد الشام.

أما عن تبنين، محل الدراسة، فهي تقع في جبل عامل على الطريق التجاري بين دمشق وصور في جنوب لبنان الحالية، وتم بناء قلعتها في عام 1103م، على يد هيو سانت أومر الصليبي، وأصبحت منذ تأسيسها قاعدة للصليبيين لشن الهجمات على منطقة الجليل في الجزء الشمالي من مملكة بيت المقدس الصليبية، ولقد لعبت دورًا عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا مهمًا في مملكة بيت المقدس، ولقد كانت أقوى المدن الإسلامية، وثبتت حصونها أمام الصليبين في بداية اجتياحهم لبلاد الشام، إذ سقطت صور في عام 1124م، وكانت القرية مهمة لإسقاط مدينة صور، وبسبب ذلك حاول المسلمين بشكل مستمر إعادة السيطرة على تبنين لإمتلاك نفس الإستراتيجية من خلالها لاستعادة مدينة صور مرة أخرى، وهو الأمر الذي استطاع أن يحققه صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين 1187م، بالسيطرة على مدينة تبنين وجعلها مقرًا لشن الهجمات منها على صور، والمناطق المجاورة لها، إلا أن تبنين ظلت في ذاكرة الصليبيين حتى جاء الإمبراطور فردريك الثاني في عام 1229م إلى بلاد الشام عاقدًا اتفاقية يافا، التي بموجبها اتفق مع الملك الكامل الأيوبي بالتنازل عن مملكة بيت المقدس وبعض المدن الأخرى التي شكلت مواقعها إستراتيجية مهمّة ومنها تبنين، إلا أن المسلمين أبوا أن تظل تبنين في أيدي الصليبين، فما كان من السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إلا أن أسقطها، وأعادها إلى حوزة المسلمين مرة أخرى في عام 1266م، وظلت تبنين في أيدي المسلمين تواصل دورًا رئيسيًا في التاريخ الحديث، وستظل عالقة في الذاكرة التاريخية لقلعتها الشامخة حتى يومنا هذا.

يقسّم الباحث كتابه إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة، وتليها خاتمة وقائمة مصادر ومراجع، وعدد من الملاحق والجداول والخرائط والصور. تتناول مقدمة الدراسة، أهدافها، ومنهجها، وأهم المصادر العربية واللاتينية التي تناولت تبنين وقلعتها وجغرافيتها وطبوغرافيتها، وتاريخها، ودورها الاقتصادي والسياسي والعسكري، والتي كانت متناثرة بين طيات صفحات المصادر اللاتينية، بالإضافة إلى نظرة عامة في المصادر العربية، وهو الأمر الذي قام عليه الباحث بجمع معلومات وتكوين بناء موضوعي تاريخي منهجي بما جمعه من معلومات مشتتة من هنا وهناك. ويتمثل أحد أهداف الدراسة في إزالة الركام والستار والغبار والتراب للكشف عن الدور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري والإستراتيجي لتبنين وقلعتها وحكامها الصليبيين، ودورها في الصراع بين الشرق والغرب أو الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام، وإلى أي مدى كانت لتبنين وحكامها تأثيرات في تشكيل الأحداث الداخلية لمملكة بيت المقدس الصليبية، بالرغم من أنها إحدى الإقطاعيات الصغرى في المملكة، بالإضافة للدور الذي لعبته تحت الحكم الإسلامي (1187-1229م) حتى عودتها مرة أخرى للسيطرة الصليبية في عام 1266م، وهو الأمر الذي فرض على الباحث استخدام منهج البحث التاريخي التحليلي بتناول الأحداث التاريخي أسبابها ومظاهرها، ونتائجها وآثارها.

أما الفصل الأول المعنون "المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والطبوغرافية لإقطاعية تبنين، فيتناول سكان ومجتمع الإقطاعية، ومظاهر العمارة في قلعتها، والتي كانت مظهر قوتها، ومدى تأثيرها السياسي والاقتصادي في المجتمع الصليبي في عصر الحروب الصليبية، ومن ثم يوضح العلاقات بين السكان الصليبيين والمسلمين داخل أسوار تبنين، ودورها الاقتصادي الذي ينبع من أهمية المحاصيل

الزراعية التي زرعت فيها وكانت تصدر إلى أوروبا، والذي يعكس أيضًا طبيعة العلاقات السلمية داخل المجتمعين في تبنين رغم أن المسلمين كانوا في حالة صراع مع المحتل الصليبي. وقد بين في هذا الفصل الطراز المعماري لقلعة معتمدًا بشكل أساسي على دراستين أثاريتين ألمانيتين، تم نشرهما في 2008م.

يستعرض الفصل الثاني "نشأة الحكم الصليبي في تبنين"، إذ يتعامل مع قضايا الحكم الصليبي فيها منذ نشأتها حتى تطورها السياسي ودور حكامها خلال القرن الثاني عشر الميلادي حتى سقوطها عام 1187م في يد المسلمين، بالإضافة إلى دورها السياسي في مملكة بيت المقدس وتأثيرها على الأحداث السياسية في الشرق اللاتيني. وتركز الدراسة في هذا الفصل على وضعية أسرة همفري، وأهم حكامها همفري الثاني في تشكيل الأحداث السياسية لمملكة بيت المقدس، وعلاقتها مع النبلاء الصليبيين في الإمارات الصليبية الأخرى، ومع الأمراء والحكام المسلمين في الإمارات الإسلامية المجاورة، الأمر الذي يبرز أهمية تبنين السياسية والاقتصادية والإستراتيجية العسكرية في الشرق اللاتيني.

يظهر الفصل الثالث الموسوم "الدور العسكري لإقطاعية تبنين ضد المسلمين 1105-1187م"، ليتعقب دور تبنين العسكري منذ بداية نشأتها كقلعة عام 1103م، ويبين دورها المهم والأساسي في تغلب الصليبيين على مدينة صور الإسلامية أو الفاطمية عام 1124م، مما يظهر دورها الحيوي في الصراع بين إمارة دمشق الإسلامية ومملكة بيت المقدس الصليبية، فقد كانت تبنين أحد أهم القلاع التي انطلق منها الصليبيون ضد دمشق، فقد انطلقت منها القوات الصليبية للدفاع عن أنطاكية وبانياس والخليل، وشرق الأردن أكثر من مرة ضد هجمات نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ومن قبلهما عماد الدين زنكي، بالإضافة إلى ذلك شاركت تلك الإقطاعية الصغيرة جيش الملك عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية في الهجوم على عسقلان وإسقاطها في عام 1153م، مما أظهر قوتها لتكون قوة أساسية بقيادة حاكمها همفري الأول في الهجوم على مصر في وقت عموري الأول، وتكررت هذه الهجمات التي شاركت فيها، ومن ثم تخرج تبنين هنا من دورها المحلي إلى دورها الإقليمي بمشاركتها في الحملات العمورية ضد مصر، بين عامي 1164-1169م. ولكن بموت أقوى حكامها همفري الثاني قامت مملكة بيت المقدس الصليبية بإخضاعها لسلطانها المباشر حتى عودتها للحكم الإسلامي مرة أخرى في عام 1187م، ويرجع ذلك لأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية العسكرية، وغيرها.

أما الفصل الرابع والأخير فيتناول تبنين بين المسلمين والصليبيين (1187-1266م)، أي تحت الحكم الإسلامي بعد عودتها عقب معركة حطين، وحتى إعادة السيطرة الصليبية عليها بما يعرف باتفاقية يافا، بين فريدريك الثاني والملك الأيوبي الكامل، وفي هذه الحقبة حاول المسلمين استخدامها باستمرار كمنطقة عسكرية استراتيجية في مقاومة الصليبيين، لذلك واصل الصليبيين حملاتهم عليها فكانت أحد أهم الحملات التي قامت ضد تبنين لاستعادتها

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: إقطاعية تبنين "تورون" وقلعتها في عصر الحروب الصليبية

دراسة في دورها الاقتصادي والسياسي والعسكري (1105-1266م)

المؤلف: أحمد شعير

الناشر: دار جرين Grin

عدد الصفحات: 131 صفحة

تاريخ النشر: 30 يناير 2015

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 978 -3656869450

هي الحملة الألمانية عام 1197-1198م، بالإضافة إلى ذلك حاول الصليبيون السيطرة عليها في وقت الحملة الصليبية الخامسة على مصر 1218-1221م، مما جعل المعظم عيسى أخي الملك الكامل ابن الملك العادل للقيام بتدمير قلاعها وحصونها وأسوارها حتى لا يتجه الصليبيون لسيطرة عليها، وظلت سيطرة المسلمين عليها مستقرة حتى أعيدت للسيطرة الصليبية بموجب اتفاقية يافا في عام 1229م. وبعد ذلك العام تنافس فرسان التيتون حلفاء الإمبراطور فريدريك ووريثة عرش تبنين الأميرة إليس Alice، إلا أن رغبة فريدريك كانت تميل لإعطائها إلى الفرسان التيتون، ولكن في النهاية تدخلت محكمة بيت المقدس الصليبية طرفًا في الأمر وأعادتها لوريثتها الشرعية.

وبحلول عام 1240م يظهر حاكمًا جديدًا لها هو فيليب أوف مونتفرات الذي يتزوج من وريثتها ماريا الأرمنية ابنة إليس، ويقوم بدوره حكمًا على تبنين، ولكنه كان في الصف المضاد لملك مملكة بيت المقدس الصليبية فريدريك الثاني، وكان مخالفًا لآل ابلين حكام بيروت وقبرص، محاولاً من خلال تبنين مناهضة الهيمنة الفريدريكية على بيت المقدس، وتحصين تبنين ليضم صور بحلول عام 1246م، مكونًا بذلك إقطاعية كبيرة تضم صور وتبنين، لتكون من أهم الإقطاعيات الاقتصادية والإستراتيجية العسكرية، وقد أشار الباحث إلى أن تبنين ساهمت في حملة لويس التاسع الفرنسية على مصر في عام 1249، بسرية قادها فيليب أوف مونتفرات، وقد حاول هذا الكونتسطبل الانفصال عن مملكة بيت المقدس بتلك الإقطاعية، ولكن حياته ظلت مناوئة لملك بيت المقدس تارة، وأمام محاولات مملكة قبرص الصليبية للسيطرة عليها، وضد المسلمين تارة أخرى، حتى سقط صريعًا هو وابنه عام 1266م أمام اجتياح الملك المملوكي الظاهر بيبرس لتبنين، إذ نجح في استعادة إقطاعية تبنين إلى حظيرة السيطرة الإسلامية مرة أخرى، وأسدل بذلك الستار على الوجود الصليبي فيها، والذي لم يعد لها مرى أخرى حتى يومنا هذا.

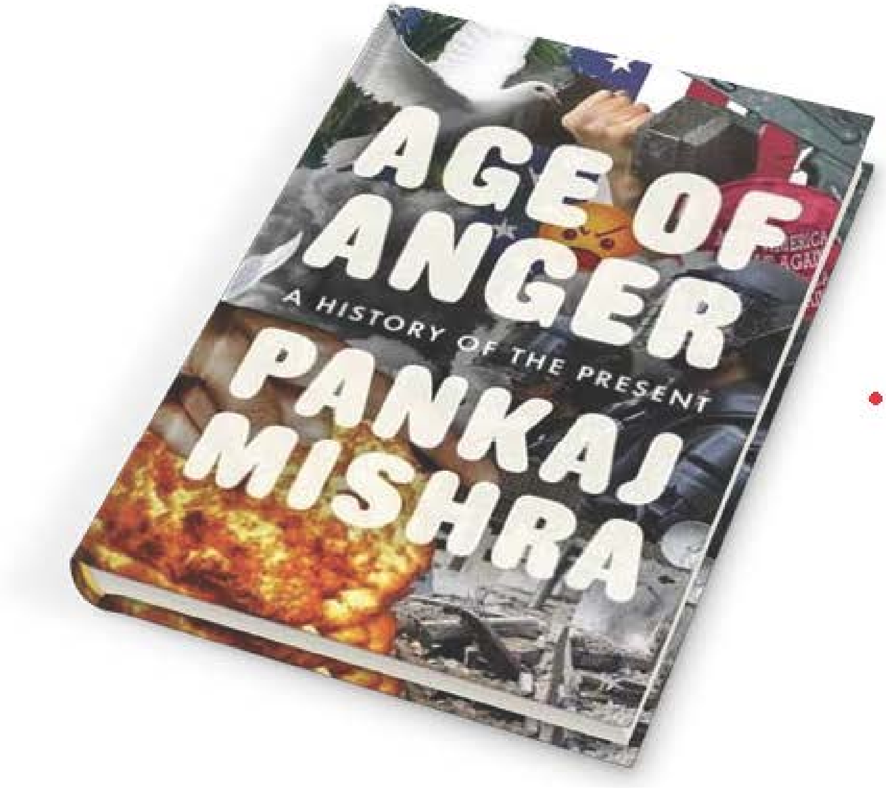
أما أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فتتمثل في أن الدراسة أكدت أن السيطرة الصليبية أو نظام الاستيطان الصليبي في بلاد الشام كان يقوم على سياسة مثل هذه الاقطاعيات الفلاحية الريفية الصغيرة كأحد أهم الطرق لفرض الاستيطان الصليبي على بلاد الشام بشكل كامل. كما بينت الدراسة أن الموقع الجغرافي لتبنين قد أسهم في



تشكيل دورها الاقتصادي، وتميزها الاجتماعي، وإسهاماتها العسكرية والسياسية، التي تأتي من تمكنها من طريق القوافل التجارية المارة بين صور ودمشق، وكانت طبيعتها الجبلية سببًا رئيسيًا في جعلها تمارس دورًا هجوميًا ودفاعيًا في آن، ضد المسلمين وضد هجمات الصليبية عليها، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت لها أهمية زراعية لخصوبة تربتها، وزراعة محاصيل مميزة بها، وكانت هذه المحاصيل تصدر إلى أوروبا وهو ما جعلها تتمتع بشهرة كبيرة في الغرب الأوروبي والشرق اللاتيني معًا، وكشفت الدراسة أيضًا النقاب عن المحاولات المتبادلة بين المسلمين والصليبيين لأجل السيطرة على تبنين نظرًا لما تتمتع به من أهمية اقتصادية، وما تضطلع به من دور عسكري، وموقع إستراتيجي حصين، ولهذا كان لها دور بارز في الصراع الصليبي الإسلامي، حيث كانت منطقة جبل عامل عامة، وتبنين خاصة، لها أهمية كبيرة في النواحي الزراعية والاقتصادية، والتي انعكست على أهميتها السياسية والعسكرية.

أما الطبيعة السكانية لتبنين فقد تميزت بمجتمع خاص، إذ سكنها المسلمون السنة والشيعة، والمسيحيون الشرقيون، والصليبيون اللاتين والغربيون، وغيرهم من الديانات والمذاهب الدينية والأعراق السكانية ما بين عرب وأكراد وتركمان وأوروبيين، وهو ما أعطى لها ميزة المجتمع المزيج، الذي أكسبها أهمية اقتصادية بصفتها سوقًا تجارية رائجة بالإضافة لموقعها الإستراتيجي على طريق التجارة بين صور ودمشق، وتصديرها لكثير من حاصلاتها الزراعية لأوروبا، ومن الناحية العسكرية فقد تبين الدور العسكري العام لتبنين في إسقاط صور عام 1124م، وشن الهجمات على دمشق ثم صدها في عصر عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، ودورها في حماية شمال الجليل وحماية أنطاكية التي تبعد عنها بمسافات، وكذلك دورها في مقاومة الوجود الصليبي بعد معركة حطين عام 1197م، ومحاولات حاكمها الأخير فيليب أوف مونتفرات بين أعوام 1240-1266 للاستقلال بها، ومحاربته للمسلمين والصليبيين والقبرصيين، وسعيه لإعادة أمجاد تبنين ولكنه لم يوفق، إذ نجح المسلمون في استعادتها عام 1266، وأنهوا بذلك الوجود الصليبي فيها إلى غير رجعة لتظل تنعم بالسلام الإسلامي حتى يومنا هذا.

عصر الغضب.. تاريخ الحاضر



يأتي كتاب «عصر الغضب: تاريخ للحاضر»، لأحد كبار مثقفي الهند، بانكاج ميشرا الذي يعيش حاليًا في بريطانيا ليبدد نظريات وتخمينات كثيرة، لقادة الفكر في العالم، توقعت أن أمريكا ستسير بالعالم نحو الأمان والاستقرار، إذ يفكك ويبين خطأ مقولات فرانسيس فوكوياما، المفكر الأمريكي الياباني الأصل، في كتابه الأشهر تحت العنوان التالي:

«نهاية التاريخ والإنسان الأخير»، إذ جاء الكتاب مبشّرًا بانتصار وازدهار رأسمالية السوق وليبرالية و«أمريكانية» القطب الأول، بل والأوحد في عالم التسعينيات من القرن الفائت. كما يبرهن المؤلف عدم صحة ما ذهب إليه صامويل هنتنغتون، أستاذ علم السياسة في جامعة هارفارد، في مقولاته البارزة التي أودعها فصول كتابه الشهير بعنوان: «صدام الحضارات».

ويبرهن أنه، وفي خضم هذه التطورات، وعلى مدار حقبة ربع القرن الفاصلة، بين عام 1989 وحتى المرحلة الراهنة، لم تتحقق نبوءات - شطحات - هذين الكاتبين، بأن البشر سيشهدون معالم نظام عالمي - عولمي جديد، ستقود أمريكا العالم خلاله إلى حقبة من السلام والازدهار بعد انتصارها في الحرب الباردة.

وأن الدولة الديمقراطية ذات الاقتصاد الموجّه نحو السوق ستكون أولى ثمار هذا الانتصار. هكذا فإن هذه المقولات – التصورات.. التهيؤات ما لبثت أن تداعت أركانها.. إلى حد دخل معه العالم في هذه السنوات الافتتاحية من الألفية الثالثة.. حقبة جديدة من الصراعات.

يذهب المؤلف إلى أنه على عكس التوقعات المتفائلة، فإن العالم أصبح يموج حاليًا بتيارات العنف والتباغض والصراعات التي ما لبثت أن اتخذت أشكالاً متنوعة، ما بين الصراعات التي ما برح عالمنا يكتوي بنارها، حيث تتمثل كما يسجل ميشرا، في حروب أهلية وصراعات داخلية وتيارات تحضّ على كراهية الأجانب - «زينوفوبيا»، كما يقول المصطلح المتداول عالميًا.

فضلاً عن تجمعات لاإنسانية في الفكر والمسلك مثل «داعش»، فما بالنا بما أصبح يفور في دوامات السلوك من رفض اللاجئين والاعتداء على النازحين والتنكّر المتعمد لمحنة بني الإنسان في بقاع شتى من عالمنا.

وتبين فصول الكتاب أن نطاق الأزمة الشاملة التي يعيشها ويكابدها عالمنا، إذ يشرح المؤلف أنها أوسع بكثير من جائحة العنف والإرهاب. بل يزداد ميشرا تعمقًا في بحث ظاهرة الغضب الذي ما برح في تصوره يجتاح عالمنا المعاصر.

موضحًا أن لا سبيل إلى التسليم بحكاية «صدام الحضارات» التي كانت رائجة مع عقد التسعينيات في القرن الفائت. فالسبيل الوحيد الذي يراه المؤلف مفضيًا إلى التشخيص الأدق لعالم المرحلة الراهنة، يتمثل في ربط الظواهر والمشكلات والسلبيات، بعضها ببعض.

وفي هذا السياق بالذات، يدعو الكتاب إلى الربط بين «البغدادي» - زعيم «داعش» .. لا مع آفة الإسلاموفوبيا أو كراهية الإسلام، لكن مع غابرييل دانونزيو (1863-1938) الكاتب الإيطالي الذي شكلت مؤلفاته وأفكاره أسس الدعوة إلى العنف العنصري على نحو ما تجسد بعد ذلك في الأفكار والأيديولوجيات العنصرية الفاشية على يد موسوليني الإيطالي، ثم العنصرية النازية على يد هتلر الألماني..

ناهيك عن دعوات جماعات وتنظيمات اجتاحت ولا تزال، أرجاء عالمنا، ومنها ما يرفع شعارات الفوضى – خلّاقة وغير خلاقة، أو شعارات العدمية أو شعارات الإلحاد أو شعارات التفوق، ومن ثم التمييز العنصري والصراع الإثني.

معلومات عن الكتاب:

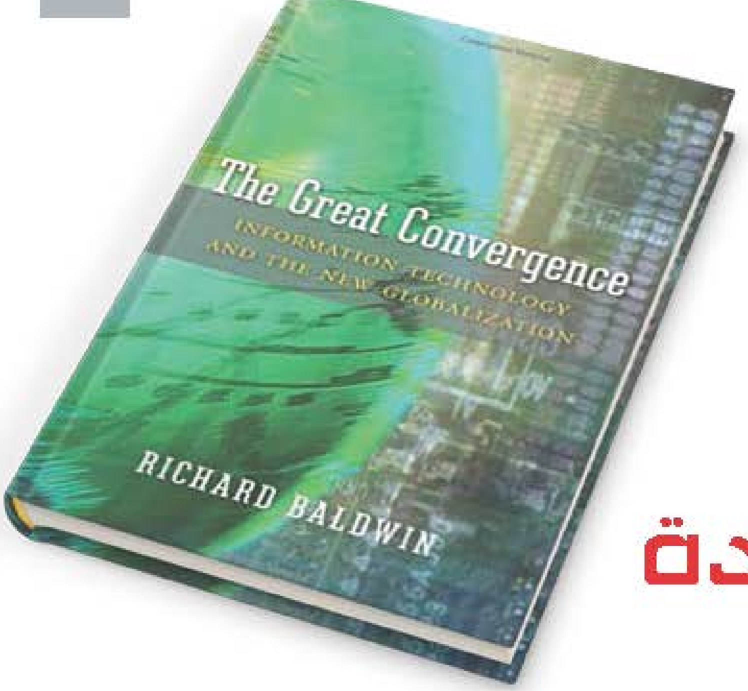
الكتاب: "عصر الغضب: تاريخ للحاضر"

المؤلف: بانكاج ميشرا

تاريخ النشر: 26 يناير 2017

الناشر: Allen Lane

عدد الصفحات: 418 صفحة



التقارب الكبير .. تكنولوجيا المعلومات والعولمة الجديدة

يطل هذا الكتاب على تطور الحياة فوق سطح الأرض، من منظور شامل، بمعنى أنه لا يقف عند ظاهرة واحدة بعينها ولكنه يتعامل مع مراحل هذا التطور بمنطق الترابط أو التلاحم، ابتداءً من المرحلة البدائية لاكتشاف الزراعة وبعدها مرحلة فجر الصناعة بعد اكتشاف طاقة البخار، فمرورًا بمرحلة الكهرباء ثم وصولاً إلى الحقبة الراهنة التي بدأت بالتوصل إلى استخدامات الحاسوب الإلكتروني، بكل ما أعقبه من التوصل إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

حيث أدت ثورة النقل والتواصل اللحظي عبر الكرة الأرضية، إلى تحولات في نوعية وقدرات أقطار الشمال والجنوب، وهو ما بات يفرض في تصور مؤلف الكتاب، إعادة نظر لمراجعة مراكز القوة ومواقع التقدم التكنولوجي والصناعي والعلمي على خريطة العالم. ويوضح مؤلف الكتاب أنه خلق الله الإنسان.. أوكل إليه عمران هذه الأرض.. ووهبه الخالق عزّ وجل عقلاً وفكرًا وموهبة وقدرة على التمييز والابتكار والإبداع.

ومن هنا يظل تاريخ البشر على سطح هذا الكوكب الفسيح، سجلاً حافلاً لقدرة البشر على التعامل البنّاء والمبدع مع آلاء الكون وموارد الطبيعة، ولدرجة بات العلم الحديث يقسمها إلى مراحل محورية أربع.

يرصدها هذا الكتاب من تأليف البروفيسور ريتشارد بولدوين، أستاذ الاقتصاد الدولي بالجامعات الأمريكية والأوروبية، تحت عنوان «التقارب الكبير.. تكنولوجيا المعلومات والعولمة الجديدة».

وتتمثل في: المرحلة الأولى، اكتشاف الإنسان حرفة الزراعة: أي عملية إلقاء بذور في جوف التربة الأرضية ومتابعة نموها في جذور واستوائها في سيقان واقتطاف ثمراتها غذاء تعيش بفضله سائر الكائنات من إنسان وحيوان.

وفي المرحلة الثانية، التي تعرف باسم الانقلاب التقني أو الثورة الصناعية، تمكن الإنسان من اكتشاف طاقة وآلة البخار التي تشكل قوة دفع لعملية التصنيع، بمعنى تحويل الخامات الأولية إلى أدوات ومواد متقدمة وتتيح كفاءة الاستخدام.

وأما المرحلة الثالثة، فاقترنت مواقيتها باكتشاف طاقة الكهرباء بكل ما حفلت به وكل ما أتاحته من تطوير عمليات التصنيع من جهة، فضلاً عن تقدم غير مسبوق في كفاءة الاتصال الدولي والقارّي والإنساني من جهة أخرى.

ويرى الكتاب أن المرحلة الرابعة ترتبط بإمكانات التوصل إلى استخدامات الحاسوب الإلكتروني والتقدم المذهل في كفاءة تكنولوجيات التصنيع والاتصال والمعلومات والأحجام (نانو تكنولوجي).

تحرص الفصول الأولى من هذا الكتاب على توضيح المراحل الزمنية التي اجتازها تطور البشرية، من الحقب البدائية في حياة البشر وإلى الحقبة الراهنة التي نعيشها في الزمن الحالي، وهي حقبة سوبر - متقدمة بكل المقاييس ويحصر المؤلف ذلك بـ أولاً: مرحلة اكتشاف الزراعة. وثانيًا: مرحلة اكتشاف طاقة البخار. ثالثًا: مرحلة ثورة الاتصالات المحدثة، التي يرسم لها المؤلف آماد الحقبة 1820 - 1990.

وكلها - كما قد نلاحظ - مراحل انتهت وأصبحت من مواريث الماضي في سجل البشر. أما المرحلة الرابعة فهي التي لا نزال نعيشها حتى الآن، ويأتي على قمتها توصّل الابتكار البشري إلى الحاسوب الإلكتروني ترقبًا للتوسع في استخدام مُلكات كائن الذكاء الاصطناعي (الروبوت) جنبًا إلى جنب مع ما لا نزال نشهده من تطورات غير مسبوقة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات (آي. تي. تكنولوجي).

وهنا يتوقف كتابنا عند ما أفضت إليه آليات وثمرات هذه المرحلة الرابعة - الراهنة حتى لا ننسى - من نقل تكنولوجيات البلدان الغنية - المتقدمة علميًا وتقنيًا إلى العاملين في البلدان الفقيرة. وهنا يرى مؤلف الكتاب أن هذه الظاهرة التي لا تزال متواصلة أتاحت لبلدان الجنوب سبل التصنيع والإنتاج السلعي المتقدم.

ويجد المؤلف أنه فيما أتاح التقدم في الماضي إمكانية نقل البضائع فها هو التقدم في الحاضر يتيح إمكانية نقل الأفكار. وينبه مؤلف الكتاب إلى أن ظاهرة العولمة في تطورها الراهن أصبحت تندفع لاهثة بفعل تغيرات سريعة الخطى، وبحيث باتت نتائجها تتسم بعنصر المفاجأة بل والمباغتة غير المسبوقة، وبصورة أصبح رصدها ومتابعتها واستشراف نتائجها أمراً بالغ الصعوبة.

إن المدة الزمنية التي يوشك عالمنا أن يدخل في إطارها، ستشهد توسعًا في حجم المراكز أو المحاور المؤثرة إيجابيًا في سياسات عالمنا، وفي توجهات هذا العالم حربًا أو سلامًا.. تفاهمًا أو صراعًا.. إيجابًا أو سلبًا.

وبمعنى أنه لم يعد الأمر يقتصر على أن المصالح الوطنية لهذا البلد أو ذاك تُشكل في حد ذاتها دوافع القرار السياسي، بقدر ما بات يتعين على صانع هذا القرار أن يأخذ في اعتباره حقيقة المتغيرات الجذرية التي ما برحت تستجد على منظومة القوى الفاعلة والمؤثرة على مسير الأوضاع والأحداث في أصقاع هذا العالم بين الشمال والجنوب على السواء.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "التقارب الكبير.. تكنولوجيا المعلومات والعولمة الجديدة"

المؤلف: البروفيسور ريتشارد بولدوين

تاريخ النشر: خريف عام 2016

الناشر: Belknap press

عدد الصفحات: 344 صفحة

8 كتب للمهتمين بالسياسة

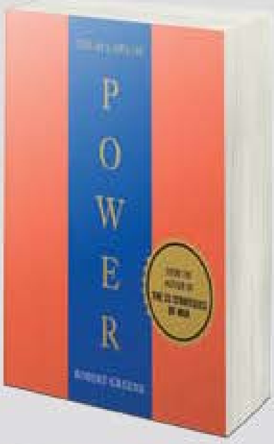
تدور في أذهان الكثير من الناس عدة أسئلة .. أسئلة تحتاج لإجابة واضحة.. هل حقًّا السياسة لعبة قذرة، تستخدم خلالها جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة؟ وكيف تسير الأمور داخل أروقة السياسة وبلاط الحكام؟ وهل يمكن ممارسة سياسة نظيفة؟ وكيف يفكر السياسيون ولماذا يكذبون دومًا على شعوبهم؟ وربما مطالعة القائمة التالية من الكتب قد تخبرك الكثير عن الأمر.

1

الكتاب: "القواعد الـ48 للسلطة"

The 48 Laws of Power

المؤلف: روبرت غرين



صدر هذا الكتاب للكاتب الأمريكي روبرت غرين، في عام 1998، ويقول الكاتب إنه تتبع التاريخ شرقًا وغربًا وسير الأمراء والملوك ودهاليز القصور الحاكمة، ليستخرج من ذلك 38 قاعدة، اعتبرها مفاتيح القوة والنفوذ والتأثير عبر العصور.

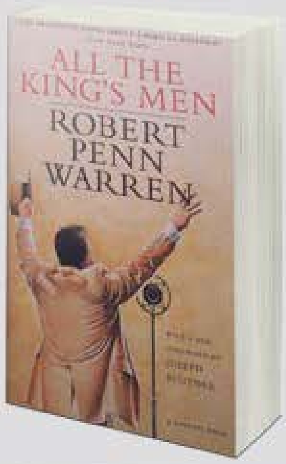
لا تلتزم قواعد «غرين» بالأسس الأخلاقية المتعارف عليها، فيبدو من قراءته للتاريخ أن السياسة هي عملية مجردة من أي قواعد أخلاقية أو دينية أو حتى إنسانية حاكمة، يوجه «غرين» لراغبي السلطة والنفوذ نصائح مثيرة للجدل على شاكلة (لا تشرق أكثر من رئيسك حتى لو كنت أفضل منه – استعن على تحقيق غاياتك بإخفاء مقاصدك – لا تثق في أصدقائك – اهتم بسمعتك لأن ثمنها حياتك – إلفت الانتباه إليك بأي ثمن)، إلى غير ذلك من القواعد والنصائح المصحوبة بأمثلة ودلالات تاريخية غزيرة ستطلعك على تفاصيل ربما لم تكن تعلمها من أروقة القصور.

2

الكتاب: "كل رجال الملك"

All the King's Men

المؤلف: روبرت بن وارن



هل تعرفت يومًا على شخصية السياسي الديماغوجي الذي تعبده الجماهير، وفي الوقت ذاته هو الديكتاتور الذي لا ضمير له. يقضي الرجل خطاباته المفوهة في الحديث عن التغيير والإصلاح ومحاربة الفساد واستعادة حقوق الناس، بينما ممارسته هي خليط من الكذب والفساد والابتزاز. عليك إذا بقراءة هذه الرواية.

رواية "كل رجال الملك" للكاتب الأمريكي روبرت بن وارن، يصنفها كثيرون كأحد أفضل الروايات التي كتبت خلال القرن العشرين، ولم يصعب على الكثيرين معرفة أن الرواية تعد تجسيدًا لشخصية واقعية، هو هوي لونغ، الذي كان حاكمًا لولاية لويزيانا الأمريكية وممثلًا لها في مجلس الشيوخ أواسط سنوات الثلاثين من القرن العشرين. ولقد كان «لونغ» فصيح اللسان خطيبًا مفوّهًا قادرًا بخطاباته على التأثير في الجموع، وكانت الفصاحة هي رأسماله الذي أوصله إلى المركز السياسي المهم الذي تبوأه، دون وجود سابق إنجاز أو سند له في مجال السياسة.

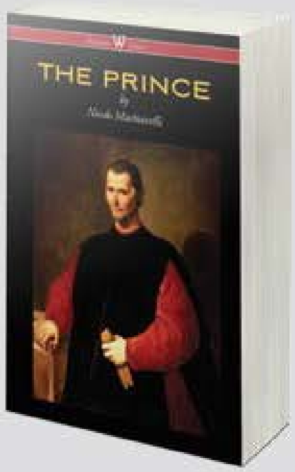
نشرت الرواية لأول مرة عام 1946 وحصل الكاتب بسببها على جائزة البوليتزر الأدبية المرموقة، وتم تجسيدها من خلال فيلمين سينمائيين من إنتاج عامي 1949 و2006.

3

الكتاب: "الأمير"

The Prince

المؤلف: نيقولا ميكافيللي



الكتاب الأشهر لـنيقولا ميكافيللي، الذي يجيب من خلاله ببساطة على سؤال كيف يكون بإمكان أمير أو حزب أو أي كيان يمارس السياسة أن يصل إلى السلطة ويحافظ عليها؟ وبحسب ميكافيللي، فإن القيم والأخلاق ينبغي أن تنحى جانبًا من أي ممارسة سياسية لصالح الأهداف، وعليه فالسياسة عند ميكافيللي، ليست مهمتها تغيير الواقع ولكن التكيف معه والاستفادة منه.

تتلخص أفكار ميكافيللي، دومًا من خلال جملتيه الشهيرتين في الأمور بتبني النظر للغاية وليس للوسيلة.. من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يُحبوك، وبناء عليه فالفضيلة عند ميكافيللي، ليست إلا مجموعة الخبرات التي يحتاجها الأمير للتعامل مع القدر، أي الأحداث الخارجية، ومن ثم فالفضيلة هي خليط من الطاقة والذكاء والقدرة على استغلال الفرص وليست قيمًا ناجزة ومطلقة.

ينصح ميكافيللي، الأمير أن يحافظ على العالم الذي يعيش فيه على ما هو عليه، وألا يسعى إلى تغييره، مهمةُ الأمير هي أن يحصل على أفضل النتائج مع هؤلاء الرجال، من دون أن يعمل على تثقيفهم أو تنويرهم أو تغييرهم.

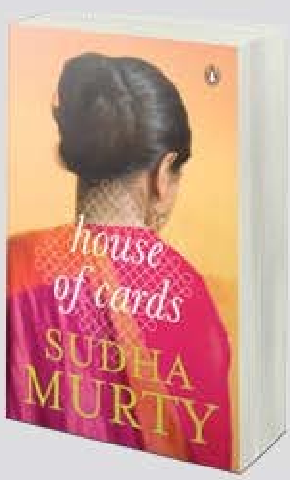
صدر الكتاب في عام 1513، ولاقى انتشارًا عالميًّا أكثر مما كان يحلم به، بل إن نظريته حول أهمية فصل الأخلاق أو الدين عن الممارسة السياسية تعد أحد أهم الأسس النظرية للممارسة الخاصة بمعظم الساسة في وقتنا الحالي.

4

الكتاب: "بيت من ورق"

House of Cards

المؤلف: مايكل دوبز



إذا لم تكن تعلم، فإن المسلسل السياسي الأمريكي الشهير الذي أنتجته «نتفليكس»، مبني على مسلسل بريطاني بنفس الاسم من إنتاج (بي بي سي)، والأخير بدوره مبني على رواية من تأليف «مايكل دوبز».

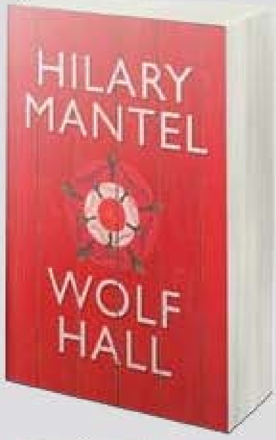
كتب الكاتب البريطاني مايكل دوبز، الرواية في عام 1898، الذي كان يعمل لحساب حزب المحافظين البريطاني لمدة طويلة، قبل أن يتم تحويرها إلى المسلسل التليفزيوني الأشهر حول قصة السياسي فرانك أندروود، (يقوم بدوره كيفين سبايسي) وهو زعيم أغلبية الحزب الديمقراطي في مجلس النواب الأمريكي النائب عن الدائرة الانتخابية الخامسة بولاية كارولاينا الجنوبية، والذي يضع لنفسه خطة مدروسة لامتلاك القوة والنفوذ، الذي بعد أن تم التغاضي عن تنصيبه كوزير للخارجية.

5

الكتاب: ذئب الصالة

Wolf Hall

المؤلف: هيلاري مانتل



رواية الكاتبة البريطانية هيلاري مانتل، التي حصلت من خلالها على جائزة البوكر، وهي رواية تاريخية صدرت في عام 2009.

ما يشبه السيرة التاريخية المفعمة بالعذاب والتعذيب والدسائس والإهانات السياسية والدبلوماسية البدائية في حياة السياسي الإنجليزي توماس كرومويل.

وتحكي الرواية قصة صعود «توماس كرومويل»، رئيس وزراء الملك هنري الثامن، والصراعات السياسية في الديوان الملكي للملك هنري».

تبدأ الرواية بـ«كرومويل» الذي تم تقديمه كضحية لوالده العنيف، ثم تسرد قصته عندما يتولى خدمة الكردينال «وولسي»، قبل أن يتدرج في تقلد المناصب المختلفة حتى يصبح أبرز مساعدي الملك هنري الثامن، ويساعد الملك في محاولاته للانفصال عن البابوية في روما. ثم يتصاعد نفوذه ليبدأ في تنفيذ إرادته الخاصة ضد إرادة المملكة.

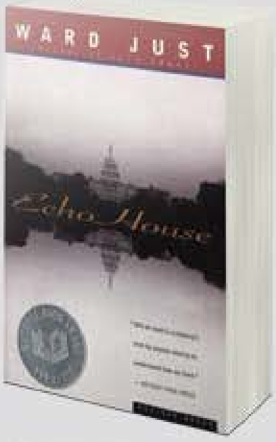
وتصف الرواية كرومويل الذي هرب من أسرته عندما كان عمره 15 عامًا، لكنه في الوقت نفسه لايعرف تاريخ ميلاده، بطريقة استاليتية فاسدة كشخص عديم الرحمة، ومناور، وطموح في حياته السياسية العامة، كما هو في حياته الخاصة.

6

الكتاب: "بيت الصدى"

Echo House

المؤلف: وارد جاست



رواية "بيت الصدى" للكاتب الأمريكي وارد جاست الصادرة في عام 1997، تتعقب خلالها 3 أجيال من عائلة واحدة تقطن في العاصمة واشنطن، بداية من حقبة الحرب العالمية الأولى في السياسة الأمريكية، قصة عائلة «بيهل» القوية وتفاعلاتها مع الكثير من السياسيين وأزواجهم والصحفيين والمحامين والجنرالات، وهي جملة من الممارسات التي تبدو مظلمة وغير أخلاقية، ولكنها واقعية إلى أبعد مدى.

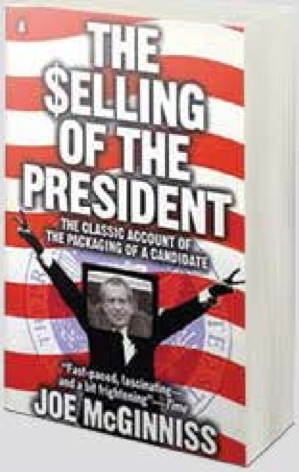
يعد وارد جاست مراسل وكاتب سابق في صحيفة واشنطن بوست، وله عشرات من الروايات.

7

الكتاب: "بيع الرئيس (1968)"

The Selling of the President

المؤلف: جو ماكغينيس



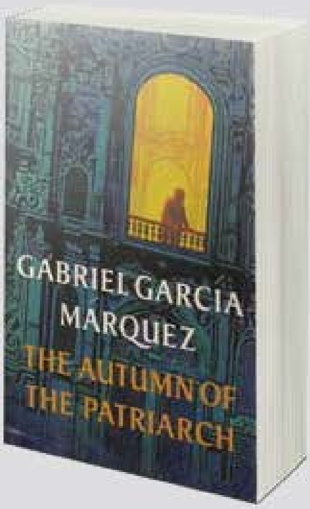
تحكي هذه الرواية عن الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون الذي كان يقدم نفسه كأحد المنتجات الاستهلاكية في عام 1968 خلال انتخابات في تلك الحقبة، حقيقة أن السياسيين يقدمون أنفسهم بطريقة مركزة أشبه بتقديم أحد المنتجات الاستهلاكية صارت أحد حقائق عام 2014، لكن الأمر يصير صادمًا حين نتحدث عن عام 1968، يخبرك الكتاب الكثير حول أهمية وسائل الإعلام بالنسبة للسياسيين، ولماذا من المهم بالنسبة لهم السيطرة الكاملة عليها.

8

الكتاب: خريف البطريرك

The Autumn of the Patriarch

المؤلف: غابرييل غارسيا ماركيز



رائعة الراحل «غابرييل غارسيا ماركيز»، الديكتاتور كلي الوجود الذي يعلن الحرب على جميع منافسيه، الحاكم في رواية «ماركيز» ، ديكتاتور جاهل لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ضعيف لا يشعر بالقوة إلا بقرب أمه منه ما دفعه أن يعطيها صفة قديسة الوطن بمرسوم ملكي، يفعل ما يشاء وقتما يشاء.

يحكي «ماركيز» ، الأيام الأخيرة للديكتاتور عائدًا إلى الوراء حين يستعيد الديكتاتور شريط حياته في أيامه الأخيرة وكأنه جسد بلا رأس، وترمز الرواية وفقًا للكثير من المتابعين إلى ديكتاتور تشيلي الراحل «أوغستو بينوشيه».

إن فلسفة البطريرك حيال هذا الموضوع (أن لا أحد هو ابن أحد إن لم يكن ابن أمه فقط)، ويبدو أن تلك الفلسفة تعفيه من سر أمه إذا ما تم ترسيخها، فمن المعروف أنه كان رجلاً بدون أب مثل كل الطغاة شهرة في التاريخ.

ويقول البطريرك في ذروة خريفه: أعيش أنا ويموت ضحاياي، ويكتبها خلسة على جدران المراحيض العمومية في زوايا مملكته البائسة، ويطربه سماعها من أفواه الجوعى والمتسكعين والمشلولين والمتسولين على درجات سلم القصر الرخامي والبرصي تحت أشجار الورد: – انثر على رؤوسنا ملح العافية سيدي البطريرك.



7 مهارات للذاكرة تجعلك أكثر ذكاءً

وسط هذا التقدم المعرفي، وسهولة الوصول إلى المعلومة، يحتاج المرء لأن يزيد من حصيلة مهاراته بشكل عام، ومعرفة توظيف كل المهارات ونقاط قوته لتخدمه بالشكل المطلوب وسط التسارع الزمني الذي يشهده عالم الأعمال والمعرفة.

إن القدرة على التعلم هي أهم المهارات التي يحتاجها الفرد، نحن نحتاج التعلم والتذكر طوال حياتنا، وإذا كنت جيدًا في التعلم فأنت تملك مهارة تجعلك تسبق زملاءك سواء في العمل أو الدراسة.

هذا ما يقوله الأساتذة "بيتر براون، وهنري روديجير، ومارك مكدانيل"، مؤلفو كتاب: Make It Stick: The Science Of Successful Learning



توليد الأفكار الخاصة بك عندما تكون عالقة قبل التحدث مع رئيسك في العمل

من الكتاب استقى موقع Business Insider أن الأهم من مهارة التعلم هو تذكر ما تتعلمه، ولكن للأسف فإن الكثير من تقنيات التعلم التي تتعلمها في المدرسة لا تساعد في التذكر على المدى الطويل، مثل: الحشو، أو تسليط الضوء.

ولتغلب على هذه العادات السيئة، رصد التقرير 7 مهارات للتذكر من شأنها أن تجعلك أكثر ذكاء، وهي:

1 - الاسترجاع: استعادة الأمور من الذاكرة.

الاسترجاع هو محاولة تذكر فكرة أو طريقة من الذاكرة، وهو أسلوب فعال، لأنه يقوي المسارات العصبية المرتبطة مع مفهوم معين.

وتذكر أمر ما يجعل تذكره أسهل في المستقبل، شرح الباحثون في الكتاب أن الامتحانات الأكاديمية لا يجب أن تكون مجرد وسيلة لتقييم الطلبة، وإنما يمكن أن تكون أيضًا أداة تعليمية.

2 - الاسترسال: إضافة التفاصيل وربط الأفكار الجديدة بالقديمة.

طرح الأفكار بلغتك وأسلوبك الخاص وربط الأفكار الجديدة بما تعلمته سابقًا يساعد على تذكرها بطريقة أقوى، فكلما استرسلت في الوصف ارتبطت المعلومة الحديثة بالمعلومة القديمة الموجودة لديك.

3 - التداخل: تنويع المواضيع.

عندما تعمل على أفكار عدة في وقت واحد، فهذا يدعى التداخل. إن محاولة فهم فكرة أو موضوع اعتمادًا على أساسيات موضوع آخر تزيد من قوة تعلمك، مثلاً في أساسيات الاقتصاد أنت ستتعلم بشكل أفضل إذا نوعت المصادر الخاصة بك.

4 - التوليد: التوليد والإجابة عن الأسئلة.

عندما تجيب عن الأسئلة بنفسك قبل الحصول على الإجابات الصحيحة فهذا يسمى التوليد، فالتجربة والتفكير حول الاحتمالات يزيدان من فرص تعلمك.

في الأوساط الأكاديمية يمكنك العمل على إيجاد الحلول الخاصة بك قبل أن يبدأ الدرس. في الإعداد المهني يمكنك تزويد أفكارك عندما تكون عالقًا قبل التحدث مع رئيسك في العمل.

5 - التفكير: تقييم ما حدث.

عندما يكون لديك بضع لحظات لمراجعة ما حدث في مشروع أو اجتماع، فأنت تفكر.

قد تسأل نفسك بعض الأسئلة: ما الذي كان جيدًا؟ ماذا تستطيع أن تفعل لتطويره؟ بماذا يذكرك الأمر؟ ووجد الباحثون في كلية هارفارد للأعمال أن المراجعة والتفكير فيما حدث لبعض الوقت وطرح الأسئلة أو تدوين ذلك لمدة 15 دقيقة تزيد من الأداء بنسبة 23% عن الآخرين.

6 - تقوية الذاكرة: فن الاستذكار واستخدام خدع التذكر.

عندما تستخدم اختصارًا أو صورة لتتذكر شيئًا ما، فأنت تستخدم مهارة تقوية الذاكرة.

إن أساليب تقوية الذاكرة ليست أدوات تعلم في حد ذاتها، ولكنها تستخدم في فن الاستذكار، مثل: استخدام صور أو اختصارات للتذكر.

هذه الطرق لتبني نموذج عقلي للأفكار، والذي يحسن التعلم والتذكر.

7 - المعايرة: التعرف على الأمور التي لا تعلمها.

عندما تعاير ما تعلمته لاكتشاف الأمور التي لم تتعلمها بعد، فهذا يسمى "معايرة"، وهو فعل بسيط لاستخدام أدوات لإيضاح الأوهام والأحكام الخاطئة.

وهذا أمر ضروري لأننا جميعًا نعاني من الأوهام المعرفية، حيث نعتقد أننا نفهم شيئًا عندما لا نكون متأكدين تمامًا، إذن فالاختبار أو جمع تغذية راجعة من زميل يساعد ذلك على التعرف على البقع العمياء دومًا.

المصدر:
Business Insider

الاسم الحقيقي والاسم المزيف!

د. ريمه الخاني
سوريا

يعلو صوت إحدى اليافعين معربًا عن رفضه لاسمه، وعن كرهه له أحيانًا كثيرة، ويصر بقوة أنه لا يحبه!، ولو خير لما اختار!.

هل كان مؤهلاً للسؤال والاختيار حينها؟، أم المسؤولية تقع حتمًا على الأهل وسوء اختيارهم مثلاً؟.

هناك تقليدًا معروفًا في بيئتنا، أن يسمى كبير العائلة ابنه على اسم الجد... ولن يخطر في ذهنه طبعًا، كون الاسم موفقًا، أو أن الطفل سوف يحبه.. مهما مهدوا له وذكروا مناقب الجد..

الطريف في الأمر، أنني أتذكر جيدًا صديقة الغربة التي جعلتنا الظروف، في حالة من الحميمية غامرة، خاصة عندما كان زوجانا يسافرن مدة غير قليلة من الزمن، فنصوم ونفطر .. نطبخ ونقرأ.. نرضع أولادنا مبادلة .. حتى عندما تخرجت جارتي أخيرًا من كلية الآداب جامعة دمشق، اختصاص لغة عربية، وآن أوان الافتراق بالأمكنة لزوم عمل الرجال .. أقرت بأن اسمها الحقيقي كان "فاضلة" وليس غالية، لكن غالية هو الأقرب لروحها وقلبها!! كان فاضلة اسم الجدة الجزائرية!!.

والخبر الثاني هنا .. أن اخبارها انقطعت عني تمامًا بعد ذلك....

إن إجراءات تغيير الاسم كما تابعتُ متعبة جدًا، لأنها تقلب كل شيء وتترك له ذيولاً دومًا .. حتى إنه عطل إحداهن عن الحصول على وظيفة مهمة، لأن إجراءات تغيير الاسم لم يكن متقنة وكاملة!!!!.

بعض المثقفين، يجد في اسمه طاقة منخفضة تبعًا لطاقة الأحرف فيه، فطاقة اسم طلحة يختلف عن يوسف... ولا نظن أن لهذا مرجعية علمية موثوقة، سوى تفسير بعضهم، من أن مجرد ذكرك لتأثير الاسم عليك، أنك ستشعر بذلك فهل هو التأويل الوهمي؟.

فكثرة الاستثناءات في القاعدة يخرقها حتمًا....وعليه فالتأويلات ابتعدت عن الشط المنطقي بداية...

في موقع "الباحثون السوريون "أنكروا أيضًا أهمية القيمة العددية للحرف، في تفسير هذا اللغز الغريب..! وتأثير الاسم على صاحبه.

حتى بعض دراسات عن الشخصيات من الأسماء لا تملك منطقية علمية واضحة على عمومها.

تاريخيًا:

لو عدنا لأصل هذا المفهوم، عرفنا جذوره وأصوله كما وردت:

لقد أولى فلاسفة اليونان اهتمامًا كبيرًا لقضية الدلالة في أبحاثهم. ومن أهم القضايا الدلالية التي تناولها اليونان بالدراسة، قضية العلاقة بين اللفظ ومعناه، والتي تعارضت فيها نظريتان. ترى الأولى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه طبيعية، وترى الثاني أن العلاقة ناجمة عن عرف واصطلاح وتراض بين البشر. ونجد أفلاطون وهو أشهر من يمثل الاتجاه الأول في حواره كراتيل من "أن للألفاظ معنى لازمًا متصلاً بطبيعتها أي أنها تعكس – إما بلفظها المعبر وإما بنية اشتقاقها – الواقع الذي تُعَبِّرُ عنه". أما الاتجاه الثاني، فيمثله أرسطو إذ يعد الناطق بهذه النظرية القائلة، لأن "للألفاظ معنى اصطلاحيًا ناجمًا عن اتفاق وعن تراض بين البشر".

عند المسلمين:

ظهرت بدايات هذا العلم عند العرب والمسلمين وقالوا بالعلاقتين الطبيعية أو العرفية بين اللفظ والمعنى، وأشهر من قال بالعلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى هو عباد بن سليمان الصيرمي كما أشار إلى ذلك السيوطي، كذلك يفهم من رأي ابن فارس في النشأة التوقيفية للغة أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ذاتية لا عرفية. أما جمهور اللغويين المسلمين فيرون أن العلاقة بينهما عرفية اصطلاحية، ولكن أغلبهم ظل يلتمس مناسبة بين أصوات الألفاظ ومعانيها دون أن يزعموا اطراد ذلك. كما بحث البلاغيون كالجرجاني والسكاكي وغيرهم، والذين وصلوا إلى دراسة معنى الكلمة (الدال والمدلول)، ومعنى الجملة (الإشارة، والاستدلال)، وتناوله اللغويون الغربيون المحدثون بالبحث والدراسة في أواسط القرن المنصرم؛ حتى غدا اليوم علمًا متكاملاً يدرس في أكثر جامعات العالم.

عند الغربيين:

ويرجع أول ظهور لدراسة علمية خاصة بالدلالة إلى أواخر القرن التاسع عشر هي تلك التي قام بها اللغوي الفرنسي ميشال بريال حين كتب بحثًا بعنوان "مقالة في السيمانتيك، وذلك سنة 1897. فميشال بريال هو "أول من استعمل المصطلح "سيمانتيك" لدراسة المعنى". وقد كانت دراسة المعنى عنده منصبة على اللغات الهندية الأوروبية مثل اليونانية واللاتينية والسنيكريتية، وعدّ بحثه آنذاك ثورة في دراسة علم اللغة، وأول دراسة حديثة خاصة بتطور معاني الكلمات. وهذا يعني أن الدراسة الدلالية عنده كانت "مقصورة في الواقع على الاشتقاق التاريخي."، وفي سنة 1923 ظهر كتاب آخر تحت عنوان "معنى المعنى" الذي ألفه الإنجليزيان أوجدن Ogdan وريتشاردز Richards. وقد جاء هذا الكتاب نتيجة التأثير الكبير الذي أحدثه ميشال بريال، إذ كان بمثابة الموجه إلى قضية مهمة تعنى بالمعنى هي السيمانتيك.

خاتمة:

من جهة أخرى، عندما يغلف أحدهم ما اسمه باسم مزيف مثلاً، هل يجد تغييرًا جديدًا طرأ عليه؟.

وهل ما سلف من اعتقاد هل يجعلنا نتخذه نظرية؟ أم نستانس به فقط؟، وذلك لأنه أمر لغوي صرف كما لاحظنا، لا قاعدة منطقية له، ولو تذكرنا أولئك الذين يحتاجون تورية اسمهم، في بداياتهم، الثقافية، لسبب ما هل لهذه الكنية الجديدة تأثير؟ سوى معرفة ما أهمية اللفظ من تأثير على الجمهور، كونه يحمل معنى لافتًا...

يقول الدكتور ولاتو عمر حول هذا الأمر: لقد استعان كتاب كثيرون بالأسماء المستعارة لأسباب مختلفة. وكان تشيخوف أكثر الكتاب حذلقة في إنشاء تلك الأسماء. ويقول تشيخوف بهذا الصدد: "منحت اسم عائلتي للطب، المهنة التي لن أتخلى عنها حتى الممات. فيما يخص الأدب، فأني سأتخلى عنه عاجلاً أم آجلاً، لأن الطب مهنة جدية أما لعبة الأدب فتتطلب ألقابًا مختلفة!!!".

لجأ كاتبنا إلى استخدام الأسماء المستعارة لا من أجل إخفاء اسمه بل لكي يسلي القارئ ويدفعه إلى التفكير والتخمين لمعرفة أسم كاتب القصة...

لقد استخدم تشيخوف أكثر من 50 اسمًا مستعارًا إلا أنه بإلحاح من صديقه الناشر والصحفي والمسرحي والناقد الروسي المعروف سوفورين، يبدأ تشيخوف بتوقيع قصصه في مجلة "نوفويه فريميا (العصر الحديث) باسمه الحقيقي واستمر في الوقت نفسه باستخدام الأسماء المستعارة في الصحف الساخرة .. مع انتقاله إلى موسكو ودراسته الطب سلك تشيخوف طريقه الخاص مبتعدًا عن المجلات الضخمة وبدأ بتواضع في نشر مقالاته الصغيرة وقصصه في الصحف الساخرة. وأظهر تشيخوف الشاب في أول قصة له بعنوان "رسالة إقطاعي من منطقة الدون" (عاد تشيخوف وعنونها فيما بعد لتصبح: "رسالة إلى جاري

"استخدم تشيخوف أكثر من 50 اسمًا مستعارًا إلا أنه بإلحاح من صديقه الناشر والصحفي والمسرحي والناقد الروسي المعروف سوفورين، يبدأ تشيخوف بتوقيع قصصه في مجلة "نوفويه فريميا (العصر الحديث) باسمه الحقيقي"

العالم") براعة فائقة في الكتابة بتواقيع مستعارة. فهو لم يكن ينتحل الاسم فحسب، بل كان يحكي بلغتهم، ويقلد أساليبهم، ويفكر بعقلهم.

ربما كان هذا لون الحقبة الأدبية تلك للأسماء المغمورة كذلك، ولكن القارئ سوف يلاحق الاسم حتى يصل أخيرًا حتمًا، ففضوله حال شهرة هذا الكاتب لن يرحم.

وعليه وعلى الرغم من أن الكاتب الروسي الشهير أنطون تشيخوف وقع بأسماء عديدة، إلا أنه دخل عالم الأدب باسمه الحقيقي، وترجمت أعماله إلى كافة لغات العالم، ورسخت أسماؤه المستعارة في أذهان قراءه ومحبي أدبه منذ 130 عامًا وحتى يومنا هذا..

وعليه فهو أمر متعلق بالغرض من الاسم وتبعاته المعنوية، ومدى توظيفه جيدًا لخدمة هدف ما مناسب.

وعود للسؤال من جديد: إن كان هناك أسباب أخرى لاتخاذ أحدهم اسمًا وهميًا، فهل هذا يعني بحال من الأحوال كتفسير أولي، أنه مزدوج الشخصية؟؟.

أطلقت المهندسة ميساء حلواني نداء عبر الفيس بوك، كان التالي: تعالوا لنتخفى بأسماء وهمية وصور وهمية، ونبقى أصدقاء لكي نقول أشياء حقيقية وتعليقات حقيقية...ونترك التنظير و التشخيص و الوعظ، و نقول ما نحب ونشعر و نعاني بصدق...!!!

دعونا نسكب من ذواتنا، ومن أوانينا، ونخلع معاطف التنكر، وابتسامات التنكر وحتى دموع التنكر....

لنكن حقيقيين ولو ليوم واحد....

الهوامش:

1 - موسوعة ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D984%%D985%__%D8%A7%D984%%D985%%D8%B9%D8%A7%D986%%D98%A

2 - راجع دراسة عن اسماء انطون تشيخوف المستعارة:
http://www.alcornish.com/node/564



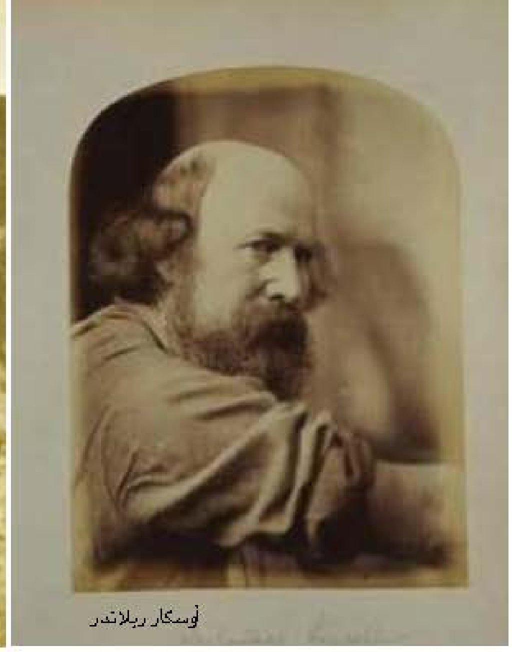
السيلفي
هوس غيّر معالم الصورة وزاد روعة اللحظة

المحرر الثقافي

إضغط هنا لمشاهدة ظاهرة صور السيلفي بين الشباب

اجتاحت التكنولوجيا بكل صورها وصرعاتها حياتنا، ولعل صور "السيلفي" آخر هذه الصرعات التي باتت هوس شارك فيه زعماء سياسيون وفنانون ومؤسسات قبل الناس العاديين. فلا تخلو مناسبة أو مأدبة عشاء أو حتى اجتماع عائلي وأحياناً مواقف مضحكة وأخرى مرعبة إلا وتكون "السيلفي" حاضرة فيها.

وبالرغم من مُساهمة الشبكات الاجتماعية في انتشارها، إلا أن نشأة هذا النمط من الصور يعود إلى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وذلك بفضل كاميرات براوني، حيث كان المصورون الذين يلتقطون تلك الصور الشخصية يستعينون بمرايا لالتقاط تلك الصور. أما عن تسمية Selfie فتعود إلى سنة **2002** على المُنتدى الإلكتروني الأسترالي ABC Online، قبل أن يتم اعتمادها على نطاق أوسع سنة **2012**.


أوسكار ريلاندر


أول صورة سيلفي في التاريخ من عام 1926


توم بايرون (يمين) من هواة التصوير الفوتوغرافي يلتقط صورة مع ثلاثة من زملائه في ديسمبر 1920


امرأة مجهولة الهوية تأخذ صورة لها عن طريق كميرا من خلال المرآة عام 1900


مصورين من شركة بايرون الأمريكية يحصلون معًا على صورة سيلفي "Selfie" في مدينة نيويورك ويظهر في الصور توم بايرون (يسار) وبن فليك (يمين) يحمل كل منهما جانب من الكاميرا بينما يتجمع ثلاثة أشخاص معهم لالتقاط الصورة، وتم التقاط هذه الصور في ديسمبر عام 1920.

عرف هذا المصطلح انتشارًا واسعًا جدًّا عالميًّا بعد صورة السيلفي الشهيرة، التي التقطتها ألين دي جينيريس في حفل توزيع جوائز الأوسكار السادس والثمانين مع أشهر نجوم هوليوود.

أقدم صورة سيلفي

لقد تم التوصل تقديريًّا إلى تاريخ أقدم صورة "سيلفي" في التاريخ وجدت صدفة في ألبوم صور عائلة إنجليزية لزوجين بريطانيين يمسكان بأداة مثل عصاة السيلفي، ويصوران نفسيهما في شارع "واروبكشاير"، حيث كانا يعيشان بعد عام واحد فقط من الزواج، والتقطت الصورة بالأبيض والأسود وذلك سنة 1926، وهي أول صورة سيلفي في التاريخ.

لكن بحسب موقع "الكومبس" السويدي يُعتقد أن تكون أول صورة ذاتية "سيلفي" في العالم مأخوذة من قبل المصور السويدي أوسكار ريلاندر Oscar Rejlander عام 1850، أي قبل 164 عامًا من وقت انتشارها، حيث بيع الألبوم الذي يضم صور ذاتية أخرى بنحو 800 ألف كرون سويدي.

وكان المالك الحالي لألبوم الصور قد اتصل بشركة مزاد بريطانية، وأراد بيع كامل الألبوم بحوالي 1100 كرون سويدي، إلا أن بائع المزاد لم يكن لديه أدنى فكرة عن قيمة الصور.

وعرف ريلاندر خلال المدة التي قضاها بسلسلة صور "وجهان للحياة"، لكن صور ريلاندر استعادت هيبتها عندما اشترت الملكة فيكتوريا نسخة من الصور وأعطتها للأمير ألبرت.

الصورة النرجسية

في حين يوصف الالتقاط المفرط للصور الشخصية بالنرجسية الزائدة، إلا أن هناك من يعده نوعًا جديدًا من التواصل الاجتماعي، خاصة بعد أن ظهرت تطبيقات خاصة بذلك على الهواتف الذكية، مثلما هو عليه الحال مع تطبيق سناب شات. كما ظهرت مؤخرًا موضة جديدة تتعلق بالتقاط شخصية جماعية بدل الفردية.

إدمان صورة السيلفي ومواقع التواصل

أشارت دراسة أجرتها الرابطة الأمريكية للطب النفسي (APA) أن انتشار هذه الظاهرة بشكل واسع وحاد في



كلمة سيلفي وبحسب ما ورد في صحيفة واشنطن بوست فإن هذه الكلمة تعد هي الكلمة الحديثة التي قام قاموس أكسفورد بإضافتها في نهاية عام 2013، حيث أوردت التقارير أن استعمال هذه الكلمة قد زاد خلال هذه السنة بنسبة 17.000 مرة عن السنة الماضية. وأن أكثر الاستعمال هو في موقع (فيس بوك)، الذي تنتشر فيه الصور، بالإضافة إلى الرسائل، وموقع (إنستغرام)، الذي يركز على الصور، ذاتية، وغير ذاتية، وتعريف الكلمة بناء على قاموس اكسفورد هو:

A photograph that one has taken of one self, typically one taken with a smartphone or webcam and uploaded to a social media web site

"صورة ملتقطة ذاتيًا بواسطة هاتف ذكي أو ويبكام، وتنشر على موقع للتواصل الاجتماعي".

وقد صرح محرك Yahoo بأن في العام 2014 التقطت حوالي 880 مليار صورة أي 123 صورة لكل واحد من سكان الأرض. ويتوقع أن يكون الكثير منها من نوع "سيلفي"، وقد قام وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولن باول بنشر صورة شخصية له على حسابه على (فيس بوك)، التقطها بنفسه قبل 60 عامًا، بطريقة "سيلفي".

وفي بريطانيا أشارت دراسة طلبتها شركة "سامسونغ" الكورية الجنوبية لصناعة الهواتف أن 17 في المئة من الرجال و10 في المئة من النساء يلتقطون صور "سيلفي"، "لأنهم يرغبون أن تكون لديهم صور جميلة لأنفسهم".

أصول كلمة سيلفي

تعود أصول كلمة سيلفي لأستراليا حيث إن منشأها من هناك، ومصطلح سيلفي أيضًا ساهم في شهرة العديد

> **– في 2013 استعملت كلمة سيلفي 17.000 مرة.**
> **– محرك البحث ياهو صرح بأنه في العام 2014 التقطت حوالي 880 مليار صورة أي 123 صورة لكل واحد من سكان الارض، ويتوقع أن يكون الكثير منها من نوع "سيلفي".**
> **– 17 في المئة من الرجال و10 في المئة من النساء يلتقطون صور "سيلفي"، "لانهم يرغبون أن تكون لديهم صور جميلة لانفسهم"**

من الأشخاص حسب الحالات التي قاموا بالتصوير فيها، فهناك تلك الشابة التي التقطت لنفسها صورة على جسر بروكلين في نيويورك، فلم تكن لتتصور أنها خلدت أيضًا محاولة انتحار في خلفية الصورة.

هل السيلفي أنانية؟

ويقول المصور الفرنسي جان- فرنسوا فيبيري لوكالة الصحافة الفرنسية: إن السيلفي "عملية توسع في المجال الاجتماعي - الافتراضي".

ويضيف المصور "فكرة أن يلتقط الشخص صورة لنفسه خلال رحلة إلى الخارج أو خلال حدث، ليقول: (لقد كنت هناك) أمر أناني مثل المرحلة التي نمر فيها. فينبغي أن تكون جميعًا أبطال حياتنا الخاصة".

وهو يأسف لانقضاء المرحلة التي "كنا نلتقط فيها صورة لصديق ونرسل له نسخة عنها مع إطار ربما. وكان الأمر يثير الفرحة وكان بمثابة هدية ودليل صداقة".

هوس السيلفي

حقق فيديو نشره مراهق لنفسه في موقع يوتيوب 20 مليون مشاهدة. ودخل المراهق جاريد مايكل عالم الشهرة بسيلفي التقطه لنفسه بجوار قطار سريع ليصبح حديث الملايين من الناشطين في مواقع التواصل الاجتماعي ورجال الإعلام حول العالم.

وتلقى مايكل ركلة في وجهه من قبل عامل كان على متن القطار كادت تفصل رأسه عن جسده بعد أن حاول تحذيره من خطورة فعلته.

كما أنفقت أمريكية نحو 15 ألف دولار للخضوع لجراحات تجميلية تُمكنها من التقاط صورة سيلفي لها براقة دون فوتوشوب أو إضافة أي مؤثرات لخفايا العيوب.

ونقل ضابط شرطة أمريكي إلى المستشفى بعد أن تعرض للعض من قبل كلب يعمل في سلك الشرطة عندما حاول أن يلتقط صورة "سيلفي" بصحبته، وتسبب الكلب في جروح خطيرة في ذقن مارسون وتمزق في شفتيه.

ولم يقتصر الأمر على الأشخاص، فقد أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" عزمها التقاط "أكبر صور ذاتية على كوكب الأرض"، تحتوي على أكبر عدد ممكن من سكان الكوكب.

وسمحت "ناسا" لكل من يرغب في المشاركة في هذه الصورة التقاط صور لنفسه ونشرها في مواقع تويتر

وفيسبوك وانستغرام، واستخدام هاشتاغ "GlobalSelfie#".

بالنسبة إلى الزعماء السياسيين، يُعدُّ الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما أكثر الرؤساء هوسًا بالتقاط سيلفي، ونشر نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن، صورة التقطها بنفسه له مع باراك أوباما على طريقة السيلفي (selfie)، وهما يضحكان في أثناء ركوبهما السيارة الخاصة بالرئاسة الأمريكية.

وأثارت الصورة العديد من الانتقادات لـ بايدن وأوباما خاصة أنها تعقب صورة selfie انتشرت للرئيس الأمريكي مؤخرًا جمعته بلاعب كرة السلة، ديفيد أورتيز، وتبين بعد ذلك استخدامها في أحد الإعلانات التجارية، وهو ما هاجمه بسببه أعضاء بالكونغرس الأمريكي، مما دفع البيت الأبيض إلى التأكيد على أن أوباما لم يكن يعلم بذلك.

وهاجمت الصحف الأمريكية ولع أوباما بتصوير نفسه أو مع آخرين بطريقة selfie، حيث التقط صورة له أيضًا مع رئيس الوزراء البريطاني، ديفيد كاميرون، ورئيسة الوزراء الدانماركية، هيل ثورنيينج شميدت، خلال لقاء مشترك.

سيلفي مرض نفسي

حذر علماء نفس مؤخرًا من أن التقاط الكثير من الصور الشخصية السيلفي "selfie" قد لا يكون مجرد حالة إدمان على التصوير الذاتي، بل أحد المؤشرات الأولية على الإصابة باضطراب تشوه الجسم الذي يمكن أن يؤدي إلى عواقب نفسية قد تؤدي إلى الاكتئاب ومحاولة إيذاء النفس بسبب عدم الشعور بالرضى عن المظهر الخارجي.

وقال تقرير: إن الناس الذين يأخذون الصور الشخصية يقومون في كثير من الأحيان بالتقاط مجموعة كبيرة من الصور حتى يجدوا أفضل زاوية أو شكل، ثم يقومون بتفحص هذه الصور للتأكد من عدم ظهور العيوب التي يعتقدون بأنها عيوب وهذا يدل على وعي ذاتي كبير حول أقل التفاصيل، الأمر الذي يجعل الحالة مرضية.

غير أن إليشيا إيلار، خبيرة "سيلفي" في الإنترنت قالت "اشتهرت لوحات رسامين مشاهير رسموا أنفسهم، لهذا، صور الهاتف الذكي الذاتية ليست عبثًا، أو مرحًا".

السيلفي والموت... علاقة تزداد اضطرادًا

باتت العلاقة بين التقاط صور "السيلفي" والموت علاقة وطيدة.

فالناس لم تعد تتوانى عن القيام بأمور خطيرة لالتقاط صورة ثم عرضها على صفحتهم على فيسبوك أو سناب شات.

ويقدر موقع The MIT Technology Review عدد صور السلفي التي حُملت على محرك غوغل العام الماضي وحده بـ 244 بليون صورة.

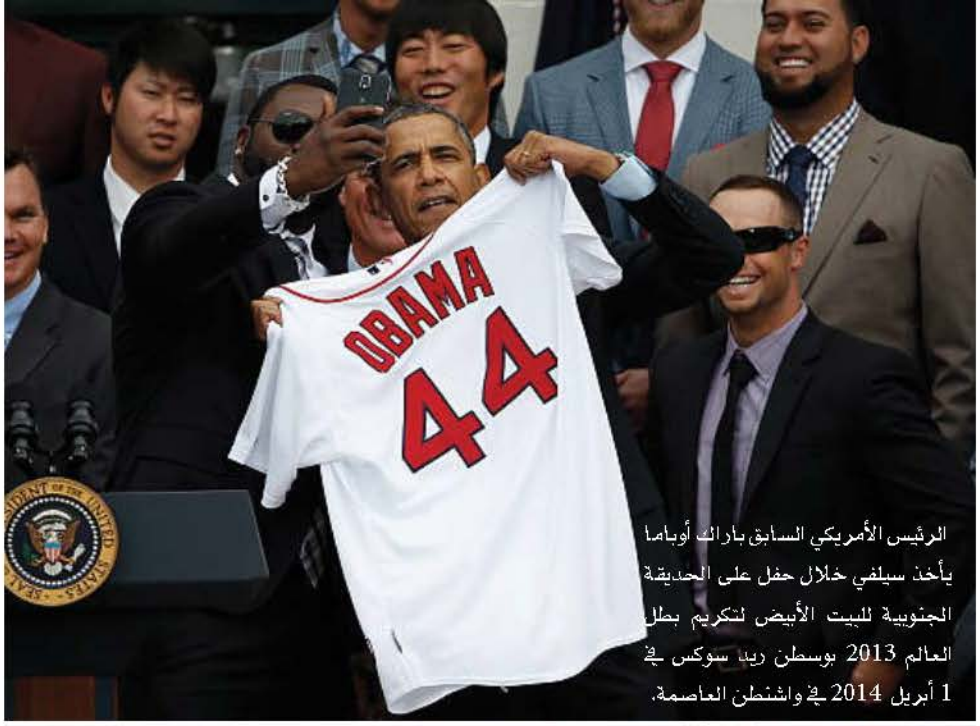
وعليه، فليس من المستغرب أن تكون نسبة صور السلفي القاتلة قد ازدادت من 15 حالة عام 2014 إلى 39 عام 2015، و73 حالة حتى اليوم عام 2016.

وللمقارنة فقط، يموت ستة أشخاص كل عام بسبب مهاجمة سمك القرش لهم.

أما أكثر منطقة شهدت سيلفي قاتلة، فهي الهند، إذ مات 76 شخصًا فيها بين آذار/مارس 2014 وأيلول/سبتمبر 2016 من أصل 127 حالة وفاة في العالم بأسره. البلد الثاني على القائمة، باكستان، 9 حالات.

والبلدان جارتان. ويعزو الخبراء هذه النسبة العالية في الهند إلى البيئة الثقافية: "يعتقد الناس هنا أن الوقوف على سكة القطار أو إلى جانبها مع أقرب الأصدقاء أمر رومانسي ويرون فيه علامة على صداقة لا تنتهي"... إلا بالموت!

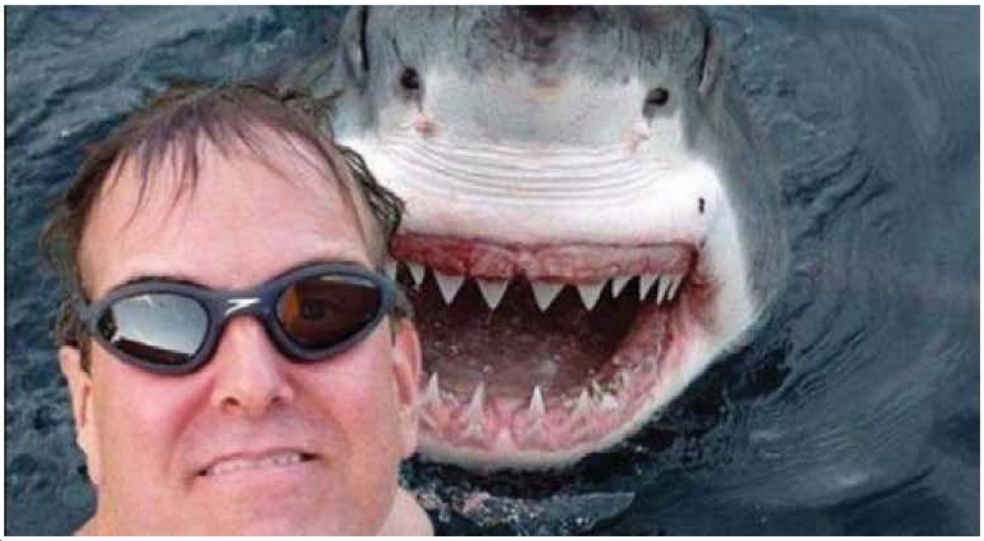
في المرتبة الثالثة والرابعة تأتي روسيا وأمريكا على التتالي، وأغلب أسباب الوفاة في هذين البلدين هو انفجار الأسلحة النارية بوجه حاملها.



الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما يأخذ سيلفي خلال حفل على الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض لتكريم بطل العالم 2013 بوسطن ريد سوكس في 1 أبريل 2014 في واشنطن العاصمة.



صورة سيلفي لأحد رواد الفضاء





فارنا.. سحر الشواطئ الذهبية على البحر الأسود

سما يوسف
جدة

إذا أحببت السفر لهذا العام ما عليك سوى أن تحزم حقائبك وتتجه إلى (فارنا) البلغارية، حيث تجد الطبيعة والوسائل الترفيهية لك وللأسرة.

حيث الاستمتاع بأجمل عطلة على شواطىء ساحل البحر الأسود.

تجذب "فارنا" السائحين من كافة أنحاء العالم للاستمتاع بشواطئها ذات الرمال الذهبية وبفرص الترفيه المتنوعة، التي تناسب كافة أذواق السائحين، كونها تجمع ما بين المتاحف والحدائق والمعالم الأثرية الشهيرة، التي يعود بعضها إلى العصر الروماني.

ولكون "فارنا" مدينة تاريخية فستكون أمام واحدة من أشهر الآثار الرومانية في أوروبا، وهي الحمامات الرومانية التي تبلغ مساحتها 7000 متر مربع، وبذلك تكون أكبر الحمامات الرومانية مساحة في منطقة البلقان والرابعة في أوروبا.

تقع ثالث أكبر مدينة بلغارية بعد صوفيا بلوف ديف، وفيها 10% من المسلمين، وأغلبهم من الأتراك الذين يعيشون في بلغاريا، وتعرف أيضًا باسم "العاصمة البحرية لبلغاريا" وعاصمة محافظة "فارنا" في الشمال الشرقي لبلغاريا على ساحل البحر الأسود، وتتمتع بمناخ شبه إستوائي رطب، إذ يبدأ الصيف في أوائل مايو، ويستمر حتى أوائل أكتوبر، حيث تتراوح درجات الحرارة عادة ما بين 18 و21 درجة مئوية في الليل وبين 25 و35 مئوية خلال النهار، ولذا فهذا الوقت من العام هو الأمثل للزيارة.

لاستمتاع بأجمل عطلة على شواطىء ساحل البحر الأسود.

تتسم هذه المدينة الجميلة بميزة أخرى تعمل على جذب السائحين إليها من كافة بلدان العالم، وهي أن مطارها الدولي يربط المدينة بـ35 دولة وأكثر من 100 مدينة في العالم، ما يجعل عملية الوصول إليها أسهل من غيرها من المدن الأوروبية الأخرى.

وعند وصولك إلى "فارنا" ستكون أمام مجموعة متنوعة من الأشياء التي يمكنك القيام بها، فلا تفوتها وانتهز الفرصة للحصول على عطلة رائعة بمدينة لن تنساها ذاكرتك، بما في ذلك زيارة أشهر متاحف المدينة، وعلى رأسها متحف البحرية العسكري، الذي يضم مجموعة معروضات مرتبطة بالملاحة التجارية والعسكرية البلغارية، وكذا المتحف الإثنوغرافي الذي يعطي صورة عن ثقافة ونمط حياة أهل المنطقة من النصف الثاني للقرن 19 حتى بدايات القرن 20.

ولعلك أيضًا ستكون أمام واحدة من أجمل البحيرات



وهي بحيرة "فارنا"، التي تعد أكبر وأعمق بحيرة على طول ساحل البحر الأسود، إذ يصل أقصى عمقها إلى 19 مترًا. تصبّ مجموعة من الأنهار في البحيرة، بما في ذلك "ديفنيا" و"بروفاديسكا".

أما هواة الطبيعة الخلابة فسيجدون في "فارنا" غايتهم أيضًا، وذلك ما بين الحديقة النباتية التي توفر للزائرين الفرصة، للتعرف على أكثر من 300 نوع من الأشجار والشجيرات، وما بين الحديقة البحرية التي تضم مجمعًا فلكيًا، مرصدًا، ساحات لعب وقنوات تجذيف صغيرة للأطفال، بالإضافة إلى دراجات مائية وحديقة حيوانات.











صيد طيور الجراجيح في جزيرة فرسان

لكل شعوب الدنيا تراثها وإرثها الثقافي الخاص بها، وهي فقط من تتميز به خلاف غيرها من الشعوب الأخرى، ولهذا الإرث الثقافي ارتباط بثقافة كل شعب من هذه الشعوب.

فرسان عالم من التراث والشعر والأدب والتاريخ. عالم من الأهازيج الشعبية التي تصحب طقوسها الحياتية المتعددة.

فرسان جزيرة لا عالم لها سوى البحر، بأمواجه الهادرة، وعواصفه الهوجاء، ودرره الثمينة، وعنبره النادر.



حسن محمد النعمي

ولنتعرف على ثقافة جميلة خاصة بطيور الجراجيح، وهي نوع من الطيور المهاجرة في أسراب كبيرة جدًا من دول أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية لتتوقف للراحة على جزر فرسان في نهاية شهر أبريل وبدايات شهر مايو من كل عام بعد انتهاء موسم سمك الحريد.

وجزر فرسان إحدى محطاتها تبعد هذه الجزيرة عن مدينة جازان حوالي 40 كيلو مترًا تقريبًا بين خط العرض 16.7 شمالاً وخط الطول 41.7 شرقًا، وتقع في القسم الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر، وتبلغ مساحتها حوالي 600 كيلو مترًا مربعًا، حيث تضم مجموعة كبيرة من الجزر الأخرى ليصل تعداد جزر جزيرة فرسان إلى 84 جزيرة تقريبًا، ويصل طول شواطئها حوالي 216 كيلو مترًا وتعد فرسان (فرسان الكبرى) هي أكبرها من حيث المساحة والتواجد السكاني، حيث إن مساحتها يصل إلى حوالي 369 كيلومترًا مربعًا وتأتي السقيد (فرسان الصغرى) الثانية من حيث المساحة والتواجد السكاني أيضًا، حيث تبلغ مساحتها حوالي 109 كيلو مترًا مربعًا. وصيد طيور «الجراجيح» رياضة من نوع مختلف وخارجة عن المألوف، الذي يفرض طوقًا حول مفهوم الرياضة والترفيه للمرأة السعودية، وهذا النوع من الصيد الذي تمارسه النساء في جزيرة فرسان، يبدأ بموسم صيد طيور الجراجيح، وهي طيور مهاجرة تأتي خلال شهري نيسان/أبريل، وأيار/مايو من كل عام، وتأتي في أسراب كبيرة يقال إنها في طريقها للهجرة من دول أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية وبحر قزوين، وتحط رحالها على مجزيرة قماح، إحدى جزر فرسان، بغرض التكاثر أو للراحة ومن ثم مواصلة الرحلة أو في أثناء موسم عودتها صيفًا من أطراف إفريقيا إلى أقصى الشمال، حيث أعشاشها في بحر قزوين والقارة الأوروبية.

وفي هذا الموسم يخرج جميع النسوة من مختلف الأعمار إلى منطقة الصيد التي تنصب فيها المصائد حاملات معهن الأقفاص والشباك مشيًا على الأقدام كموروث

اجتماعي تتاقله الصغار عن الكبار عبر العشرات من السنين. تخرج النساء على شكل جماعات، ويقمن بنصب المصائد في الأماكن المعروفة لديهن، ولكل عائلة مساحة من الأرض تنصب فيها المصائد، والتي هي عبارة عن أغصان يابسة تغرس متقاربة في الأرض بشكل دائري على شكل أعشاش بارتفاع مترين أو أكثر، وتلف حولها شباك الصيد لتعوق حركة الطير وتسهل عملية اصطياده.

يصاحب ذلك طقوس عدة، منها رقصات وأغانٍ تقام عندما يحالف الحظ إحدى الصائدات، وتجد «الأكحل» في شبكتها، وهو طير مميز، ربما يكون قائد السرب، ويكون مختلفًا عن باقي الطيور في الحجم والشكل، فتقام الأهازيج في بيت من قامت بصيد «الأكحل»، ويجتمعن عندها نساء الجزيرة للغناء والرقص وطرق الطبول. ومن الأعراف المتبعة في صيد «الجراجيح»، عدم التعدي على مصائد الغير، والكل يعرف هذا العرف المتبع في الصيد، ولهذا يبقى الطير في المصيدة، ولا يقترب منه أحد إلا بغرض النظر فقط، إلى أن تحضر صاحبته وتقوم بأخذ حفنة من التراب، وهي غالبًا ما تكون تحتوي على حصى صغير، وتقذف بها في اتجاه الطائر وتستمر في ملاحقته بهذه الطريقة حتى يخرج من بين الأغصان، ويقع في الشبكة. بعد ذلك تعود النساء إلى القرية حاملات صيدهن استعدادًا لعملية الطبخ.

ويعد طير «الجرجوح» الطبق المفضل لتقديمه للضيوف، وهدية خاصة بسكان الجزيرة خلال موسم الصيد، سواءً كان مقليًا أم مشويًا، بحسب الرغبة. ولا يقتصر الأمر على النساء فيتوجه من يريد صيد هذه الطيور من الرجال إلى جزر بعيده مستوية قليلة الأشجار والمرتفعات ويبدؤون بوضع الشباك على الشجيرات الموجودة على الجزيرة أو وضع ما يسمى بالصمص على الأماكن المرتفعة لخبرة الأهالي ومعرفتهم بأن أغلب هذه الطيور تفضل الأماكن المرتفعة - والصمص هو عبارة عن عصاتين مرتبطتين بحلقة معدنية في الأسفل وخيط مربوط بالطرف العلوي لإحدى هاتين العصاتين، ويمر خلال فتحه صغيرة في العصا الأخرى، وبعد أن تُضم العصاتين إلى بعضها تثبت عصا صغيرة في الفتحة الذي يمر الخيط من خلالها، ويوضع هذا الخيط الذي هو على شكل حلقه على العصا الصغيرة، وما أن يقف الطائر عليها حتى تسقط العصا، ويُشد الخيط ليمسك بالطائر - وقديمًا عند حلول موسم الجراجيح كان الناس يرقصون احتفالاً ببدايته وينشدون فيها أشعارًا رقيقة.. وتبدأ هذه الأفراح والرقصات بمجرد صيد أول طائر من النوع الذي يسمونه (بالأكحل) أو (العقوبي)، إذ يحمل أحدهم الطائر على إشارة بارزة (عصا طويلة مثلاً)، ويدور به في الشوارع وبين المنازل، وعندئذ يتجمع الناس حوله ينقرون دفوفهم وطبولهم يغنون ويرقصون معلنين بداية الموسم الراقص، وهذا التقليد عادة متوارثة منذ زمن قديم ومن أغانيهم الشعبية.

ويمثل الجرجوح أحمر الظهر المعروف محليًا بالأكحل إلى جانب الرمادي المعروف بيعقوبي أهم أنواع الجراجيح وأكبرها من حيث الحجم، وإلى جانب هذين النوعين يوجد أيضًا الأشهب، والرمادي الصغير المعروف أيضًا بيعقوبي، والمقنع المعروف بالأخرش. وتقدر أعداد الطيور التي تعبر البحر الأحمر في طريق عودتها للشمال بنحو مليوني طائر. إن طقوس صيد الطيور وطريقة نصب الشباك لها، وما يصحب بداية الصيد من أغانٍ وأهازيج يرددها السكان عبر جزيرتهم، تتجه نحو الاختفاء. وفي ذلك فقدان لتراث ذي قيمة فنية وحياتية ومجتمعية، وهذا أمر يحتاج إلى وقفة وعناية، من أهالي فرسان، ومن الجهات الرسمية ذات الصلة. فإذا كانت كثير من الطقوس ترتبط بالحاجة المادية، وعيش الناس، فإنه يجدر أن ينظر إليها، بوصفها تراث عريق تجب المحافظة عليه، والعمل على استمراره بصفته الثقافية، وإن قل المردود الاقتصادي.





مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي .. نحو مجتمع المعرفة

من نفس الموقع الذي تفجر فيه أول ينبوع للنفط في المملكة العربية السعودية، أنشأت أرامكو السعودية رائعة معمارية تحمل اسم مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي لتجسد رؤية المملكة في التحول للمجتمع المعرفي ولتبقى شرارة هذه الأرض أبدية الاتّقاد.

وقدة الفكرة

فكرة المركز بدأت مبكرًا قبل هذا الوقت مع زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله لأرامكو السعودية يوم 20 مايو 2008م في احتفالها بمرور 75 عامًا على بداية أعمالها، حيث وضع حجر الأساس للمركز الذي يعد هدية أرامكو السعودية للأجيال المقبلة، الأجيال التي تعني لنا الطاقة الحقيقية لهذا البلد.

المبنى

مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي يبدو كمجموعة من الحجارة المتراصة التي تضم بين جنباتها مكتبة عصرية، ومركزًا للابتكار، وواحة للصغار تشكل أول متحف من نوعه للطفل في العالم العربي، ومتحف التاريخ الطبيعي، وقاعات للفنون، ومركز الأرشيف، ويتعالى في وسطه برج المعرفة الذي يقدم البرامج التعليمية للرواد من كل الأعمار. تتضافر البرامج في المركز لتكون موئلاً للإلهام وإثراءً للثقافة.

يتسم مبنى المركز الثقافي الذي تبلغ مساحته نحو 80 ألف متر مربع بالتكامل والشمولية ويرتفع تسعين مترًا في سماء مدينة الظهران شرقي المملكة، كما يجمع تحت سقفه برامج عديدة تهدف إلى إنشاء أثر إيجابي وملموس في المجالات المعرفية والثقافية عن طريق زرع ثقافة العلم والمعرفة في المجتمع، وقد قامت بتصميمه شركة «سنوهيتا» النرويجية المعروفة عالميًّا، بأسلوب فريد مبتكر ربط بين مهمة المركز وشكله الخارجي، وارتقى بالإبداع في فن التصميم المعماري إلى آفاق رفيعة وجديدة.

يحضر العامل الزمني أيضًا في التصميم الداخلي لأقسام المبنى، فالأدوار الواقعة تحت مستوى سطح الأرض مخصصة للماضي، وعند مستوى السطح للحاضر، أما برج المعرفة القائم فوق كل هذا فيمهّد الطريق للمستقبل.

ويتميز المبنى، من الخارج، بمظهر لا مثيل له في فن العمارة المعاصرة، إذ إنه مغطى بأنبوب من الفولاذ يلفه بالكامل، وهذا الأنبوب مؤلف من آلاف القطع الصغيرة التي تُقطع وتُطوى كل واحدة على حدة، لتؤلف عند تركيبها وجمعها أنبوبًا واحدًا يُضفي على المبنى ككل مظهرًا معدنيًّا ذا لمعان حريري ناعس.

ثمة شركات رائدة عالميًّا طوّرت تقنيات تفاعلية لمختلف أقسام المركز، لتعزيز الجدوى، وجعل التعلم فيها تجربة ممتعة، لا مثيل لها في مكان آخر. وتتجاور في المبنى هذه التقنيات الحديثة والمبتكرة مع أقدمها وأجملها، مثل الطين المدكوك، والرمال والحصى.

أما على الصعيد البيئي، فقد بُني المركز الثقافي وفق المقاييس المعروفة باسم «LEED» (الريادة في التصميم البيئي والطاقة)، ليعمّر لسنوات طويلة قادمة.

رؤية إثراء

وتبنى رؤية إثراء على تنمية مجتمع المعرفة وإثارة الفضول المعرفي في العلوم والابتكار وإنشاء فرص اقتصادية للتحول لمجتمع منتج، يمتد أثره إلى أنحاء المملكة بباقة واسعة من برامج التواصل المجتمعي الثقافية والتعليمية.

ولإثراء مبادرات وبرامج قبل افتتاح المركز تصب في رؤيتها، حيث تتبنى مسابقة "اقرأ" الوطنية السنوية التي انطلقت 2013، وتستهدف فيها طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية لنشر ثقافة القراءة والمعرفة.

وتولى المركز إجراء أكبر دراسة على الإطلاق في المملكة عن عادات القراءة بالتعاون مع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وجرى فيها تحليل أكثر من 15 ألف استبيان







من شرائح مختارة من المجتمع السعودي، وأجرت 303 مقابلات مدروسة مع الناشرين وثلاثة آلاف استبيان للعاملين في المكتبات.

ومن المتوقع أن تسهل الدراسة تحديد وضمان كفاءة البرامج والمبادرات الداعمة للتحصيل المعرفي والقراءة وتطوير مجتمع المعرفة في المملكة.

كما أطلق المركز برنامج إثراء المعرفة الذي تقام من خلاله العديد من المعارض والفعاليات المحفزة للزوار على التفكير والتعلم والاستكشاف بطريقة جديدة ومختلفة تعتمد على الترفيه، مثل معرض ألف اختراع واختراع ومعرض أسماء الله الحسنى، كما يهدف "إثراء المعرفة" إلى الوصول لأكثر من عشرة ملايين شاب وشابة بحلول عام 2020.

إنجازات ومبادرات

عالميا، أدرجت "إثراء" ضمن قائمة أفضل مئة مبادرة تعليمية إبداعًا في العالم، إذ ضم موقع الخبرات التعليمية المبتكرة (Innovative educational experiences) إحدى المبادرات التي قدمها المركز منذ عام 2011 تحت اسم "إثراء الشباب" كونها تقوم على برامج تعليمية في المجالات العلمية والإبداعية والدروس الملهمة وبناء الشخصية، وتعتمد على التطبيق العملي للأنشطة والتعلم مدى الحياة.

وسيكون مركز إثراء في مبناه الجديد متاحًا للزوار بجميع فئاتهم العمرية، ليمكنهم من التعلم والاكتشاف والابتكار من خلال المرافق التي يحويها المركز، وأهمها مكتبة صممت لتكون تجربة تفاعلية تضم أكثر من 220،000 كتاب بالعربية والإنجليزية، مع طاقة استيعابية تتسع لنصف مليون كتاب ودورية ودراسة في المحفوظات الرقمية، كما سيكون المكان الذي يحتضن المبادرات الثقافية كمسابقة القراءة الوطنية "اقرأ".

وإضافة إلى المكتبة، يأتي برج المعرفة في 18 طابقًا من المرافق التعليمية، يعرض أحدث الدورات التعليمية في عدد كبير من المواضيع الدراسية، وسيحتضن ألفي ورشة عمل سنويًا في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات.

ويتوج برج المعرفة بمختبر للأفكار يوفر مساحة لكل مخترع لتطوير أفكاره وترجمتها إلى نماذج أولية ومنتجات يمكن تسويقها.

وللأطفال نصيبهم، فقد شيد متحف مخصص للأطفال حتى سن الثانية عشرة هو الأول من نوعه في المملكة، يهدف إلى تنمية قدرات الأطفال الذهنية منذ طفولتهم المبكرة، ومتحف آخر يوفر رؤية بانورامية لأفضل ما في الثقافة السعودية والعالمية من خلال أربعة معارض، تنطلق بزوارها في رحلة اكتشاف عبر آلاف السنين.

وبجانب هذه المكونات قاعة كبرى للمهرجانات والمعارض ومسرح العروض الإبداعية، ومعرض الأرشيف والطاقة ومكونات أخرى تخدم رؤية مجتمع المعرفة.



اضغط هنا لمشاهدة مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي



عصر القلق الرقمي

توصلت دراسة أجرتها شركة ديلويت إلى أن إدمان الهواتف الذكية بلغ مستويات غير مسبوقة في عام 2016، إذ وصل عدد مستخدمي موقع "فيسبوك" النشطين إلى 1,86 مليار مستخدم، أي نحو اثنين من بين كل سبعة أشخاص في العالم.
ووفقًا لمركز "بيو" للأبحاث، يستخدم 24 في المئة من مستخدمي الإنترنت موقع "تويتر"، في حين يستخدم 29 في المئة منهم موقع "لينكد إن".

يتمنى الكثير من الناس أن يقضوا وقتًا أقل على الإنترنت، ولكنهم لا يكادون يبتعدون عن الهاتف الذكي حتى تظهر عليهم علامات القلق، والأهم من ذلك، تقول شركة فيسبوك إن مستخدمي موقعها يقضون 50 دقيقة يوميًا في المتوسط في تصفحه، وهو أمر قد يعيقك عن العمل إن كنت بصدد تنفيذ مهام عديدة في الوقت نفسه.

لكن حتى لو عزمنا على عدم الخوض في نقاشات على موقع فيسبوك في أثناء العمل، أو عدم الانشغال بهواتفنا المحمولة على مائدة الطعام، سيشعر كثيرون منا بالقلق عند محاولة التخلي عن هذه العادات.

ويقول ستيفان هوفمان، أستاذ علم النفس بجامعة بوستن، والخبير في دراسة المشاعر الإنسانية، إن البعض قد تنتابهم حالة من القلق عند الابتعاد عن مواقع التواصل الاجتماعي، ويشعرون برغبة ملحة في العودة إليها.

ويمكن أن نُطلق على هذا النوع من القلق اسم "القلق الرقمي"، وهو المتعلق بوسائل الاتصال عمومًا.

ويضيف هوفمان أن وجود مشاعر سلبية على المدى البعيد تجاه الاستخدام الشخصي لوسائل التواصل الاجتماعي، والفشل في التوقف عن التعلق بها قد يعززان مشاعر الاكتئاب.

كما أن الأشخاص الذين يشعرون بخيبة أمل بسبب عدم قدرتهم على الاستغناء عن تلك الوسائل يمكن أن تنتابهم مشاعر الحزن والأسى.

ويقول هوفمان: "هذا العصر هو عصر القلق"، ويضيف أن بعض الناس تخيفهم فكرة فقدان الاتصال بالعالم عبر الهاتف الذكي، لئلا يغفلوا أي خطر وشيك، أو لمتابعة الأخبار السياسية.

الأسباب التي تتوافق مع معتقداتك

يودّ كثير من الناس لو يقضون وقتًا أقل على الإنترنت، ولكن بمجرد أن يبتعدوا عن الهواتف الذكية تظهر عليهم علامات القلق.

واكتشف باحثون من الأكاديمية المجرية للعلوم، وجامعة أوتفوس لوراند في بودابست، أن ثلاثة أرباع البالغين الذين أبعدوا عن هواتفهم الذكية لمدة قصيرة من الوقت، خلال إجراء تلك الدراسة، ظهرت عليهم أعراض تعرف في علم النفس باسم "إعادة توجيه الانفعالات"، وهي أعراض تظهر على المرء عندما تتجاذبه انفعالات ودوافع مختلطة، والتي تمثلت في كثرة الحركة، أو حك الرأس.

تقول كريستينا كروك، مؤلفة كتاب "متعة إضاعة الفرص"، إن إحدى الطرق الفعالة لمقاومة "القلق الرقمي" تكمن في تحديد الأسباب التي دفعتك لتغيير نمط استخدامك لوسائل التواصل الاجتماعي.

وإذا وجدت سببًا يتوافق مع معتقداتك الشخصية، فقد يُسهم هذا السبب في إبعادك عن وسائل التواصل الاجتماعي. ويمكنك أن تذكّر نفسك على سبيل المثال، بأنك كلما أمضيت وقتًا أقل على وسائل التواصل الاجتماعي، زاد الوقت الذي ستقضيه مع أفراد عائلتك أو أصدقائك.

وتضيف كروك أن التعرف على الفوائد التي ستجنيها من وراء التخلي عن وسائل التواصل الاجتماعي سيسهم في الحد من المخاوف والهواجس التي قد تخالجك بسبب الابتعاد عن تلك الوسائل.



وتقول كروك: "إن لم تجد مبررًا مقنعًا، لن يكون لديك الإرادة التي تساعدك على الابتعاد".

وهناك أسباب عديدة تمنع الناس من الابتعاد عن مواقع التواصل الاجتماعي، فالبعض يخشون أن تفوتهم الدعوات لحضور الحفلات والمناسبات، أو فرص الثرثرة مع الأصدقاء والمعارف، والبعض تخيفهم فكرة التخلي عن الصورة التي قضوا وقتًا طويلاً في رسمها لأنفسهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

وآخرون لا يفارقون مواقع التواصل الاجتماعي، لأنهم يعتقدون أن عليهم إثبات وجودهم على تلك المواقع، لتحقيق النجاح في عملهم. لكن إن حددت بصراحة ووضوح الأسباب التي تدفعك للمشاركة في مواقع التواصل الاجتماعي، وإلى أي مدى تستفيد بالفعل من البقاء على الإنترنت، ربما ستستطيع اتخاذ القرار الصائب.

استخدم كريس دوغان، الرئيس التنفيذي لشركة "بيتروبركس" للبرمجيات، في مدينة ريدوود بولاية كاليفورنيا، موقع فيسبوك خلال المدة الفاصلة بين مهام العمل المختلفة بهدف التخفيف من ضغط العمل.

ويقول دوغان: إنه لم يعد يستخدم فيسبوك لهذا الغرض، ويضيف: "كنت أريد أن أحصل على قسط من الراحة بعد فترات ضغط العمل". ولكنه يرى الآن أن الاستقطاب السياسي الظاهر في التعليقات الكثيرة على موقع فيسبوك يشتت انتباهه، ويثير غضبه.

يقول دوغان: إنه على الرغم من أنه لا يزال يهتم بالمشاركة في بعض النقاشات، إلا أنه لا ينكر أن متابعة محتويات مواقع التواصل الاجتماعي لا تساعده على الاسترخاء، ولهذا لم يجد صعوبة في الابتعاد عنها، ولا يعاني عند التوقف عن متابعتها.

تبتعد، أم لا تبتعد؟

تقول كروك: إن التوقف عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تمامًا قد يجعلك تشعر برغبة شديدة في معرفة الفرص التي تفوتك على هذه المواقع. لكن الابتعاد عنها لمدة قصيرة من الوقت لتقليل التوتر والقلق الناتج عن الإفراط في استخدامها، قد يساعدك في اكتساب عادات جديدة والتحكم في دوافعك.

وتضيف كروك: "ثبت أن الابتعاد عن وسائل الاتصال التكنولوجية لمدة قصيرة يقلل من القلق، لأنك إن وضعت لنفسك حدودًا واضحة، فلا مكان للاختيارات الفردية".

وقد يفيد استخدام تطبيقات تمنع اتصال هاتفك بالإنترنت، أو حذف بعض التطبيقات من هاتفك، في التحكم في استخدامك لوسائل التواصل الاجتماعي، وفي الوقت نفسه سيحد ذلك من القلق الناتج عن الابتعاد عنها.

وينصح هوفمان مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي الذين يرغبون في قضاء وقت أقل على الإنترنت بأن يبدأوا بالبحث عن الأسباب التي تدفعهم إلى استخدام الإنترنت، والتعرف على المواقع التي يفرطون في زيارتها، ومطالعتها، لكي يتسنى لهم مقاومة دوافعهم.

ويضيف هوفمان أن الابتعاد عن هذه الصفحات قد يكون صعبًا، لأن منصات التواصل الاجتماعي تربط الناس معًا، وتقضي على الشعور بالوحدة، ولكن مع الوقت يشعر الناس أن العلاقات التي يشكلونها على الإنترنت ليست حقيقية.

يقول هوفمان إن مواقع التواصل الاجتماعي تجعل مستخدميها في أغلب الأوقات يشعرون بالانتماء إلى هذا العالم، من دون أن يحتاجوا إلى مخاطبة بعضهم بعضًا وجهًا لوجه.

ويتابع: "إنها ببساطة وسيلة للربط بين أناس يتبنون نفس الآراء لتأكيد صحة أفكارهم وآرائهم، وإدراك أهميتها".

ولكي تحقق التوازن الأمثل، من الأفضل أن تحاول مقابلة المزيد من الأشخاص والتحدث إليهم عن الموضوعات المشتركة بينكم، وفي الوقت نفسه لا مانع من الاشتراك في المحادثات عبر الإنترنت.

ومن المفيد أيضًا أن تتجاوز عن إخفاقاتك، فبدلاً من أن تلوم نفسك بسبب عدم قدرتك على مقاومة إغراءات مواقع التواصل الاجتماعي، لا تنكر أن هذه التطبيقات ومنصات التواصل الاجتماعي مصممة لكي تجعل المستخدمين يدمنون على تصفحها، وكلما يحاولون الابتعاد عنها تسعى بشتى الطرق لجذبهم إليها.

وعلى سبيل المثال، يرسل موقعا فيسبوك وتويتر رسائل تذكير عبر البريد الإلكتروني للمستخدمين الذين لم يدخلوا إلى هذين الموقعين منذ فترة من الوقت.

وفي النهاية، ستزداد قوة إرادتك إذا أدركت أنه لا يزال من الممكن التخلص من هذه العادات، رغم أنها ترسخت ومن الصعب الفكاك منها.

وتقول كروك: "من المؤكد أنك ستخفق في البداية، ولكنني أرى أنك لو أيقنت أنك ستستطيع الابتعاد عن وسائل التواصل الاجتماعي، ستنجح في النهاية".

المصدر: BBC



ماذا يحدث لو تعطل الإنترنت ليوم واحد؟

زاد تعلّق كثيرين بالإنترنت في الآونة الأخيرة إلى حد جعلهم لا يستطيعون تصور الاستغناء عنه ولو لساعات قليلة. لكن ماذا سيحدث لو تعطلت شبكة الإنترنت بالفعل، ربما يكون الأثر مخالفًا لتوقعاتك.

قبل عام 2008، كان جيف هانكوك، الأستاذ بجامعة ستانفورد، الذي يدرس أيضًا التبعات النفسية والاجتماعية للتواصل عبر الإنترنت، يتحدى طلابه في بعض الأحيان لقياس قدرتهم على الاستغناء عن الإنترنت ليومين خلال عطلة نهاية الأسبوع، ثم يناقش معهم كيف أثر ذلك عليهم.

لكن بعد أن عاد هانكوك من إجازة التفرغ عام 2009، لم تعد الأمور كسابق عهدها. يقول هانكوك: "عندما عرضت على الطلاب هذا التحدي، ثارت ثائرتهم. وقالوا: إن هذا الفرض مستحيل، وجائر".

وزعم الطلاب أن الانقطاع عن الإنترنت في عطلة نهاية الأسبوع سيمنعهم من إكمال واجباتهم في المواد الأخرى، ويدمر حياتهم الاجتماعية، وقد يجعل أصدقاءهم وأهلهم يشعرون بالقلق عليهم، ثم اضطر هانكوك إلى إلغاء هذا التحدي تمامًا، ولم يحاول أن يعيد الكرّة قط.

ويقول هانكوك: "كان هذا في عام 2009، أما الآن فمع وجود الهواتف المحمولة، لا أعرف كيف سيكون رد فعل الطلاب إن طلبت منهم ذلك".

لكن في ظل اعتمادنا الدائم على شبكة الإنترنت في كل جوانب حياتنا، أصبح هذا السؤال أكثر إلحاحًا الآن: ماذا سيحدث لو توقف الإنترنت ليوم واحد؟ وقد تبين أن أثر انقطاع الإنترنت ليس كما تتوقع.

في عام 1995، كان عدد مستخدمي الإنترنت أقل من واحد في المئة فقط من سكان العالم، وكان أغلبهم من الغرب، ويستخدمونه بدافع الفضول.

وبعد 20 سنة، وحتى يومنا هذا، يستخدم الإنترنت ما يزيد على ثلاثة ونصف مليار شخص، أي ما يقرب من نصف سكان العالم، ويزداد عدد مستخدميه بمعدل عشرة أشخاص تقريبا كل ثانية.

ووفقًا لمركز "بيو" للأبحاث، يقول خُمس الأمريكيين إنهم يستخدمون الإنترنت "بلا انقطاع تقريبًا"، في حين يقول 73 في المئة منهم أنهم يستخدمونه يوميًا على الأقل.

وبالمثل، خلص استطلاع للرأي، أجري في المملكة المتحدة عام 2016، إلى أن نحو 90 في المئة من البالغين استخدموا الإنترنت في الأشهر الثلاثة السابقة لإجراء الاستطلاع.

ويقول ويليام داتون بجامعة ميشغان، ومؤلف كتاب "المجتمع والإنترنت": "المشكلة أن الناس الآن لا يمكنهم تصور انقطاع الإنترنت، إلا أنهم لا يدركون مدى تغلغل الإنترنت في كل جوانب حياتهم تقريبًا".

ولكن نظريًا، قد ينقطع الإنترنت لمدة من الوقت، سواء في دولة بعينها أو على مستوى العالم. فليس من المستبعد أن يطلق قراصنة الإنترنت برمجيات خبيثة تستهدف مواطن الضعف في أجهزة توجيه المعلومات على الشبكة، ليصيبوا شبكة الإنترنت بالشلل التام.

وقد يتسبب أيضًا إغلاق الخوادم التي تحفظ أسماء النطاقات في مشكلات بالغة، مثل منع تحميل المواقع.

وربما يؤدي قطع الكابلات الموجودة في أعماق البحار التي تنقل كميات هائلة من الرسائل والبيانات بين القارات إلى حدوث مشكلات جسيمة، لأن ذلك سيفصل جزءًا من العالم تمامًا عن الجزء الآخر.

ورغم أن هذه الكابلات ليست أهدافًا سهلة للقراصنة، إلا أنها قد تُقطع في بعض الأحيان بسبب حوادث عرضية. وفي عام 2008، عانى سكان الشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا الأمرّين حين انقطع الإنترنت في أجزاء كبيرة من هذه المناطق ثلاث مرات، إما بسبب قطع في الكابلات البحرية، أو إتلافها.

وقد تُصدر بعض الحكومات أوامر بحجب الإنترنت عن الدولة بأكملها، كما حدث في مصر إبان الربيع العربي سنة 2011، لتصعّب على المحتجين التنسيق فيما بينهم لتنظيم المسيرات.

كما أغلقت تركيا وإيران شبكة الإنترنت في أثناء الاحتجاجات. وأُشيع أن الحكومة الصينية لديها الآلية القانونية التي تجيز لها التدخل لحجب الإنترنت. وفي الولايات المتحدة، اقترح أعضاء من مجلس الشيوخ الأمريكي مشروع قانون يجيز للحكومة الأمريكية قطع الإنترنت لحماية البلاد إذا ما تعرضت لهجمات إلكترونية.

إلا أن حجب الاتصالات عن الدولة ليس بالأمر الهين. فكلما زاد حجم الدولة وتقدمها، زادت صعوبة قطع الإنترنت عنها بأكملها. إذ إن هناك اتصالات عديدة بين الشبكات وبعضها داخل حدود البلد الواحد وخارجه.

وقد تُخلف العاصفة الشمسية، إذا وقعت، دمارًا واسعًا لأنظمة الاتصالات، فمن شأن تلك التوهجات التي ترسلها صوب الأرض أن تدمر الأقمار الصناعية، وشبكات توزيع الكهرباء، وأنظمة الكمبيوتر.

ويقول ديفيد إيغلمان، عالم أعصاب بجامعة ستانفورد، ومؤلف كتاب "لماذا نهتم بالإنترنت": "إن التوهج الشمسي يحقق ما تعجز عن تحقيقه القنابل والهجمات الإرهابية في غضون لحظات".

لكن في أغلب الحالات، لا يدوم انقطاع الإنترنت طويلاً. يقول سكوت بورغ، من وحدة دراسة تبعات الهجمات الإلكترونية بالولايات المتحدة، وهي مؤسسة غير ربحية: "إن موفري خدمات الإنترنت والشركات التي تصنع معدات توجيه المعلومات على شبكة الإنترنت لديهم من الخطط والعاملين ما يكفي لإعادة تشغيل الإنترنت على الفور، إذا ما تعرض لهجمات غير متوقعة".

ولكن ربما لن يُحدث انقطاع الإنترنت أثرًا كبيرًا كما تظن. ففي عام 2008، طلبت وزارة الأمن الداخلي من بورغ أن يبحث في تبعات انقطاع الإنترنت. وأجرى بورغ وزملاؤه تحليلاً للآثار الاقتصادية لتعطل الكمبيوتر، وقطع خدمة الإنترنت في الولايات المتحدة من عام 2000 وما يليه.

وبعد البحث في تقارير مالية ربع سنوية من 20 شركة، يُزعم أنها ستكون الأكثر تضررًا، فضلاً عن الإحصائيات الاقتصادية العامة، اكتشفوا أن انقطاع الإنترنت لن يكون له تبعات مالية تُذكر، أو على الأقل لو انقطع لما لا يزيد عن أربعة أيام.

ويقول بورغ: "في بعض الحالات، قيل إن الخسائر كانت فادحة، إذ بلغت مئات الملايين، أو مليارات الدولارات. ولكن لم تتكبد بعض المجالات، مثل الفنادق، وشركات الطيران، وشركات السمسرة، خسائر جسيمة، وإن كانت قد عانت إلى حد ما".

وقد تبين أن أثر فقدان الاتصال بالإنترنت لم يتعد تعطيل الناس عن تأدية أعمالهم لأيام معدودة، ويقول بورغ: "واصل الناس أنشطتهم التي كان يفترض بهم تأديتها لو لم ينقطع الإنترنت، ولكنهم تأخروا في تأديتها يومين أو ثلاثة أيام فقط".

ويتابع بورغ: "لا يتأثر الاقتصاد بالأعطال التي تستمر ليومين فقط، والتي تعد من قبيل عطلة نهاية الأسبوع".

وفي بعض الأحيان، أدى إغلاق الإنترنت لمدة قصيرة إلى زيادة معدل الإنتاجية. ففي دراسة أخرى، حلل بورغ وزملاؤه ما قد يحدث عندما ينقطع الإنترنت لأربع ساعات أو أكثر.

وقد توصلوا إلى أن الموظفين اتجهوا إلى الأعمال الكتابية، التي يرجئونها في المعتاد، وكان لذلك نتائج مثمرة للشركة.

ويقول بورغ: "اقترحنا، على سبيل المزاح، أنه لو أغلقت الشركات أجهزة الكمبيوتر لبضع ساعات كل شهر، وطلبت من الموظفين أن يؤدوا المهام المؤجلة، ستحقق الشركة زيادة كبيرة في معدل الإنتاجية".

ولو انقطع الإنترنت ليوم أو نحو ذلك، لن يتأثر السفر والتنقل كثيرًا على المدى القصير. فيمكن للطائرات أن تحلق من دون إنترنت، ولن تتوقف القطارات، ولا الحافلات. لكن لو انقطع الإنترنت لمدة طويلة، قد تتأثر التجهيزات اللوجستية، وسيصبح من الصعب أن تزاول الشركات أنشطتها.

ويقول إيغلمان: "اقترحت على الناس والشركات أن يضعوا خطة بديلة في حالة فقدان الاتصال بالإنترنت، ولكن لم أسمع عن أحد نفذ ذلك بعد".

وربما يؤثر انقطاع الاتصالات على نطاق واسع على الشركات الصغيرة والعمال. ففي عام 1998، توقفت نحو 90 في المئة من أجهزة النداء الآلي المعروفة باسم "البيدجر" (وهي أجهزة صغيرة تستخدم خاصية الرسائل النصية القصيرة) في الولايات المتحدة عن العمل بسبب عطل في القمر الصناعي.

واستطلع داتون آراء 250 مستخدم لذلك الجهاز في لوس أنغليس في أعقاب هذا العطل، ووجد انقسامًا اجتماعيًا واقتصاديًا واضحًا في ردود فعل أصحابها.

وفي حين لم تواجه الطبقة فوق المتوسطة، المكونة من المديرين أو أصحاب المهن، مشكلات كبيرة، فإن الكثير من العمال المستقلين، كالسباكين والنجارين الذين يستأجرهم الناس من خلال أجهزة النداء تلك، وجدوا أنفسهم بلا عمل لبضعة أيام.

كما أفادت بعض الأمهات، اللائي تركن أبناءهن في مراكز رعاية الأطفال، أنهن شعرن بالقلق الشديد عند تعطل تلك الأجهزة، خشية أن يقع مكروه لأبنائهن ولا يتمكن أحد من إبلاغهم.

أما عن الآثار النفسية، فعندما ينقطع الاتصال يشعر الناس بالعزلة والقلق. ويقول هانكوك: "إن الإنترنت مصمم بالأساس ليسمح بالتواصل بين الناس وبعضها". وقد اعتدنا على التواصل مع أي شخص في أي وقت وفي أي مكان.

ويتابع هانكوك: "يشعر الناس بالقلق والاضطراب إن لم يتمكنوا من التواصل مع الآخرين".

وينتاب بروغ هذا الشعور أيضًا، ويقول: "عندما أدرك أنني تركت هاتفي الذكي، أشعر وكأنني عارٍ، وأول ما يتبادر إلى ذهني: هل أعرف وجهتي حقًا؟ وماذا لو تعطلت سيارتي؟ هل يمكن أن أستعير هاتف شخص ما لأطلب المساعدة؟"

والأدلة التاريخية تدعم ذلك، ففي عام 1975، نشب حريق في شركة هواتف في نيويورك أدى إلى قطع خدمة الهاتف عن 300 عقار في حي منهاتن لمدة 23 يومًا. وبعد عودة الخدمة مباشرة، أجري استطلاع للرأي على 190 شخصًا، ذكر 80 في المئة منهم أنهم افتقدوا الهاتف بسبب عدم قدرتهم على التواصل مع الأهل والأصدقاء.

وفي حين ذكر أكثر من ثلثي الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع أنهم شعروا "بالعزلة" أو "الاضطراب"، قال نحو ثلاثة أرباعهم أنهم استعادوا حياتهم الطبيعية عندما عادت الخدمة.

يقول داتون: "يعتقد البعض أن الناس سيُقبلون على مخالطة الأهل والأصدقاء والتواصل معهم في غياب الإنترنت أكثر مما يتواصلون معهم في وجوده، ولكنني أظن أن هذا الاعتقاد خاطئ. فإن أغلب مستخدمي الإنترنت يميلون إلى مخالطة الآخرين أكثر من غيرهم".

وتقول ستاين لومبورغ من جامعة كوبنهاغن بالدنمارك مؤكدة ذلك المعنى: "ليس من المرجح أننا لو لم تكن لدينا هواتف ذكية، لأقبلنا على التحدث إلى الغرباء في موقف الحافلات".

وربما يزداد الناس إقبالاً على مخالطة الآخرين في حال فقدان الإنترنت في مواقف محددة فقط، مثل أماكن العمل، إذ سيضطر الموظفون إلى التحدث إلى بعضهم بعضًا بدلاً من التواصل عبر البريد الإلكتروني.

لكن لومبورغ ترى أن تجربة فقدان الاتصال من المرجح أن تسبب الإحباط لكثيرين، وتقول: "لن ينتهي العالم إن فقدنا الاتصال بالإنترنت ليوم واحد. ولكن أعتقد أن أغلب الناس تخيفهم فكرة انقطاع الإنترنت ولو لساعات".

يقول هانكوك إن فقدان الاتصال بالإنترنت، رغم أنه لن يستمر طويلاً، قد يجعل الناس يدركون أهميته في حياتهم، ولكن سرعان ما سيعاودون الاعتماد عليه ليصبح جزءًا من حياتهم لا غنى عنه.

ويضيف هانكوك: "أرى أن انقطاع الإنترنت ربما يسهم في تغيير طريقة تفكيرنا، إلا أنني لا أظن أن هذا قد يحدث". ومع ذلك، فهذه المبررات ليست كافية لإقناع طلابه بالتخلي عن الإنترنت في عطلة نهاية الأسبوع.

المصدر: BBC



إكتشافات جديدة عن المحاصيل الزراعية

منة الله عبدالمنعم

كاتبة ومترجمة علمية وفيزيائية

بمعهد الكبد القومي

جامعة المنوفية - مصر

تُعد الزراعة من أقدم وأهم الحرف الإنسانية, فهي مصدر الغذاء الأول وترتبط بها الكثير من المهن والصناعات الأخرى لذا كان لا بد من تطور العلوم الزراعية وأن تظهر كل يوم اكتشافات جديدة لتطويرها وتحسينها لحياة أفضل للإنسان ويستعرض المقال الراهن بعض البحوث الجديدة عن نباتات ومحاصيل مختلفة.



الموز مهدد بالانقراض

يعد الموز من أكثر أنواع الفواكه استهلاكًا على مستوى العالم، وذلك لمميزاته الغذائية وسهولة أكله، وكذلك لما له في العديد من الثقافات، مثل الهند حيث كان يسمى بطعام الفلاسفة. لكن منذ وقت قريب والفاكهة المفضلة للكثيرين مهددة بخطر حقيقي، بسبب ما يدعى مرض بنما، وهو عدوى مقاومة للمبيدات الحشرية وعابرة للقارات وتبذل جهود ضخمة للسيطرة عليه في جنوب آسيا والشرق الأوسط وإفريقيا وأستراليا. وفي دراسة جديدة لباحثين هولنديين أوضحوا أن العدوى التي قفزت عبر المحيط قادمة من أمريكا الجنوبية ليست طفرة مرضية تستوجب العلاج إنما تمثل خطرًا حقيقيًا على الاقتصاد العالمي والموز، حيث حوالي 82% من إجمالي صادرات الموز تأتي من أمريكا اللاتينية، ودولة الاكوادور وحدها تمثل أكبر منتج للموز في العالم، وهي على رأس الدول المصابة، ويمثل إنتاج الموز فيها أحد دعائم اقتصادها القومي، حيث كان يدر مليارات الدولارات سنويًا.

وليس مرض بنما هذا بحديث الظهور إنما تم اكتشافه منذ عقود طويلة وسبب تلفًا كبيرًا لمحاصيل الموز في عدد من الدول خلال ستينيات القرن العشرين، وكان اكتشافه الأول في القرن التاسع عشر عام 1876، حيث سجل بعض المزارعين ظاهرة تبول شاسع لأشجار الموز، وثم عام 1890 سجلت نفس الظاهرة، في بنما وكوستاريكا وعام 1910 تم اكتشاف الفطريات المسببة لهذه الظاهرة وهو نوع من الفطريات يرمز له بـ(Foc) اختصارًا لـ Fusariumoxysporumf.sp.cubense.

وهذا الفطر سهل الانتقال لأشجار الموز من خلال الماء والتربة وعند انتقاله يدمر النبتة تمامًا، حيث يمتص الماء منها مما يؤدي لذبول النباتات، وكذلك سريع الانتشار والعدوى كما إنه ممكن أن يظل كامنًا في التربة نحو ثلاثين عامًا قبل انتقاله للأشجار، ولا يمكن للمزارع قبلها معرفة أن تربته مصابة بدون اختبارات معقدة غير متوافرة، ويقول عدد من العلماء الدارسين لهذا الفطر أنه يتحور لأطوار أخرى (مثل إنفلونزا الطيور مثلاً)، حيث إن هذا الفطر ليس جديدًا في ذاته، وربما مر على أغلب مزارعين الموز في إحدى فترات حياتهم لكن النسخ الجديدة من الفطر شديدة العدوى عن سابقاتها، وقد وجد بعض الدارسين أن إحدى فصائل الموز المنتشرة في بريطانيا وهندراوس، وتعد مقاومة لأغلب أنواع هذا الفطر مما شجع على نشر زراعته كبديل لفصائل الموز المعروفة.

وهذه العدوى أصابت كل الفصائل بلا استثناء، وأشاروا إلى إنها تحور جديد للفطر المسمى مرض بنما، والحل المطروح حاليًا تطوير فصائل جديدة معدلة جينيًا تكون مقاومة لهذه الأمراض وغيرها[1].

الموز الفاكهة المفضلة لدى الكثيرين هل يختفي قريبًا؟

الارز صديق البيئة

مشكلة الاحتباس الحراري هي أكبر مشكلة في العصر الحديث ما بين ارتفاع درجات حرارة الأرض وذوبان القطبين وجزر كاملة مهددة بالاختفاء إلى تغيرات مناخية هائلة، قد تحدث ولا يتأقلم معها البشر، وفي بحث عُد من أفضل الاكتشافات العلمية لعام 2015 كان إنتاج محصول جديد من الأرز صديق للبيئة لا يسبب انبعاثات للغازات المسببة للاحتباس الحراري، حيث إن محاصيل الأرز العادية تساهم في إنتاج غاز الميثان بنسبة حوالي 7-17% من النسبة الكلية سنويًا لذا كان إنتاج أرز جديد لا ينتج الميثان كشفًا هائلاً، خاصة أن تأثير الميثان على الغلاف الجوي ودرجة حرارة الأرض أكبر بعشرين مرة من غاز ثاني أكسيد الكربون بعكس الشائع عن أنه المسبب الأول للاحتباس الحراري وثقب الأوزون.



الأرز المعدل وراثيًا يعد بيئة أفضل

والبحث كان ناتج تعاون مشترك بين علماء من الولايات المتحدة والسويد، واعتمدوا على تعديل الأرز جينيًا وليس فقط لفصل تواجه من غاز الميثان، ولكن النتيجة أيضًا بزيادة كمية النشا بالأرز ومن ثم زيادة كمية المحصول[2].

الطباق الأسترالي مستقبل البحوث الجينية الزراعية

تمكن علماء أستراليون بفصل جينات من نبات الطباق المحلي، وهو ما يجعل هذا النبات قادر على النمو في بيئات قاحلة، ويصعب نمو أي نبات آخر بها.

وهذه الفصيلة تنبت في الصحراء الأسترالية منذ نحو ألف 750 سنة في ظروف قاسية للغاية، ويتميز كذلك بخاصية فريدة تمكنه من تقبل جينات من فصائل وفيروسات أخرى دون رفضها ما يجعله المقابل المثالي لفئران التجارب، وكان يستخدم لعقود في العديد من التجارب وتحديدًا بدءًا من عام 1939 حيث أرسلت لعالم أمريكي لدراستها لكن لم يتم فهم الخاصية المسؤولة عن هذا طوال هذه المدة، والعلماء القائمون على هذا البحث بجامعة كوينزلاند الأسترالية يتوقعون أن نقل هذا الجين لنباتات أخرى قد يطور التكنولوجيا الحيوية بشكل كبير، وأنه من الممكن لستخدامه لبدء زراعة المحاصيل في الفضاء[3].

المراجع

1- http://qz.com/559579/the-worlds-favorite-fruit-is-slowly-but-surely-being-driven-to-extinction/

2- http://www.sciencealert.com/the-new-climate-friendly-rice-has-been-named-one-of-the-top-scientific-developments-of-2015

3- https://www.sciencedaily.com/releases/2015151103100250/11/.htm